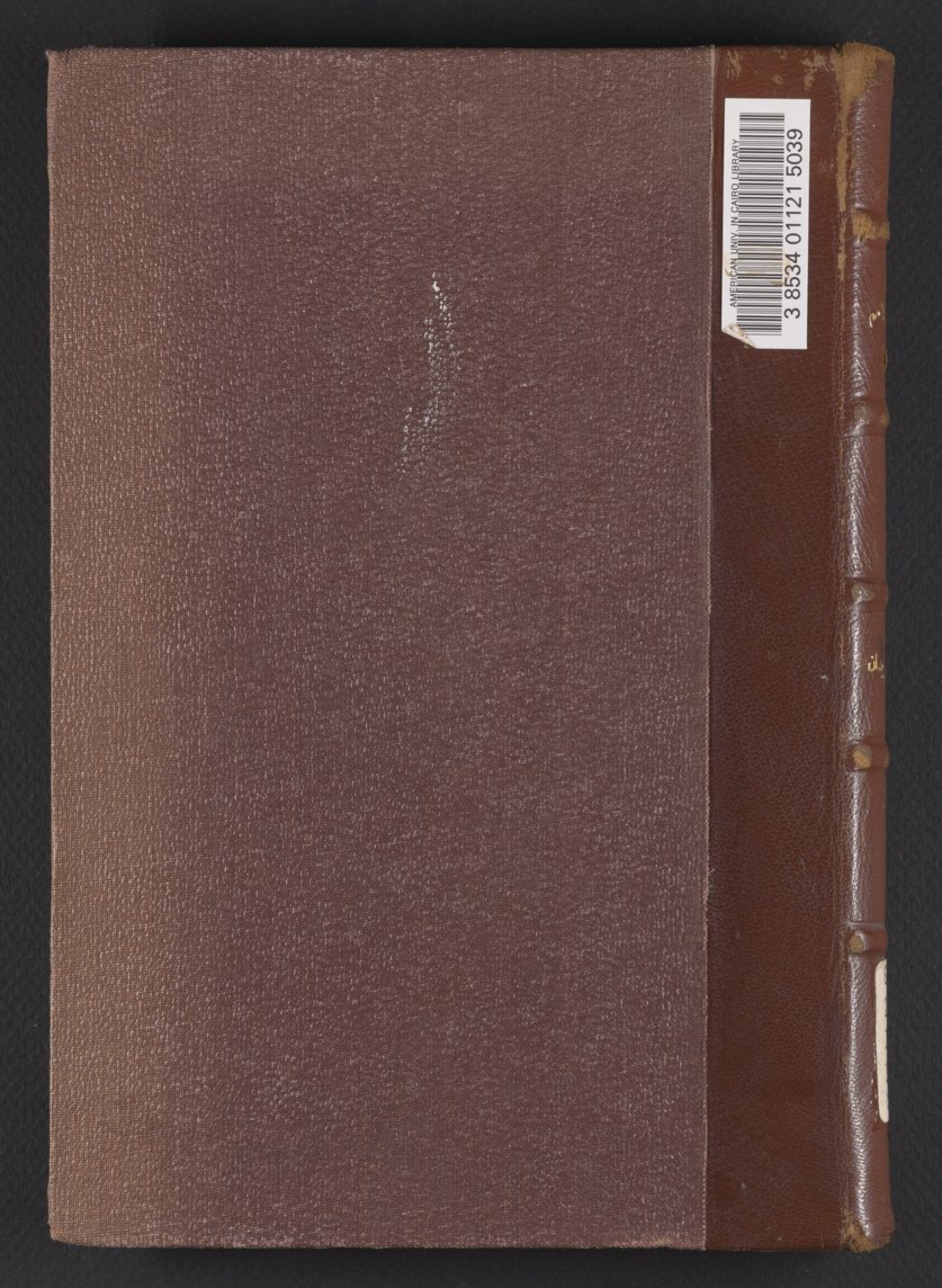
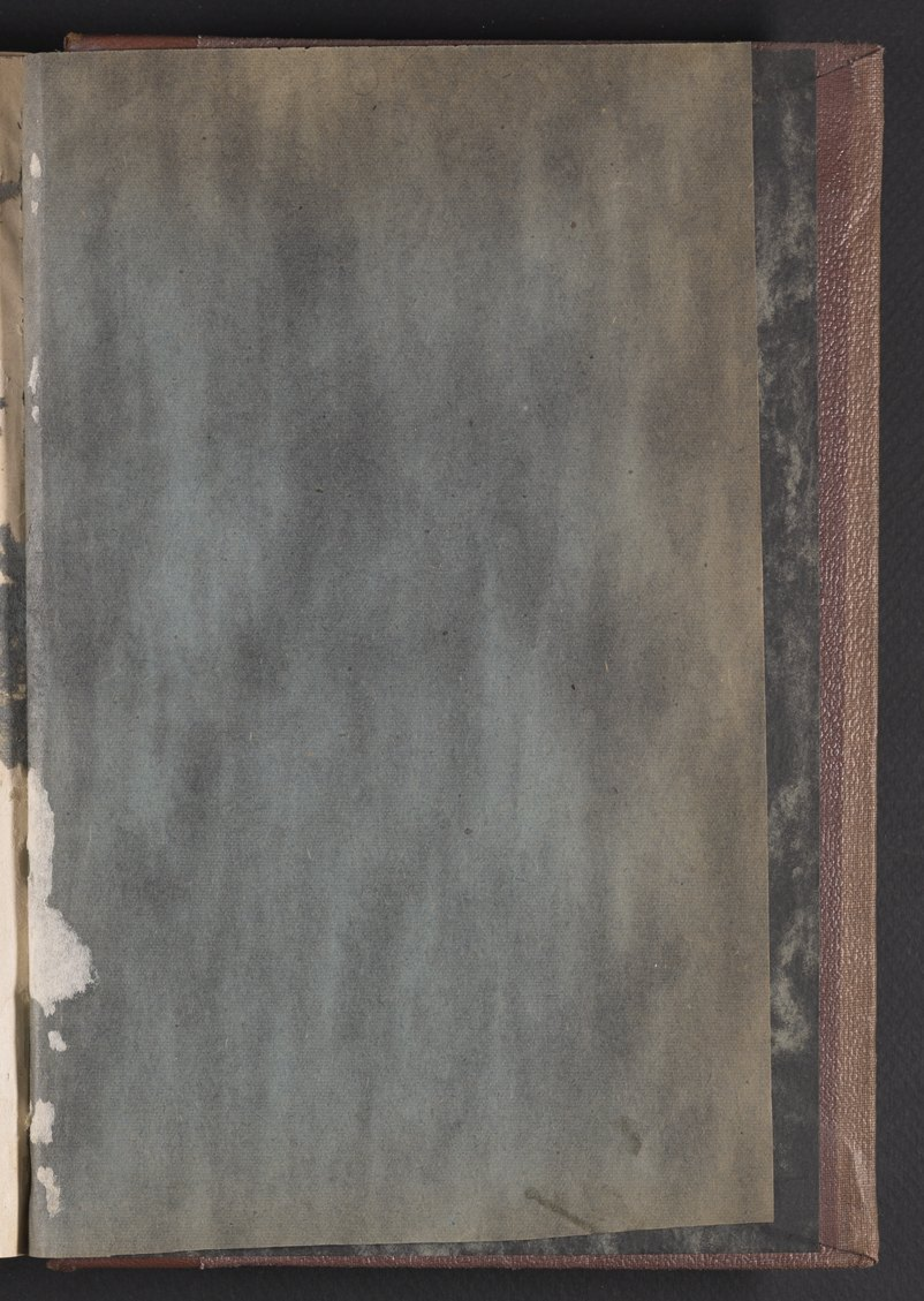

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01121 5039







طبقات الامم

او السلائل البشرية

هو كتاب علمي طبيعي اجتماعي

يبحث في اصول السلائل البشرية وكيف نشأت
وتفرعت الى طبقات وانتشرت في الارض . وما تقسم اليه
كل طبقة من الامم او القبائل . وخصائص كل امة
البدنية والعقلية والادبية . ومنشأها
ودار هجرتها ومقرها الآن وعاداتها
واخلاقها وآدابها واديانها
وسائر احوالها

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩١٢

المقدمة

ما هو علم طبقات الامم

ما برح الانسان من اقدم ازمان مدنيته ميالاً الى معرفة احوال النـاس ودرس اخلاقهم وعاداتهم لكنه لم يكن يستطيع ذلك لجهله وقلة وسائل النقل . فكانت معرفته قاصرة على اهله وجيرانه . واقدم من عني في الرحلة لمثل هذا الغرض مما وصلنا كتبهم هيرودوتس المؤرخ الرحالة في القرن الخامس قبل الميلاد . فوصف الامم التي عرفها واشهرها الفرس والمصريون واليونان ومن عاصرهم . وقد جمع بين التاريخ والوصف

ورحل كثيرون بعده من اليونان وغيرهم الى البلاد العامرة في ايامهم . وكذلك العرب فانهم اشتغلوا بالرحلة والفوا كتب المسالك والممالك أو تقويم البلدان أو نحوها من كتب الجغرافية بعد ان ضربوا في الارض وعرفوا منها ما لم يعرفه سواهم قبلهم . فوصفوا الامم التي عاصرتهم إما في عرض كلامهم عن البلدان كما فعل الجغرافيون أو في سبيل الرحلة على الخصوص كما فعل ابن فضـلان في رحلته الى ملك الصقالبة في اوئل القرن الرابع للهجرة . فانه وصف بها البلغار وعاداتهم . وفعـل نحو ذلك بزرك ابن شهريار في كتابه « عجائب الهنـد » والمقدسي في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقالـيم » فانه وصف فيه كثـيراً من عادات الاقوام الذين ذكر اقاليمهم ووصف اخلاقهم وآدابهم . وقس على ذلك رحلة ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما . فلا تخلو احداها من وصف بعض الامم واخلاقها وآدابها مما كان معروفاً في تلك العصور

وخصص بعض مؤلفي العرب فصولاً في كتب الادب والتاريخ والسياسة لوصف الامم المعروفة عندهم ومزايا كل منها كما فعل الحسن بن عبد الله في كتابه « آثار الاول في ترتيب الدول » فانه عقد فصلاً خاصًا في وصف اجناس الناس واختلاف اصنافهم واطوارهم لايزيد على بضع صفحات . وصف بها أهم الامم المعروفة في عصره

وهي الفرس والعرب والترك والروم والديلم والكرد والبربر والارمن والهند والحبش وذكر شيئاً من اخلاقهم ومناقبهم

ولعلّ اول من توسع في وصف الامم وطبقاتها من العرب صاعد بن احمد الاندلسي قاضي طليطلة في اواسط القرن الخامس للهجرة فالف كتاباً باسم كتابنا هذا «طبقات الامم» قسم الامم فيه الى طبقتين : الأولى الامم التي عنيت بالعلوم والثانية الامم التي لم تعن بها . والطبقة الاولى ثماني امم : الفرس والهند والكلدان والعبران واليونان والروم واهل مصر والمغرب . والطبقة الثانية التي لم تعن بالعلم : الصين ويأجوج ومأجوج والترك والبرطاس والسرير والخزر واللان والصقالبة والبرغر والروس والبرجان والبرابر واصناف السودان والحبشة والنوبة والزنج ونحوهم . واقتصر في كتابه على وصف امم الطبقة الاولى فذكر بعض ما كان لكل منها من العلوم ومن نبغ فيها من العلماء وبين آرائهم الفلسفية أو الاجتماعية أو العلمية وكتبهم الهامة

وهو كتاب مفيد في بابه لكنه غير ما اردناه من كتابنا هذا لان صاعداً المشار اليه اقتصر على الوجهة العلميــة كأنهُ يكتب في تاريخ آداب اللغة . ولم يتعرض للامم المتوحشة في اواسط افريقيا أو جنوبها أو في جزر المحيط أو غيرها

على ان القدماء من العرب وغيرهم وصفوا بعض هــذه الامم في رحلاتهم أو تواريخهم أو تقاويمهم لكن وصفهم محشو بالمبالغات أو الخرافات . فمؤرخ فتوح الاسكندر المكدوني ذكر انه حارب اقواماً رؤوسهم وحشية . وانا ساً لكل منهم ست ايدٍ . وانه حارب جنودًا من السلاحف أو التنانين وصوروا ذلك في كتبهم [١] وهي من مبالغات الاجيال الوسطى في اوربا . وقس عليها مبالغات العرب فمن هذا القبيل ان المسعودي ذكر في جزائر بحر الصــين امماً بيض البشرة آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع التراس مطرقة . وامماً أخرى قدم الواحد من أهلها اطول من ذراع . وذكر القزويني قوماً في بعض الجزر على صور الناس لكن وجوههم على صــدورهم . وأناساً قامتهم قدر ذراع وا كثرهم عور . وآخرين وجوههم وجوه الكلاب وسائر ابدانهم كابدان الناس . ونحو ذلك مما يصوره الوهم ويخالف العلم الطبيعي

(١) راجع صور تلك الامم في كتابنا تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩٧ ج ٢

اما الان فقد تمكن اهل هذا التمدن من الرحلة الى مجاهل افريقيا وأميركا وجزائر الهند وغيرها على أثر تسهيل وسائل النقل والتعويل في مايذكرونه على التجربة والاختبار • فاصبح درس طبقات الامم فرعاً من العلوم الطبيعية مبنيًّا على المشاهدة والبحث مثل سائل العلوم التي اقتضاها التمدن الحديث • واشتغل اهل الرحلة والسياحة في درس احوال الامم على اختلاف طبقاتها في القارات الخمس • ووصف ما شاهدوه من ملامح كل قوم وطبائعهم البدنية والعقلية وعاداتهم وآدابهم واديانهم ونسبة كل امة الى غيرها من حيث النسب أو الجنس أو التشابه العقلي أو البدني أو التفرع أو غير ذلك على ما يقتضيه ناموس النشوء والارتقاء . ووضعوا في ذلك علماً آخر سموه اثنولوجيا Ethnology هو فرع من علم الانثروبولوجيا Anthropology مما لم يتأت لاسلافنا الوصول اليه . ولا سيما معرفة احوال الامم المتوحشة المقيمة في اواسط افريقيا أو جنوبيها أو جزائر المحيط أو في اميركا أو اوستراليا وغيرها مما لم يعرفه القدماء

فعلم طبقات الامم من العلوم الهامة بالنظر الى التاريخ . بل هو من اسس فلسفة التاريخ لانه يشرح اخلاق الامم وطبائعها فضلاً عن ملامحها وظواهرها فيساعد الباحث على تعليل اسباب سقوطها أو نهوضها

هذا ما اردناه من تأليف هذا الكتاب وهو علميٌّ طبيعي اجتماعي . عولنا في تأليفه على ما وضعه الافرنج من قواعد هذا العلم وما اطلعوا عليه من حقائقه من اوائل ابحاثهم في اثناء القرن الماضي الى احدث ما بلغوا اليه في اوائل هذا القرن لانهم تدرجوا فيه من الوصف البسيط الى التعليل والتخريج

كان وصف طبائع الناس واخلاقهم قبل هذه النهضة محشوًّا بالخرافات والمبالغات كما تقدم . فاصبح الآن علماً حقيقيًّا مبنيًّا على المشاهدة والبحث • لكنهم جعلوا بحثهم اولاً قاصراً على ذكر ما عرفوه باعتبار القارات أو المواطن لا بحسب الامم البشرية وتفرعها بعضها من بعض • ثم جعلوا اساس بحثهم في اصناف الناس ما كان من تأثير الاقاليم أو البيئة في تفرعهم وتولد اجناسهم • وجعلوا تقسيم الطبقات مبنيًّا على ذلك • وهي الخطة التي توخيناها في تأليف هذا الكتاب . وهاك أهم الكتب

التي عولنا عليها في تأليفه :

١ كتاب سكان العالم . لبتاني . طبع في لندن سنة ١٨٩٢

World's Inhabitants, by G.T. Bettany, London , 1892.

٢ اديان العالم . لبتاني ايضاً . طبع في لندن سنة ١٨٩٠

World's Religions, by G.T. Bettany, London, 1890.

٣ العالم اليوم في ستة مجلدات . لمونكريف • طبع في لندن سنة ١٩٠٧

The World of to-day, by A. R. H. Moncrieff, 6 Vols. London, 1907.

٤ شعوب العالم . للدكتور كين . طبع في نيويورك سنة ١٩٠٨

The World's Peoples, by A.H. Keane, New York, 1908.

٥ علم الانسان . لتيلر . طبع في لندن سنة ١٨٩٠

Anthropology, by E. B. tylor, London, 1890.

فرجعنا في تحقيق مباحث كتابنا هذا الى ماجاء في هذه الكتب • لكننا عولنا في ترتيبه وتبويبه على كتاب « شعوب العالم للدكتور كين » لانه رتب الامم فيه طبقات باعتبار تدرجها في سلم الانسانية • على ما يقتضيه ناموس النشوء والارتقاء • وهو احدث كتاب في هذا الموضوع • وأضفنا الى ذلك كله ما وصلنا اليه بدرسنا الخصوصي أو عرفناه في اثناء مطالعتنا في الكتب الاخرى . وتوخينا ما يلائم اذواق قراء العربية من حيث اختيار المواضيع واختصارها أو تطويلها

موضوع هذا الكتاب

صدرنا هذا الكتاب بمقدمات تمهيدية في عمر الارض الجيولوجي واصل الانسان ومهده الاول وتاريخه قبل التاريخ • فذكرنا كيف تدرج في غذائه من اكل الاثمار الى اصطناع الخبز وطبخ اللحم . وكيف تدرَّج في مأواه من الكهوف الى بناء الابنية والقصور . وفي كسائه من الالتفاف بورق الشجر أو الجلود الى الغزل والنسج والخياطة . وتاريخ نطقه منذ كانت لغته اصواتاً غتمية حتى صارت لغة نطقية . وكيف تدرج في اختراع الكتابة والارقام وغير ذلك . وذكرنا اشهر الاديان ذكراً اجماليًا ليهون على

المطالع فهم ما يعرض له في اثناء مطالعته من اسماء الاديان أو طبقات المدنية في بني الانسان

ثم تقدمنا الى موضوع الكتاب فقسمنا امم الارض الى اربع طبقات كبرى :

١ الزنوج : احط الطبقات وهم فريقان الشرقيون في جزائر الهند الغربية أو اوسترالازيا . والزنوج الغربيون في أواسط افريقيا وجنوبيها على اختلاف المواطن والطبائع . وفي هذه الامم من غرائب الاطوار ما يدهش المطالع

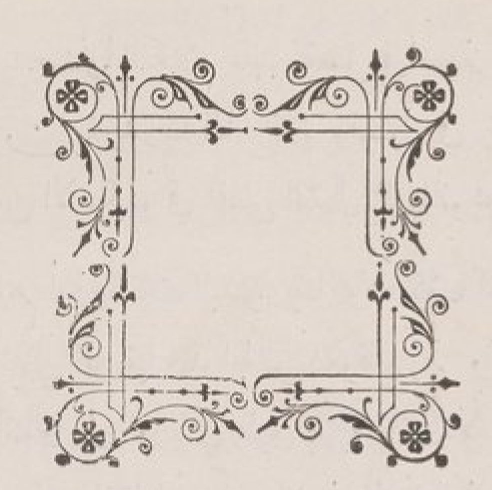
٢ المغول : وقد تفرعوا من الزنوج بالانتقال الى تيبت مهد المغول الاصلي . فذكرنا كيف انتقلوا الى هناك وتنوعوا حسب الاقاليم حتى صاروا مغولاً . ثم تفرعوا الى الاكاديين والسومريين والهيبربوريين والمغول التتر والمغول التيبتيين الصينيين والهنود الصينيين والاوقيانيين

٣ هنود اميركا : صدرنا الكلام عنهم بفصل في اصولهم وكيف انهم مزيج من جالية اسيا واوربا في زمن لم يدركه التاريخ . وفصول في مجمل احوالهم وطبائعهم وخصائصهم وفروعهم من الاسكيمو في اقصى الشمال الى الفويجيين في اقصى الجنوب

٤ القوقاسيون : وهم أرقى طبقات البشر . بيّنا اولاً كيف انتقلوا من مهد الانسان الاول في مالايزيا الى شمالي افريقيا مهد الجنس القوقاسي . وكيف تكيفوا هناك حتى صاروا قوقاسيين ثم انتقلوا الى اوربا في طرق برية كانت لا تزال موصلة بين اوربا وأفريقيا في العصور القديمة . وانتقلوا أيضاً من شمالي افريقيا الى اعالي اسيا فتولد منهم الشعب الآري الذي نزح الى اوربا بعد ذلك قبائل واماً هم سكان اوربا في عصور التاريخ وقبلها من القلت واليونان والرومان والتيوتون اجداد الامم الحية . غير الآريين الشرقيين الذين نزلوا الى الهند وفارس وغيرهما . وغير القوقاسيين في بولينيزيا

وشفعنا الكلام عن كل أمة بوصف طبائع اهلها البدنية والعقلية واخلاقهم وعاداتهم وآدابهم ودياناتهم وعلاقتهم بالامة التى تفرعوا عنها . وتوخينا الايجاز مراعاة للمقام . ولو اردنا الاستيفاء لاستغرق الكلام عن كل طبقة كتاباً ضخماً . وقد اوضحنا ذلك كله بالرسوم والاشكال ليسهل تفهمه واستيعابه . وذيلنا الكتاب بفهرس للفصول وآخر لاسماء الامم والمواضيع رتبناه على الابجدية

فنرجو ان يفي هذا الكتاب بالغرض الذي اردناه من تأليفه — نعني اعداد الاذهان لتفهم التاريخ العام وفلسفة التاريخ . فضلاً عما في الاطلاع على انساب الامم ومناقبها وطبائعها واخلاقها من اللذة والفائدة والله المستعان



مقدمات تمهيدية

عمر الارض الجيولوجي

لا سبيل الى تقدير عمر الارض بغير الادلة الجيولوجية المبنية على اعمار طبقات الارض . وهو بحث يستغرق كتاباً برأسه فنكتفي بخلاصة ذلك مما بلغ اليه جهد الجيولوجيين وعلماء النشوء والارتقاء

واساس ابحاثهم ان الارض كانت في اول عهدها سديماً او غازاً حامياً ثم تكاثف بالاشعاع حتى برد وجمد وتكوَّر وتراصت مواده الجامدة طبقات بعضها فوق بعض شبهوها بطبقات البصلة . ومرَّت بها احوال كثيرة اقتضت تمزق تلك الطبقات بفعل البراكين والزلازل . وتولدت طبقات بالرسيب المائي . وظهرت في اثناء ذلك الحياة النباتية ثم الحيوانية ثم الانسانية . واختلفوا في الوقت اللازم لذلك العمل الطويل لكنه في كل حال يعدُّ بمئات الملايين من السنين — وهو عمر طويل اصطلحوا في تقسيمه الى طورين كبيرين :

الطور الاول : يبدأ والارض في حالها السديمية وينتهي بظهور الحياة . فيها ويسمونه الطور الصواني لان اكثر الطبقات التي تكونت فيه من الصخور الصلبة التي لا أثر للحياة النباتية او الحيوانية فيها

الطور الثاني : يبدأ بظهور الحياة ولا يزال الى الآن . وفيه تكونت طبقات كان للحياة تأثير في تكوينها ودخل كبير في مادتها . ويقسم هذا الطور الى اربعة ادوار تتدرج في سلم الارتقاء باعتبار ما ظهر فيها من طبقات الاحياء بالتدريج من ادنى انواع النبات الى ارقى انواع الحيوان :

الدور الاول : يمتاز بوجود النبات . وفيه تكونت الطبقات الفحمية والصخور الرملية

الدور الثاني : يمتاز بالاحياء الحيوانية الدنيا . وفيه تكونت الطبقات الطباشيرية او الكلسية

الدور الثالث : تولدت فيه الحيوانات الراقية مما يشبه حيوانات الدور الاخير الذي نحن فيه لكنها انقرضت ولم يبق منها الا محجراتها . ويقسم هذا الدور الى ثلاثة

اعصر : (١) العصر القديم ويسمونه « ايوسين » وفيه تولدت الحيوانات ذوات الاصداف . ونسبة بقايا الاحياء فيه بالنظر الى غير الاحياء كنسبة ٣½ الى مئة (٢) العصر المتوسط واسمه « ميوسين » والاحياء في طبقاته ١٧ في المئة (٣) العصر الاخير ويسمونه « بليوسين » وفيه تكاثرت الاحياء حتى صارت بقاياها من ٣٥-٩٥ في المئة وفيها طائفة راقية من ذوات الفقرات انقرضت كلها ولذلك تفصيل لامحل له هنا

الدور الرابع : وهو الدور الذي يمتد الى الآن . وفيه ظهرت طبقات من الحيوانات الراقية لايزال اكثرها باقياً الى الآن . وهو يقسم الى عصرين كبيرين : الاول يسمونه بليستوسين تكونت فيه طبقة من الحيوانات المرضعة (ذوات الثدي) انقرضت ولم يبق منها الا محجراتها في طبقات الارض . ويسمى ايضاً العصر الجليدي لاكتساء القسم الشمالي من الارض بالجليد . والعصر الثاني وهو الحاضر اكثر حيواناته باقية الى الآن

وللعصر الجليدي او البليستوسين تاريخ طويل يبدأ من آخر الدور الثالث اذ هبطت الحرارة حتى كسا الجليد معظم القسم الشمالي من الكرة الارضية في العالمين القديم والحديث من القطب الشمالي الى اواسط اوربا واعالي اسيا واميركا . ولا تزال آثاره باقية حتى الآن . ثم اخذت الحرارة بالصعود حتى ذاب الجليد واعتدل الاقليم وبه يبدأ العصر الحاضر . ويعرف ايضاً بالعصر الانساني . ويقدرون المدة التي استغرقها العصر الجليدي باكثر من مليون سنة

العصر الانساني

هو اهم الاعصر الجيولوجية بالنظر الى ما نحن فيه . وقد سمي الانساني لظهور الانسان فيه . ولا يمكن وضع حد فاصل بين العصرين الجليدي والانساني لان الجليد لايزال باقياً حتى الآن في المنطقة الشمالية . فكاننا بهذا الاعتبار لا نزال في ذلك العصر . وعليه فالانسان يصح ان يقال انه وجد في العصر الجليدي او قبله في اثناء الدور الثالث المتقدم ذكره . ويستدلون على ذلك بوجود عظامه في الكهوف التي غطاها الجليد ادهاراً . على انهم لا يعولون في تعيين قدم الانسان على بقاياه العظمية فقط . ولكنهم يستدلون على تاريخه بما خلفه من مصنوعاته واكثرها من الادوات التي كان يستخدمها للدفاع عن نفسه او يستعين بها في اسباب معائشه . وقد اصطلح علماء الانسان ان يقسموا العصر الانساني من هذا الوجه الى ثلاثة اعصر :

١ العصر الحجري . كان الانسان يصطنع ادواته فيه من الحجر قبل اهتدائه الى اصطناعها من المعادن

٢ العصر البرونزي . اهتدى فيه الى البرونز واصطنع ادواته منه

٣ العصر الحديدي وهو الاخير . وفيه اتصل الى الحديد واستخدمه في اصطناع الادوات ولا يزال في ذلك الى اليوم

ذلك هو الترتيب الطبيعي في توالي احوال الانسان من حيث ارتقائه الصناعي - وان كنا لا نستطيع تعيين الوقت الذي انتقل فيه من عصر الى عصر . او هو لم ينتقل انتقالاً كليًّا من احد هذه العصور الى الآخر بل قضى زمناً طويلاً يستخدم الحجر والبرونز والحديد معاً . ولا تزال بعض القبائل تستخدم الادوات الحجرية حتى الآن



ش ١ : بقايا الانسان محجرة منذ ٢٠٠٠٠ سنة

وقد بحث العلماء في عمر الانسان على سبل مختلفة . فبعضهم جعل اساس بحثه تكوّن اللغات المختلفة وما يقتضيه تفرعها من توالي الاجيال . وبنى غيرهم بحثه على تكوّن الامم الحالية واصناف الناس على اختلاف الاقاليم بالمهاجرة وتأثير البيئة . وبحث آخرون في قدم الانسان مما خلفه من الادوات في الكهوف والمغر بالنظر الى الطبقات الترابية التي تكونت فوقها — ولهم طرق جيولوجية في تقدير الزمن اللازم لتكوّن كل طبقة . واتخذ آخرون طرقاً اخرى في البحث . وفي كل حال فانهم يرون عمر الانسان اطول كثيراً مما كان يظن . وهو يقدر عندهم بعشرات الالوف او مئات الالوف من السنين

اصل الانسان

هل هو واحد او غير واحد

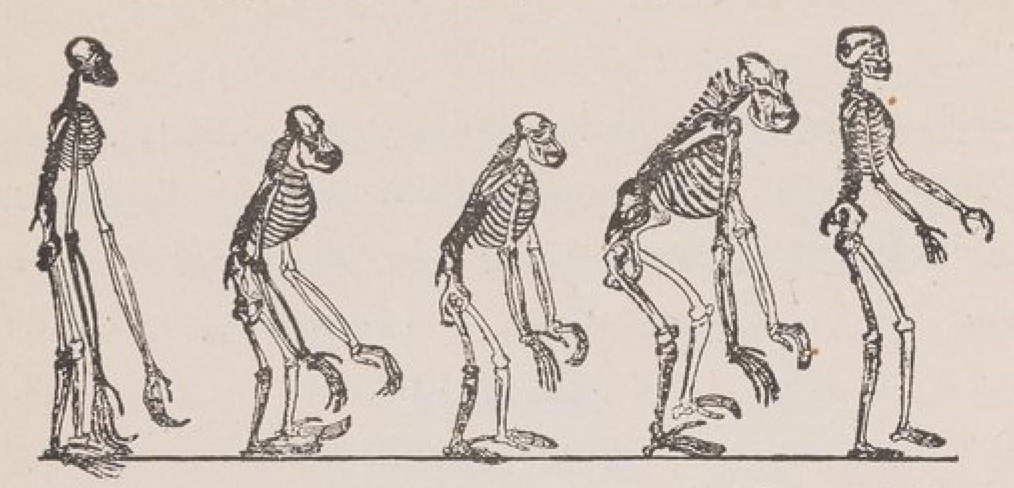
اختلف العلماء في اصل الانسان هل هو واحد او غير واحد . اي هل تسلسلت الامم الحية الآن من شخص واحد او من عدة اشخاص . ولكن الاكثرين يرون وحدة اصل الانسان ولهم على ذلك ادلة كثيرة : اهمها ان الناس على اختلاف طبقاتهم واصنافهم واماكنهم ليس بين اشكالهم وطبائعهم اختلاف جوهري يدلُّ على تعدُّد اصولهم . وانما هي تنوعات او تباينات اقتضتها الاحوال وقضت بها سنة النشوء من حيث الاقاليم وغيره من المؤثرات الخارجية

وزد على ذلك ان النصوص الدينية والتقاليد القديمة في اربعة اقطار الارض تقول بوحدة الانسان الاول ولا حاجة الى الافاضة في الادلة على ذلك . فالامم على اختلاف طبقاتها واماكنها واعصرها متسلسلة من اب واحد . ومن اهم ادلة القائلين بتعدد الاصول اختلاف لغات البشر . وقد ثبت بعلم تحليل اللغات او فلسفة اللغة ان هذه اللغات متسلسلة بعضها عن بعض كما سيجيء

كيف وجد الانسان الاول

في كتب الدين نصٌّ صريح عن بدء الخليقة ان الله خلق العالم في ستة ايام وانه صنع الانسان بيده فجبله من تراب ونفخ فيه روحاً حية منذ بضعة آلاف سنة . وقد تبين مما تقدم ان العلم يدل على الانسان اقدم من ذلك كثيراً وان الخليقة تكونت في ملايين من السنين . وانتشبت بسبب ذلك الاختلاف حرب بين اهل الاديان واصحاب النشوء في اواسط القرن الماضي . فلما تأيدت القواعد العلمية وثبت قدم الارض بالبراهين الجيولوجية المحسوسة هان على اهل الاديان تأويل آيات الكتاب . وقد وفقوا بين القولين فقالوا ان المراد بايام الخليقة الستة ادوار او ادهار يستغرق الدور الواحد منها آلافاً من السنين . وهم انما عدلوا الى هذا التأويل اذعاناً للاحكام العلمية بقطع النظر عما هو في امكان الخالق جل وعلا . فانه القادر على كل شيء ولا يستبعد على قدرته خلق الكون برمته في لحظة واحدة . ولكنهم انما ينظرون في موجودات هذا الكون واحكامها نظراً علمياً مؤيداً بالادلة العقلية والشواهد الطبيعية فلا يصح دفع اقوالهم بمجرد ايراد النصوص الدينية

ش ٢ : الهياكل العظيمة للانسان وارقى القرود



الانسان الغورلاّ الشمبانزي اوران اوتان الجبون

ومثل ذلك يقال في كيفية خلق الانسان ففي النصوص الدينيـة ان الله سبحانه وتعالى جبله من تراب ونفخ فيه نسمة حياة . والعلم يقول بمرور القرون المتطاولة قبل ان بلغ الانسان حالته المعروفة من التكون البدني والعقلي . ووجه التطبيق بين القولين ان المراد بالنص الديني بيان اصل الانسان انه ترابٌ وفيه روح حية والعلم يؤيد ذلك . فالانسان كيفما كانت خلقته فهو تراب وفيه روح حية هي الحياة التي حارت العقول فيها

ويرى اصحاب النشوء والارتقـاء ان الانسان ارتقى عن حيوان وسط بين الانسان والقرد . ولذلك فهم يعدُّون الانسان والقرد من اصل واحد لتشابه كلي بينهما في الاعضاء وبعض الاطوار مما لا محل لتفصيله . وانما نوجه الانظار الى ما راوه من التشابه التدريجي بين ادمغة القرود وادمغة البشر بحيث ظهر لهم ان حجم الدماغ يتدرج في القرود حتى يبلغ ارقاها ثم يتصل بطبقات الناس من احط الزنوج الى ارقى القوقاسيين

وكانوا يرون الفرق كبيراً بين الطائفتين ويبحثون عن الحلقة الموصلة بينهما ويسمونها الحلقة المفقودة . ويتوقعون ان تكون موصلة بين الطبقتين . اي مشتركة في الصفات بينهما فيكون صاحبها مكسوًّا بالشعر ومنتصب القامة ودماغه وسط بين القرد والانسان . فوجدوا سنة ١٨٩٢ بقايا حيوان قديم كثيرة الشبه ببقايا الانسان . نعني ما وجده الدكتور اوجين ديبوا في جزيرة جاوى من الارخبيل الهندي . فقد عثر هناك على جمجمة واسنان وعظم فخذ في طبقة من طبقات العصر المسمى « بليوسين » المتقدم ذكره اي قبل العصر الانساني . وقاس تجويف تلك الجمجمة فوجده الف

سنتيمتر مكعب وذلك حجم دماغ ذلك الحيوان فهو وسط بين حجم ادمغة القرود والبشر . وتبين من شكل عظم الفخذ ان صاحبه منتصب القامة يده اقرب شكلا الى يد الانسان . ولا سيما من حيث الابهام وحركاتها مما يمتاز به الانسان على سائر الحيوان . واستدل من شكل الجمجمة على قوة للنطق في صاحبها يمكنه بها التلفظ بالمقاطع البسيطة . فسماه « القرد الانساني المنتصب » Pithecanthropus Erectus وعده الحلقة المفقودة او المتوسطة . ووضع شجرة صور فيها تدرج الارتقاء بين الانسان والقرد على هذه الصورة :

ارقى القوقاسيين
حجم الدماغ ١٥٥٠ سنتيمتراً

الامم المنحطة من الناس
حجم الدماغ ١٢٥٠ سنتيمترا

القرد الانساني او الحلقة المتوسطة
حجم دماغه ١٠٠٠ سنتيمتر مكعب

الغورلا
حجم دماغه ٥٠٠ سنتيمتر

الشمبانزي
حجم دماغه ٣٥٠ سنتيمتراً

اصل الطائفة الشبيهة بالانسان

ولا يؤخذ من ذلك ان الانسان ارتقى من القرد ولا هم يريدون ذلك . وانما يراد انه تسلسل هو والقرود من اصل واحد وجد في اواسط الدور الثالث من ادوار الارض الجيولوجية عنه في العصر المعبر بقولهم « ميوسين »

مهد الانسان الاول

اختلف الباحثون في مهد الانسان اي المكان الذي وجد فيه الانسان الاول . وظل الناس الى عهد غير بعيد يرجحون انه وجد في قارة اسيا بين العراق العربي وارمينيا في البقعة المعروفة بما بين النهرين . وهو قول يؤيد حكاية الخليقة ويطابق نصوص التاريخ القديم . فان مملكة بابل التي قامت هناك من اقدم ممالك الدنيا . وارض شنعار التي سكنها الانسان بعد الطوفان واقعة هناك وجبل اراراط الذي استقرت

عليه سفينة نوح واقع في ارمينيا . وكانوا يعتقدون انه من هذه البقعة نزح الناس افراداً وعائلات وقبائل الى سائر جهات المعمور . وفي التوراة فصول خاصة في تفصيل ذلك النزوح

لكن العلماء الطبيعيين نظروا في ذلك نظراً آخر عولوا فيه على تفرق الامم ولغاتهم وما وقفوا عليه من آثار الانسان القديمة وغير ذلك . فترجح لهم ان الانسان الاول وجد في جزائر الهند الشرقية او الارخبيل الهندي الذي عثروا فيه على بقايا القرد الانساني المتقدم ذكره . ومنه نزح الى سائر انحاء الارض قبل ان يكتشف الملاحة . وانه نزح ماشياً على بقع من اليبس كانت لا تزال موصلة بين القارات في اواسط الدور الثالث . اي قبل الزمن الذي كان العلماء يقدرونه لظهور الانسان الاول . وانه لم يأت العصر الجليدي الا والارض قد ملئت بالناس . فامات الجليد الامم الشمالية بالبرد الا من فرّ منهم الى المناطق الحارة — اي منذ نحو مئتين او ثلاثمائة الف سنة . وكان الانسان قد ارتقى عن جده ابن جاوى وان لم يبلغ شأو ابنائه اليوم

وقد عثروا على جمجمة من بقايا عصر الجليد في نياندرتال هي اقدم ما عثروا عليه من بقايا الانسان في اوروبا . وحجمها وسط بين جمجمة القرد الانساني وجماجم ابناء هذا الزمان وسموه « الانسان البليو ستوسيني » وانه تنوع وتكيف في كل بلد حسب تأثير الاقليم وغيره من المؤثرات الطبيعية حتى تولدت طبقاته المعروفة . ولهم على ذلك ادلة سيأتي ذكرها في مكانها من هذا الكتاب

وقد ايدوا وحدة هذا الاصل في انحاء العالم بما وقفوا عليه من بقايا الانسان ومخلفاته الصناعية في الارض على اختلاف القارات والممالك . فان المحجرات الانسانية التي وجدوها في أوربا ومصر ومغوليا واميركا متشابهة باشكالها واقدارها . وان الادوات الحجرية التي عثروا على مئات الوف منها في بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وشمالي افريقيا وفي الهند واميركا وغيرها تدل على وحدة اصلها . ووجدوا في اوستراليا جمجمة كثيرة الشبه بالجمجمة التي اكتشفوها في نياندرتال . واما التشابه بين الادوات الحجرية على البعد الشاسع بين الاماكن التي وجدوها فيها فانه مدهش . لان ما وجدوه من تلك الادوات على ضفاف النيل او بلاد الصومال كثيرة الشبه بما وجدوه منها على ضفاف السين او التيمس

وقد تكاثرت تلك البقايا الحجرية حتى قسمها العلماء الى عصرين العصر الحاجري القديم والعصر الحجري الجديد . لكل منهما مميزات بشكل الادوات ودرجة

اتقانها . ولكنها توجد في انحاء الارض على تفاوت الابعاد بينها . وقد طال بقاء كل من هذين العصرين . ويقدرون بقاء العصر الحجري الجديد بنحو مئة الف سنة . وهم يبنون احكامهم في ذلك على الطبقات الحجرية التي تغطى تلك البقايا . وهي اطول في البلاد التي ابطأت في التمدن مما في سواها . فالبلاد التي ادركها التمدن قديماً كوادي النيل واسيا الصغرى وبين النهرين وجزائر اليونان اسرعت في الانتقال الى العصر البرونزي فالحديدي . ومعاصروها في اوربا واميركا لا يزالون غارقون في الهمجية لا يعرفون من الادوات غير الحجرية



ش ٣ : الانسان في العصر الحجري

وكان للعصر الحجري آداب خاصة وعادات خاصة وصنائع خاصة واعتقادات خاصة تجدها ظاهرة على بقايا تلك الطبقة حيثما وجدت من القطب الشمالي الى خط الاستواء



تاريخ الانسان قبل التاريخ

ويحسن بنا قبل التقدم الى وصف طبقات الامم كما هي الآن ان نمهد الكلام في ما مرَّ على الانسان من الاحوال الاجتماعية اوغيرها حتى وصل الى ما هو عليه من العادات في غذائه وكسائه ومأواه وعباداته وتدرجه في استخدام الكتابة . وكيف تفرعت لغاته ونحو ذلك مما يحتاج اليه القارىء في تعيين حال كل امة من الامم الحية التي سيأتي الكلام عليها

واهم ما يلحق الانسان مما مرَّ به من احوال الاجتماع وغيره قبل التاريخ الغذاء والمأوى والكساء والنطق والكتابة والتدين فلنتكلم عن كل منها على حدة

١ — الغذاء

معلوم ان الانسان من حيث حاجاته الجسدية لا يفرق في شيءٍ عن سائر انواع الحيوان فالغذاء من اقدم حاجاته . وانواع الحيوان تختلف في ضروب غذائها فمنها اكلة الاعشاب واكلة الاثمار واكلة الحيوان واكلة الاسماك وغير ذلك . وتقسم من هذا القبيل الى قسمين عظيمين اكلة النبات واكلة اللحوم . فالكلب والهر والذئب وسائر الحيوانات المفترسة مثلاً تدعى اكلة اللحوم لانها لا تأكل الا اللحوم . والماعز والبقر وسائر الماشية والخيل والحمير تدعى اكلة النبات لانها لا تأكل الا الاعشاب كالشعير والذرة والبرسيم وما شاكل ذلك . ويندر ان ترى حيواناً يقتات على النبات والحيوان معاً . ولا يشرب الحيوان غير الماء

اما الانسان فانه لم يغادر نوعاً من انواع الطعام نباتيًا كان او حيوانيًا الا تناوله . فهو يأكل الاعشاب والاثمار وسائر انواع النبات ويتناول لحوم اكثر انواع الحيوان من الاسماك والطيور والدبابات والحشرات . ولم يغادر نوعاً من السوائل الغذائية الا شربه . فهو يشرب الماء والعسل واللبن والخمر على انواعه ويشرب عصير الاثمار وكثيراً من مركباتها . ويتناول كل ذلك ناضجاً او غير ناضج مطبوخاً او نيئاً حارًّا او بارداً . فقد شارك الحيوانات المفترسة والداجنة من اكلة اللحوم واكلة النبات . ويكاد يشارك النبات في غذائه

على ان ذلك ليس فطرياً فيه وانما سيق اليه بطبيعة عمرانه وما اقتضته احواله من التوسع في الحضارة والانغماس في الترف والاكثار من الوان الاطعمة والاشربة . اما من

حيث فطرته فهو من اكلة النبات او انه من طبيعته قادر على تناول الغذائين. ولكن الغالب انه لم يتناول في اول ادوار وجوده الا النبات. فبدا اولاً بالاعشاب يأكلها اقتداءً باكلة الاعشاب ثم تدرج الى الاثمار يتناولها من الاشجار المرتفعة. والنصوص الدينية تؤيد هذا القول. ففي سفر التكوين « قال الله لآدم من جميع شجر الجنة تأكل الخ » ولم يرد ذكر اكل الحيوان الا على اثر حكاية الطوفان بعد ان بارك الله نوحاً وبنيه حيث قال لهم « وكل حي يدب يكون لكم مأكلاً وكبقول العشب اعطيتكم الكل » كانه يشير الى انه اذن لهم اولاً بأكل العشب فقط وقد اذن لهم الآن بأكل اللحوم. على ان ذلك لا يدلُّ دلالة قاطعة على ان الانسان لم يتناول لحماً قبل الطوفان

فالانسان اكل العشب اولاً ثم التمر لاستغنائه في ذلك عن الادوات والعدد او السعي والمشقة. فكان اذا استظل بفيء شجرة تناول ثمرها طعاماً واتخذ هيكلها ملجأً وحصناً وخاط اوراقها كساء واستخدم اغصانها سلاحاً يدفع بها عنه غائلة الوحوش الضارية

ويمتاز الانسان عن سائر الحيوان بقواه العاقلة المساعدة له في اختراع الطرق للدفاع عن نفسه او السعي وراء رزقه. فبعد ان عاش ازماناً يقتات على النبات حدثته نفسه ان يتناول الحيوان طعاماً اقتداء بالحيوان المفترس. وجرّه ذلك الى اختراع الادوات القاتلة وابسط تلك الادوات الاحجار والعصي. فكان اذا اراد حيواناً رماه بحجر او ضربه بهراوة فيقتله. ثم يعمد الى لحمه فينهشه نيئاً كما تفعل الوحوش. والغالب انه اكل من انواع الحيوان اولاً الاسماك كان يلتقطها عن ضفاف الانهر او شواطئ البحور فيقطعها باحجار محددة. ثم تفنن في نصب الشراك ورمي النبال واقتناء الحيوانات الداجنة ومعالجة لحومها على النار والتفنن في تناولها نيًّا وطبخاً مع النبات او بدونه — ولا غنى له في كل ذلك عن النار

اختراع النار

والنار من اقدم اختراعات الانسان لانستطيع ادراك زمان اختراعها لقدم عهدها عند سائر الامم القديمة والحديثة. وهي صناعة يدوية اي ان اشعال النار يحتاج الى عمل صناعي لايستطيعه الانسان الابالتعلم. فاول مايخطر على بال القارئ الاستفهام عن اول من اخترع النار او اكتشف اصطناعها والجواب على ذلك عسر لاعراق عهد النار في القدم حتى يستحيل الحكم في تعيين اول من اخترعها او زمن اختراعها

اما كيفية توصل الانسان الى النار فتدلنا عليها قرائن الاحوال مما نراه من حال

بعض القبائل المتوحشة في اوسط اوستراليا وافريقيا واميركا . على ان الانسان قد عرف النار اولاً مما كان يشاهده في الطبيعة من مقذوفات البراكين او ما يتفق حدوثه من الاشتعال كانفجار بعض المعادن اوما جرى مجرى ذلك . ثم تعلم ايقادها بالتدريج فعلم بالاختبار اولاً ان الخشب او الحجر اذا لطم بعضه بعضاً او حك بعضه ببعض تولدت فيه حرارة . وكان يلتمس النار بادئ بدء الدفء فكان اذا دلك خشبة بخشبة شعر بشيء من الحرارة ثم جعل يكثر من الدلك ويتفنن فيه حتى تمكن بتوالي التجارب من ايقاد النار في بعض المواد الهشة السريعة الاشتعال كيابس العشب اونحوه



ش ٤ : الانسان في اول ادواره يولد النار بالضغط

وتوليد النار على هذه الطريقة لا يزال مستعملاً في كثير من القبائل المتوحشة الذين لايعرفون شيئاً عن اختراع الزناد او عيدان الكبريت . ومن تلك القبائل من لاتنطفئ نارهم نهاراً ولا ليلاً . فاذا خافوا انطفاءها زادوا وقودها لئلا تنطفئ فيقاسون في ايقادها مشقة كبرى . ومن قوانين الرومانيين ان النار المقدسة في مذابحهم اذا طفئت يعاد وقودها باحتكاك الخشب . وهو اثر يدل على ان اجدادهم كانوا يوقدون النار بالفرك . وقدح الزناد من اقدم طرق الاشعال او هو حلقة موصلة بين الاشعال بالفرك وبين عيدان الكبريت المعروفة

اما عيدان الكبريت هذه فقد بدأ باختراعها رجل انكليزي اسمه ووكر سنة ١٨٢٩ ولكنها لم يتم اصطناعها الا بعد سنة ١٨٣٤

الطبخ والخبز

فلما تيسر للانسان اشعال النار استخدمها للتدفئة والانارة ثم طبخ بها طعامه . واقدم انواع الطبخ الشواء بان تلقى قطع اللحم او السمك على النار مباشرة او على احجار محماة او ان توضع في جلد وتطمر في تراب محمى اوغير ذلك من اساليب الطبخ . وعلى هذا المبدأ اخترعوا الافران واهتدوا الى طرق السلق والشي . وكأن الانسان لم يكتنف بتقليد الحيوانات الكاسرة في قتل الاحياء واكل لحومها وشرب دمائها حتى زاد عليها ان يقليها او يشويها

ومن اهم الادوار التي مرَّ بها الطعام في تاريخه اختراع الخبز وهو ايضاً قديم جداً لايدرك اوله . والانسان لم يهتد الى طحن القمح وعجنه وتخميره وخبزه مرة واحدة او في وقت واحد . والغالب انه اكتشف اولاً ان القمح اذا بلَّ في الماء ثم عولج بالنار صار لدناً لذيذاً سهل التناول كثير الغذاء فاستخدمه على هذه الكيفية اجيالاً . ثم تدرَّج من ذلك الى طحن الحنطة بين حجرين حتى اتصل الى عجنه وخبزه ارغفة واخيراً اهتدى الى تخميره على ما هو عليه الآن . على انه لم يصطنع الخبز من الحنطة فقط بل اصطنعه من الشعير والكرسنة وحبوب اخرى . اما كيفية اهتدائه الى كل من هذه الدرجات بالتفصيل والاسباب التي حملته على اكتشافها فهي من الامور الغامضة التي لايرجى الاهتداء اليها

فاهم الدرجات التي تدرَّج فيها الانسان بطعامه من اول ازمانه الى الآن خمس : ١ تناول العشب ٢ تناول الاثمار . وبين هاتين الدرجتين مسافة قصيرة وقد تختلطان ٣ تناول اللحوم نيئة ٤ طبخها بالنار ٥ اختراع الخبز . ثم اخذ يتوسع في اساليب الطبخ والعجن ويتفنن في انواع المأكولات . ثم تفرعت تلك التفننات وتعددت بتعدد الامم واختلاف احوالها حتى بلغت ما هي عليه الآن

٢ — المأوى

اتصل الانسان الى بناء المساكن تدريجاً حسب مقتضيات الاحوال فشعر اولاً بحاجته الى ملجأ يقيه حرارة القيظ صيفاً وصبارة البرد شتاءً . وكان يرتعد لقصف الرعد وهبوب الريح ويخاف ونوب الوحوش الكاسرة . فلجأ اولاً الى اظلال الاشجار فاتخذها مبيتاً له . فكان اذا سمع قصف الرعد مثلاً ظنه هاجماً عليه يريد افتراسه فيسرع الى شجرة يستظل بها اوصخر يختبيء وراءه . فان رأى شبحاً بعيداً ظنه وحشاً

مفترساً فيتسلق الشجرة يستتر بين اغصانها مذعوراً وعيناه شاخصتان الى ما حوله لئلا يذهب فريسة الوحوش . فراى مقامه بين الاغصان قد يمنعه من الضواري ولكنه لا يقيه المطر والريح فتفنن في بناء هذا المأوى متمثلاً بالطير في بناء عشه . فجعل يرتب الاغصان على شكل جدران تساعده في دفع تلك المحذورات . وكان ذلك غالباً في الاصقاع الخصبة ذات الاشجار . اما سكان البلاد القاحلة فاضطروا اولا للالتجاء الى الصخور ثم ما لبثوا ان اهتدوا الى الكهوف والمغائر الطبيعية فاذا هي اكثر مناعة واقوى على دفع الطوارئ الطبيعية . فاتخذوها مأوى يقيمون فيها ليلاً فاذا طلع الفجر خرجوا يطلبون الغذاء . ولا يزال كثير من الكهوف القديمة باقياً الى يومنا هذا وفيها آثار الآدميين وادواتهم تدل على سكناهم تلك الاماكن دهوراً

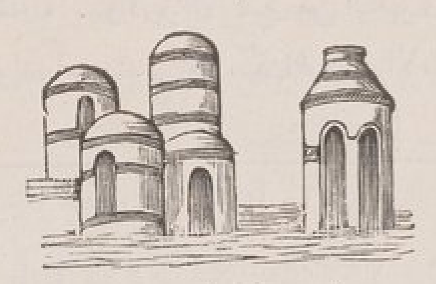


ش ٥ : الخزنة في بطرا — هيكل منقور في الصخر

على ان الانسان قادر بفطرته على الاختراع والاستنباط في ما تسوقه اليه ضرورة معيشته . وهو مطبوع على التقليد والاقتداء فلما رأى الكهوف سكنها ثم لما سكن ارضاً لا كهوف فيها قلَّد الطبيعة فنحت الكهوف وبنى البيوت ولا تكاد ترى امة نشأت في بلاد قاحلة الا اتخذت الكهوف والمغائر مأوى لها . ويؤيد ذلك ما رواه مؤرخو المسلمين فقد قالوا عن قبيلة عاد انهم كانوا ينحتون بيوتهم في الصخر بين الحجاز والشام وان صاحب الشريعة الاسلامية بينما كان عائداً من غزوة تبوك مرَّ بها فنهى عن دخولها . وفي انحاء الصعيد المصري كثير من امثال هذه المغائر كان

يتخذها المصريون مدافن ولعلهم سكنوا بعضها . وقد عثر الباحثون على آثار تلك المنازل وما نقش عليها من الرسوم والحروف . وفي بقايا بطرا قصور وهياكل منقورة في الصخر (ش ٥)

او لعله اراد تقليد الطيور في بناء اعشاشها فغرس عصياً على شكل دائرة وملأ ما بينها من الاغصان . ثم رأى اوراق الشجر لا تلبث ان تتساقط اذا جفت فغطاها بتراب مجبول بالماء تشبهاً ببعض اصناف الطير فصار ذلك البناء كوخاً . والغالب ان يبنيه على شكل مخروطي او هرمي لاستغنائه في ذلك عن السقوف



ش ٦ : اكواخ مستديرة

وربما كان ابسط ما خطر للانسان في بناء المنازل بالاحجار انه حمل بضعة احجار ضخمة او دحرجها وجمعها فرتبها على شكل مربع او ما يشبهه . ثم جاء ببعض الاعمدة والاغصان او جذوع الشجر فجعلها سقفاً . او استعان بجيرانه وابناء قبيلته على رفع صخر كبير اقامه مقام السقف . ولا يستطيع ذلك منهم الا شيخ القبيلة او كبير العائلة ولو اتيح لنا تصور قرية أولئك القوم في عالم الوهم لرايناها عبارة عن عشرات من الاكواخ المبنية بالاغصان والاعمدة على اشكال مخروطية او هرمية او موشورية اشبه شكلاً ببعض الخيم البدوية . وفي وسطها بيت قائم من الصخور المشار اليها . وفي اطلال بعض جهات اوربا وغيرها ابنية يتألف الواحد منها من خمسة احجار اربعة للجدران وحجر للسقف . وابنية اخرى يتألف احدها من دائرة من الاحجار الضخمة سقوفها احجار مثلها . وقد عثروا على مثل هذه الابنية في بعض انحاء الهند واميركا وافريقيا وبلاد العرب وفي اكثر الآثار القديمة السابقة لزمن التاريخ . على ان بعض قبائل الهند لا تزال حتى الآن تقيم مثل هذه الابنية تأييداً لقسم او تذكاراً لعهد

كل ذلك والانسان لم يهتد الى نحت الحجارة او اصطناع القرميد . على انه لما اهتدى الى نحت الاحجار بنى اولاً البيوت الهرمية كالاهرام المصرية وما شاكلها وفي بعض اصقاع اوربا آثار لابنية قديمة العهد اشبه شكلاً بالاكواخ المصرية مصنوعة من

الطين او الطين والحجر والاغصان او ما شاكل ذلك سقوفها مستديرة او مخروطية كما ترى في الشكل السادس

اما اصطناع القرميد ونحت الحجارة على الاشكال المعروفة فقديم جدًّا لم يدركه التاريخ . وبعض الآثار المصرية الباقية الى هذا العهد في انحاء الصعيد قد مرّ عليها آلاف من السنين وبعضها من ابدع ما صنعته يد الانسان

فيستنتج مما تقدم اجمالاً ان الانسان تدرج في صناعة البناء من تقليد الطبيعة في نحت الكهوف وتقليد الطيور في اصطناع الاكواخ الى اصطناع الجدران من الصخور الضخمة على غير انتظام . ثم اصطنع الجدران المنتظمة على اشكالها البسيطة واخيراً توصل الى بناء الاشكال الكروية كالاقواس والقناطر وسائر الاشكال الهندسية في البناء . ونحت التماثيل المشابهة لبعض انواع الحيوان كالاسود . واعظم ما بقي منها تمثال ابي الهول القائم بجانب اهرام الجيزة وهو تمثال اسد براس انسان نحتته العائلة المصرية الثالثة . وهو اقدم التماثيل المعروفة واضخمها

٣ — الكساء

للكساء تاريخ طويل لا يسعه المقام فنكتفي بذكر اولياته الاساسية الى اختراع الغزل والحياكة والخياطة . وكلها تمت قبل زمن التاريخ

الكساء قبل اختراع الحياكة

وجد الانسان عارياً وجلده ليناً حساساً يتأثر بعوامل الحر والبرد وسائر التقلبات الجوية فهو مضطر الى التماس الكساء . واقدم ما تصوره من ضروب الكساء ان يغطي جسمه بما بين يديه من مواد الارض واقربها اليه التراب . فلعله جبل شيئاً من التراب بالماء ومرح به جلده . ولا غرابة في ذلك فان بعض القبائل المتوحشة الآن لا تعرف من انواع الكساء الا الطين تمزجه ببعض المواد الملونة او بالشحم وتكسي به جلودها . فان سكان جزائر اندامان يستخدمون هذا الكساء للوقاية من الحر ولسع البعوض (الناموس) وبعضهم يتفنن في ثوبه هذا فيزينه بخطوط طولية او عرضية يصطنعها خياطهم بجر اصابعه على الطين قبل ان يجف . واغرب من ذلك ان بعضهم اذا كسا وجهه طيناً صبغ نصفه باللون الاحمر والنصف الآخر باللون الاخضر وجعل بين اللونين خطاً طوليا يمتد على صدره الى اسفل بطنه . ومن آثار هذه العادة عند اسلافنا الاقدمين الوشم فانه يدل على ميل الانسان الى تغطية جسمه اما للكساء او للزينة .

وبعض القبائل تتخذ الوشم وحده كساء . وفي بعض الكهوف باوربا حفر استدلوا على انها كانت اجراناً يدقون بها المغرة وهي ضرب من الطين يمزجونه بالمواد الملونة . وقد يقال انهم انما يريدون بذلك مجرد الزينة ولكن الحقيقة انه يغنيهم عن الكساء . والوشم منتشر الآن في اقطار الدنيا والناس بين مكتف منه برسم على زنده او خط على خده او علامة على صدره وبين متخذ الوشم لباساً فيرسم على جلده الخطوط والزوايا والاشكال والصور على طرق شتى



ش ٨ : الوشم في اميركا اليوم

ويلي ذلك الكساء الترابي الذي تخلف الوشم عنه كساء من النبات وابسط انواع ذلك الكساء ان يقطع الرجل غصناً باوراقه فيغطي به عورته او يستظل به . او اذا عثر على شجرة كبيرة الاوراق كالموز او ما شاكله اتخذ ورقة او بضع اوراق نخاطها بعضها ببعض بحسك نباتي اوشدها بعضها الى بعض برباط من قشور الاغصان الدقيقة . ولنا في حكاية آدم مثال على ذلك

وبعض القبائل المتوحشة الآن يتخذون قشور الشجر كساء . وفي البرازيل شجرة يقال لها (شجرة القميص) يتخذ منها بعض البرازيليين كساء كالقميص . وكيفية ذلك انهم يقطعون من جذع تلك الشجرة اومن بعض اغصانها الغليظة قطعة طولها اربع

اقدام او خمس يجردون قشرها قطعة واحدة على شكل اسطوانة فيلونها ويطرقونها حتى تلين وتتسع . ثم يجعلون بها ثقبين على الجانبين العلويين لادخال الذراعين بهما . فاذا كان الثوب قصيراً لا يغطي الجسم كله جعلوه كساء سفليًّا فيشدونه عند الخصر كما يفعلون بالتنورة (الجونيلاّ)

ومما يدل على ان هذا الكساء النباتي كان مستخدماً عند اسلافنا الاقدمين ان التقاليد الدينية المدونة في شرائع مانو بالهند — وهي كتب قديمة العهد — تفرض على البرهمي اذا شاخ وحب الاعتزال لقضاء بقية حياته في العبادة والتنسك ان يتخذ لباساً من الجلد او قشر الشجر . وفي جزيرة بورنيو باقصى الشرق بين بحر الصين وبحر جاوى قوم يقلدون التمدن الافرنجي فيلبسون الاقمشة الافرنجية . اما اذا فقدوا عزيزاً فعلامة الحداد عندهم العدول عن الاقمشة المنسوجة الى قشور الاشجار



ش ٨ — اسرى الزنوج في زمن الفراعنة عليهم كساء من الجلد

على ان بعض الامم تفننت في هذا النوع من الكساء حتى جعلته قسماً من صناعتها وتجارتها . فان في بولونيزيا معامل يقال لها معامل تابا يعالجون فيها قشر نوع من التوت يسمونه توت الورق . وكيفية ذلك ان نساءهم يطرقن القشر بنبابيت مخددة حتى يلين فيشبه بقوامه وشكله اللباد ثم يزيّنّه ببعض الاصباغ الملونة . ويحكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما رأوا الورق وكانوا لا يعرفونه قبلاً ظنوه صنفاً متقناً من التابا فخاطوا منه اردية . ولكنهم مالبثوا ان عرفوا خطأهم لما امطرت سماؤهم وابتلت ثيابهم فاذا هي تتساقط قطعاً قطعاً . وفي بعض جهات الهند والسودان يحيكون اوراق النبات نسيجاً يتخذون منه بعض انواع اللباس . ولكن في مدراس جماعات يخلعون ثيابهم

في يوم من ايام السنة معين ويستترون بالاغصان . ولا ريب ان هذه العادات تشف عن مزاولة اسلافهم الاقدمين الارتداء بالاغصان او القشور

ثم ما لبث الانسان ان اخترع بعض الادوات الحادة وتغلب على الحيوان وافترسه وتناول لحمه طعاماً واتخذ جلده كساء . والارتداء بالجلود اسهل تناولا وادفع للغوائل واقوى على الاحتمال . ولذلك فانه شاع كثيراً في الامم القديمة وخصوصاً بين الذين لم تظللهم الحضارة كاهل اثوبيا واواسط افريقيا فانهم كانوا يأتزرون بالجلود حتى بعد اكتشاف النسيج فان القماش المنسوج لم يكن يلبسه الا كبارهم . وبقيت الجلود لباساً للعامة (انظر ش ٨)

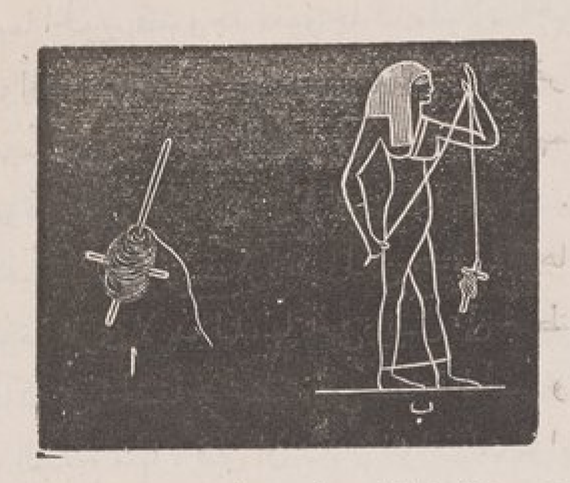
الحياكة والغزل

للحياكة شأن عظيم في تاريخ الكساء وهي خطوة ذات بال في صناعة اللباس ولكن من ينبئنا باسم مخترعها بل من لنا بمن يخبرنا عن اول من اصطنع الخيطان وهي اعظم اهمية من الحياكة اذ لاتتم الحياكة بدونها . فهؤلاء المخترعون مع مالهم من الفضل على بني الانسان لم يذكرهم التاريخ ولا انبأتنا بهم الآثار . وشأنهم في ذلك شأن مخترع النار ومكتشف ملح الطعام وغيرهما من قدماء المخترعين الذين وفقوا الى اختراعات واكتشافات كانت اساس التمدن وروح الحضارة والعمران وقد طمست الايام آثارهم لان التاريخ لم يدركهم ولا ادرك اخبارهم

ولو تأملنا الحياكة ونظرنا في انواع الانسجة لتبين لنا ان للحياكة دورين احدهما قبل اختراع الخيطان (الغزل) والثاني بعد اختراعها . فالاول كانت الحياكة فيه مقصورة على اصطناع الحصر او بعض الابسطه من اوراق الشجر المستطيلة كسعف النخل يحيكونها طولاً وعرضاً . كما يصنع اهل السودان الابسطة ونوعاً من القبعات . وكما يحيك المصريون والسوريون القفف (المقاطف) . ولسعف النخل في انحاء السودان فوائد لاتقدَّر فقد رأيناهم يصنعون منه ابسطة يفرشون بها الارض ويحيكون منه آنية كالصواني والقصع وانواعاً كثيرة من العراقيات والقبعات ويقيمون بها الجدران والسقوف والخيام . ويجدلون الياف النخيل حبالاً يحملون بها الاثقال ويحيكون بها الاكياس لحمل التبن وغيره . واهل الخرطوم يصطنعون من سعف النخل اقداحاً وفناجين بغاية الدقة والضبط والجمال لايخرقها الماء . ويحيكون من تلك الاوراق انواعاً من الاحذية والاجربة وغير ذلك مما يقوم عندهم مقام كثير من الانسجة عندنا

والتوصل الى الحياكة سهل ربما وفق اليه الانسان صدفة او اتخذه تقليداً

لبعض انواع الحيوان كالعنكبوت او بعض الطيور التي تبني الاعشاش . اما اتخاذ تلك المنسوجات كساء فبديهيٌّ لا يحتاج الى فكرة . وهي لا تزال قائمة مقام الاقمشة حتى الآن



ش ٨ : المغزل الاوسترالي والغزل عند المصريين القدماء

اما صناعة الغزل او اصطناع الخيطان فهي أهم خطوة في تاريخ الكساء والتوصل اليها معقول بالنظر الى بساطة مبدأها . فلو نظرت الى خيط بالميكروسكوب لرأيته مؤلفاً من الياف دقيقة ملتفة بعضها على بعض بالبرم والفتل . ولو عكست فتلها لانحل الخيط الا اليافه الشعرية الدقيقة . ومثل هذا الخيط مثل الحبال التي تصنع من ورق النخيل او اليافه (السلبة) فهذه الحبال تظهر للعين المجردة انها مؤلفة من الياف ملتفة بعضها على بعض . وهكذا في بعض انواع الحبال المصنوعة من الياف النبات أو اوراق الشجر الدقيقة . فاننا لا نحتاج في اصطناعها الى اكثر من أن نضم بعضاً منها ونفتلها بين كفينا ازواجاً . فاذا انتهينا الى الطرف الآخر أعدنا الكف بعد ان نضم الزوجين معاً كما يفعل صناع الاحذية في اصطناع خيطانهم الخصوصية قبل تشميعها

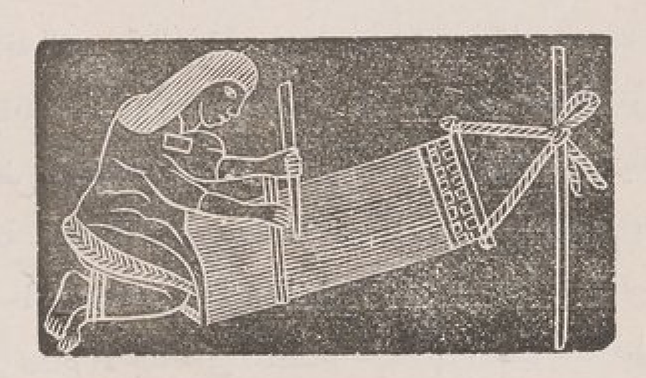
فاول من اخترع الخيطان اصطنعها من الشعر أو الصوف فتلاً بين كفيه . ولكننا لا نزال في حاجة الى اختراع ذي شأن في صناعة الغزل وهو المغزل فانه على بساطة تركيبه وسهولة الحصول عليه يفضل في أهميته الآلة البخارية التي لم يتم اختراعها الا في عشرات من الاعوام . لا نعرف من هو مخترع المغزل ولكننا نعرف أنه قديم جداً

وترى في الشكل الثامن رسم المغزل على حدة . وهو مغزل أوسترالي حديث والى جانبه رسم امرأة من نساء المصريين القدماء تغزل بيدها كما يفعل كثير من نساء بلادنا في مصر والشام وسائر المشرق . فالمغزل استخدمه الانسان من قديم الزمان وهو شائع

بين الامم المتمدنة والمتوحشة حتى الآن . ومعامل الغزل الكبرى في اكبر عواصم اوربا لا غنى لها عن المغزل القديم وانما تتفاضل آلات الغزل اليوم بعدد مغازلها

أما المواد المغزولة فاقدمها الشعر والصوف لاننا لا نحتاج في الحصول عليهما الا الى الجز . ويليهما الحرير فقد وجد منسوجاً قبل الميلاد باجيال متطاولة . ولكن القنب (الكتان) أقدم منه لانه نقل من مصر الى صور في القرن السادس قبل الميلاد وكان يصطنع في مصر قبل ذلك بقرون لانعرف عددها . ويليهما القطن ووطنه الهند وقد ذكره هيرودوتس في رحلته بالقرن الخامس قبل الميلاد . وهناك مواد كثيرة يحيكون بها الاقمشة الآن غير التي ذكرناها ولكن هذه أشهرها .

وامامنا خطوة أخرى لا بد لنا منها حتى نصل الى اصطناع الانسجة — وهي الحياكة . والحياكة في الحقيقة لا تختلف عن صناعة الحصر والفرق بينهما متوقف على المواد المؤلف النسيج منها . فبين ان تكون المواد ذات قوام يمكن نسجها باليد بلا شد او رباط كالقش وسعف النخل والحلفاء . او ان تكون لينة لا قوام لها كالخيطان الدقيقة فهذه لا يمكن نسجها الا بمدها وشدها من اطرافها حتى يمكن ادخال اللحمة فيها على مثال الانوال التي يستخدمها الحياكون في سائر اقطار العالم. والحياكة تكاد تكون عامة عند الامم كافة من متمدنين وغير متمدنين



ش ٩ : نول اوسترالي للنسيج

وترى في الشكل التاسع رسم نول اوسترالي تنسج به فتاة اوسترالية وبينه وبين ارقى آلات الحياكة بون عظيم ودرجات متفاوتة ولكن المبدا واحد فيها كلها

الخياطة والابرة

اساس الخياطة الابرة وهي على دقتها وقلة نفقاتهـا وبساطة صنعها تضاهي المغزل باهميته لان بها تشدُّ قطع الثوب بعضها الى بعض . والغرض من استخدام الابرة قديم فالانسان كان يشد قطع اثوابه بعضها الى بعض قبل زمن الحياكة بل وقبـل التردي

بالجلود . لانه لما اتخذ ورق الشجر اوقشره كساء كان يضطر في كثير من الاحوال الى شد بعض اجزاء ذلك الثوب بالبعض الآخر . ولا غنى له في ذلك عن الابرة او الخيط او ما يقوم مقامها . فاستخدم بدل الابرة الشوك او الحسك يشدُّ به قطع الثوب غرزاً بسيطاً بلا خيط . اوربما ثقب حافتي الجزئين المراد خياطتهما من الثوب بشوكة من عظم وادخل في الثقبين قدة من جلد او قطعة من معاء جاف يشد طرفيها بعقدة وهي ادنى درجات الخياطة . وهكذا يفعل الفيجيون الآن فانهم يثقبون الجلود بعظمة محددة ويدخلون في الثقب خيطاً يربطون طرفيه احدهما بالآخر . فالشوكة او الحسكة او العظمة اقدم انواع الابرة . ولعل الانسان قضى ازمنة طويلة يخيط اثوابه بهذه الابرة فيثقب القماش او الجلد بها ثم يخرجها ويبعث الخيط او ما يقوم مقامه في ذلك الثقب كما يفعل صناع الاحذية في هذه الايام . فانهم يثقبون الجلد بالمخرز ثم يدخلون الخيطان في الخرز ويشدونها

ولكن الانسان ما لبث ان اهتدى الى اختراع الابرة ذات الثقب التي يدخل الخيط في ثقبها فاذا غرزت في الثوب خرجت من الجانب الآخر والخيط يجر وراءها . وهي الطريقة المشهورة في الخياطة في اقطار العالم . والظاهر انها قديمة العهد كثيراً . ولا غرو فان اختراعها سهل لبساطتها وشدة احتياج الانسان اليها . على ان الانسان قضى اعصراً متوالية يخيط اثوابه بالابر من العظم والحسك حتى اهتدى الى معالجة المعادن فاصطنع الابر اولاً من البرونز . وفي المتاحف الآثارية في اوربا امثلة من هذه الابر عثروا عليها في اطلال بعض المدن القديمة . ثم اصطنعوا الابر من الحديد وغيره وما زالوا يتفننون في صنعها واتقانها حتى بلغت ماهي عليه الآن

٤ — اللغة

التفاهم

لنتصور الانسان في اول ادواره يطوف الحقول والغابات عارياً او نصف عار يلتقط ثمر الارض وبقلها . فاذا جنّ الليل اوى الى كهف او مغارة او تسلق شجرة يلجأ اليها خوفاً من هجمات الوحوش الضارية . فاذا اصبح خرج يسعى وراء رزقه يلتمسه بالاجتهاد . واجتهاده انما هو التفتيش عن شجرة ذات ثمر يأكله او حيوان يرميه بحجر فيقتله ويتناول لحمه لا يمتاز في ذلك عن الحيوان الاعجم . الا انه ما لبث ان اضطر الى الاجتماع وهي مزية خص بها الانسان . والسبب في ميله الى الاجتماع

قصوره عن مقاومة طوارئ الطبعية ودفع غائلة الوحوش الضارية منفرداً فعكف على التعاون والتعاضد وهو الاجتماع . فلما اجتمع اضطر الى تبادل المعاني والمقاصد وهي الغاية المقصودة بالاجتماع . فساقه ذلك الى التفاهم فتدرَّج فيه من الاشارات الى الاصوات فالفاظ فالجمل كما سترى

واذا تدبرت تاريخ النطق في الانسان رأيته يرجع الى التقليد وهو اساس اللغة واصل نشأتها ومدار ارتقائها . لان التفاهم سواء كان بالاشارات او بالاصوات فهو راجع الى التقليد . لان الاشارات تقليد صور الاشياء او معانيها والاصوات تقليد ما يسمعه الانسان من الاصوات الخارجية على اختلاف مصادرها . فالتقليد قوة لم تبلغ في نوع من انواع الحيوان ما بلغته في الانسان . وهو تمثيل صورة في ذهن المقلد اكتسبها من الخارج اما رأساً او ضمناً . ولا غنى لهُ في تقليدها عن استيضاحها في ذهنه مع توفر الوسائل اللازمة لتمثيلها للآخرين . فالاستيضاح من اعمال العقل والتمثيل من اعمال اليدين او ما يقوم مقامها . والانسان اقوى سائر انواع الحيوان عقلا والبقها تركيباً — وهو سبب تفرده بسعة دائرة التفاهم وتعدد وسائله فتأيد اجتماعه وكان ما كان من تمدنه وعمرانه . فانشأ المدن والف الممالك والامم وتجر في الخليقة فوضع الفلسفة واختلفت آراؤهم في سر الخليقة وخالقها فتفرَّقت المذاهب والاديان والطوائف والنحل . وقامت الحروب فازداد الاحتياج الى الادوات و لوسائل المساعدة على تسهيل الغلبة وتأييد القوة . فكانت الاختراعات وما جرى مجراها مما ليس هنا محل الكلام عليه . وانما يهمنا منهُ ان الانسان اضطرَّ الى الاجتماع لضعفه فاحتاج الى تبادل الافكار والمقاصد وهو التفاهم . وتمكن بموهبة التقليد من وضع اساس اللغة . ولاستيعاب الموضوع نقسم الكلام في تاريخ اللغة الى دورين : (١) الدور التقليدي (٢) الدور النطقي

١ — الدور التقليدي

نريد بالدور التقليدي الزمن الذي عبر فيه الانسان عن مقاصده واغراضه بتقليد ظواهر الاشياء التي يريد التعبير عنها كالدلالة على شبح بتمثيل صفاته كلها او بعضها . فالاخرس يعبر عن الفرس بمحاولة الوقوف على يديه ورجليه معاً تقليداً للفرس في مشيه . ومن هذا القبيل دلالة الاطفال على بعض انواع الحيوان بتقليد اصواتها الخاصة بها . فاذا رأى الطفل كلباً وسمع نباحه ثم اراد التعبير عنهُ فانه يقلد صوت النباح او الهر فيتقلد صوت المواء او الفرس فيتقلد صوت الصهيل . وهو انما عمد الى

ذلك لجهله اسم كل منها . وهكذا كان الانسان في اول ادوار وجوده فقد كان كالطفل المولود حديثاً في العالم يسمع ويرى ولايتكلم . ولكن لـكل من الموجودات المحيطة به صورة في ذهنه حصلت من حال اقتضت بقاءها في ذاكرته . اذ قد يكون لـكل شيء او واقعة صور كثيرة لا يبقى في الذهن منها الا صورة او بضع صور سبق الذهن الى الاستمساك بها اما لغرابتها او لملازمتها ذلك الشيء دون سواه او لامتيازه بها على سواه من نوعه . فان للفرس مثلاً اوصافاً كثيرة من الشكل واللون والوضع والصوت وما شاكل ذلك ولكننا عند محاولتنا التعبير عنه بالتقليد يسبق الى ذهننا صوت صهيله لانه خاص به . وللرجل مثلاً اوصاف كثيرة يُعرف بها ولكن الخرس يعبرون عنه بمرور ابهام اليد وسبابتها على الشاربين . وللمرأة اوصاف كثيرة ايضاً ولكنهم يعبرون عنها بما تمتاز به عن الرجل اما بالاشارة الى طول الشعر او بالدلالة على خلو وجهها منه او غير ذلك

فينتج مما تقدم ان الدور التقليدي يقسم الى قسمين : تقليد الاشكال وتقليد الاصوات . والاول لغة الاشارات وهي لغة الذين لا يستطيعون التكلم لعلة طبيعية كالخرس فانهم يتفاهمون فيما بينهم وبين غير الخرس بالاشارات فقط . والثاني لغة الاصوات

التفاهم بالاشارات

والاشارات نوعان اضطرارية واختيارية . فالاشارات الاضطرارية ليست خاصة بالانسان بل تشمل كثيراً من انواع الحيوان ولكنها قاصرة على التعبير عن الانفعالات النفسية كتقطب الوجه من الغضب او الحزن والابتسام عند الارتياح او السرور وهز الراس للدلالة على التهديد او التعجب وحنيه على الذل او الخضوع . وكدلالة النهوض بغتة على تأثر شديد من فرح او غضب او تعجب . ويروى عن المستر غلادستون خطيب انكلترا الشهير ان سامعيه كثيراً ما كانوا يقفون بغتة عند سماع خطبه وهم لا يشعرون. وقد يسبب الفرح حركات اخرى كالجمز او الرقص اوالركض. وقد يصفق الانسان عند تأثر نفساني بغتة كسماع خبر محزن او الانتباه بغتة الى خسارة. وكالعض على السبابة ندماً واحمرار الوجه خجلاً واصفراره وجلاً والارتجاف رعباً وغير ذلك من الاشارات التي يجريها الانسان عن غير قصد ولكل منها دلالة خاصة ولكنها قليلة لا تخرج عن حدود الظواهر النفسية حال حدوثها وتزول بزوالها

وهي ليست من التقليد في شيء . على انها تساعد في لغة الاشارات اذا قلدها الانسان للدلالة على ما تدل عليه من طبعها . فقد تعبر عن استنكافك من امر بتقطيب وجهك كانك تقول « اني لا احب ذلك » فتقطيب الوجه اذ ذاك اشارة تقليدية اختيارية

اما الاشارات الاختيارية فهي التي يجريها الانسان عمداً يقلد بها شخصاً او خاصة من خصائص الاجسام الخارجية للتعبير عنها تعبيراً تقليدياً محضاً . كمن يرسم صورة الشيء على الورق للدلالة عليه . ولكن تلك الاشارات قد تحوّل بالاستعمال والمزاولة من المعنى الحسي البسيط الى المعنى الرمزي . ولبيان ذلك نستلفت انتباه القارئ الى لغة الخرس الشائعة بينهم وقد يفهمها سواهم الا ماكان منها قد تحوّل الى معنى رمزي لا علاقة ظاهرة بينه وبين الاشارة

فلغة الاشارات وهي لغة الخرس تقسم الى اشارات ذاتية واشارات معنوية او رمزية . فالذاتية كالتعبير عن الشيء بتمثيل اوصافه باليدين . فاذا شاء الاخرس التعبير عن الصندوق مثلاً رسمه لك بيديه موضحاً طوله وعرضه وعلوه . وللدلالة على كونه خشباً اوحديداً يشير الى مادة خشبية او حديدية من ادوات المكان الواقف هوفيه . وهذا هو الاصل في لغة الاشارات . ولكن الطبيعة لا تقبل البقاء على حال واحدة وناموس الارتقاء العام يتخلل سائر اعمال الحياة وهو يقضي بالنمو والتنوع والتفرع على اساليب شتى ترجع الى مبدا واحد

والاشارات الذاتية ما لبثت ان صارت معنوية أو رمزية بمرور الايام . على ان التقليد الذاتي قليل في لغة الاشارات والغالب في التعبير عن الاشباح الخارجية بالاشارة ان يكون بتمثيل صفة من صفاتها او حالة ملازمة لها . كما لو اطبق الاخرس اصابع احدى يديه وإدناها من فه كانه يصب ماء فتفهم انه يريد « الماء » او « عطشان» او «اسقني» او « أشرب » اما التميز بين هذه المعاني فموكول بالقرينة

فلغة الاشارات في هذا الحال لا تزال في ابسط احوالها بعضها تقليد ظواهر الاجسام او بعض احوالها وبعضها تقليد ظواهر الانفعالات النفسية . وهي مادامت على هذه الحال يفهمها كل انسان ولكنها قد تحول بالتنوع والتفرع الى لغة لا يفهمها الا الذين يدرسونها مثل لغة التكلم . وقد يقع في اشكال الاشارات ومدلولاتها تغيير وتبديل يشبه القلب والابدال في لغة التكلم - من امثلة ذلك ان خرس برلين يقصدون بمحاولة كسر الرأس باليد ما هو في لغتنا (رجل فرنساوي) ويستعملون هذه

الاشارة لهذا المعنى وهم لا يعلمون الا كونها كذا خلقت . وقد ظهر بعد البحث انها مأخوذة عن محاكاة حادثة موت لويس السادس عشر . فالخرس قرأوا في كتبهم انه مات مضروباً على رأسه فاستعملوا في بادىء الامر اشارة الضرب على الراس كمحاولة كسره للدلالة عليه ثم حملوها مجازاً على كل فرنساوي . وبعض قاطني اميركا الشمالية يعبرون عن قولنا « كلب » بجرّ السبابة والوسطى مفتوحتين على الارض وباقي الاصابع مقبوضة والناظر لا يرى علاقة بين هذه الاشارة والمعنى المقصود . لكنه بعد البحث يرى انها مأخوذة عن حوادث جرت يوم كان الهنود هناك وقلت خيلهم فاضطروا لاستخدام كلابهم لحمل اعمدة الخيم . فكانوا يحملون كلاً منها عامودين واحداً من كل جانب فيمشي الكلب والعامودان يجران خلفه . فقلد الخرس هذه الحالة بجر السبابة والوسطى مفتوحتين على الارض وما بقي من الاصابع مقبوض وعبروا بها عن كلابهم . ولم يستخدم الهنود كلابهم لحمل اعمدة الخيم بعد ذلك اما هذه الاشارة فلم تزل مستعملة عندهم الى الآن للدلالة على اي كلب كان . وهكذا في كثير من اشاراتهم حتى تفرعت لغات الاشارات وحدثت بينها اختلافات لا تقل عما بين اللغات السامية . ولم تكن المصطلحات المشار اليها السبب الوحيد في ذلك بل هناك امر لا يقل اهمية عنه وهو الخلاف الاتفاقي في اختيار هذه الصفة من المعنى المقصود او تلك . وقد تقدم انهم يعبرون عن اي معنى بتقليد صفة من صفاته او تشخيص حادثة رافقته عند اول عهدهم به . فقد تختار هذه القبيلة صفة وتلك صفة اخرى وقد يتأتى ان هذه تتصور معنى مصحوباً بحادثة لم تخطر على بال تلك

التفاهم بالاصوات

(الاصوات الطبيعية) نريد بالاصوات الطبيعية الاصوات الجارية في الطبيعة وهي اما ان تحدث عن تفاعل القوى الطبيعية كاصوات الرعد وهبوب الريح وسقوط المطر وتصادم الاجسام الجامدة كالحجارة وغيرها . او ان تحدث عن العالم الحي كاصوات الحيوان على اختلاف انواعه كصهيل الفرس ونقيق الضفدع وعواء الهر وما شاكل ذلك فتقسم الاصوات الطبيعية بهذا الاعتبار الى اصوات حية واصوات غير حية :

(فالاصوات الحية) تقسم الى اصوات الانسان واصوات الحيوانات الاخرى واصوات الانسان اما اضطرارية او اختيارية والاضطرارية هي التي يحدثها الانسان عن غير قصد او روية ويراد بها التعبير عن الانفعالات النفسية وشأنها في ذلك شأن الاشارات الاضطرارية . وهي اما « غنمية » كالاصوات التي يخرجها الانسان عند

الانفعالات النفسية ولا تميز فيها المقاطع كالانين والعنين والاحيح وهي اصوات المتوجعين والمغمومين . والهمهمة الصوت الحاصل من تردد الزفير هماً او حزناً . والزحير او اخراج النفس بشدة عند عمل شاق . والنحيم او النهيم وهو شبه انين يخرجه العامل المكدود فيستريح اليه

واما « مفصحة » وهي التي يخرجها الانسان عند الانفعال النفساني وقد تميز فيها المقاطع كقولنا آه للتعجب او التحسر واوه للتوجع واوف للاشمئزاز او الضجر وآخ للانبساط وأُر للغضب والتألم وبِش للاستحسان وشه لعدم الاستحسان ووَي للتأوه وقهقه صوت الضحك وغير ذلك

والاصوات الاختيارية هي التي يخرجها الانسان او غيره من الحيوان عمداً مثل تفّ حكاية صوت الباصق وأُف حكاية صوت النفخ وهه حكاية صوت الزفير الاغتصابي وقس على ذلك اصوات الصفير والتصفيق والنحنحة والغرغرة والسعال والعطاس والشخير والغطيط والجشاء وما شاكل ذلك

اما اصوات الحيوانات الاخرى فكثيرة جداً اذ لكل حيوان من ذوات الاصوات صوتاً يعرف به كمواء السنور وعواء الكلب وصرصرة البازي ونباح الكلب وصهيل الفرس وفحيح الافعى ونبيب التيس

اما (الاصوات غير الحية) فاكثر من ان يحصيها عدٌّ كطقطقة الحجارة وقعقعة الرحى وجعجعتها وطنطنة الجرس ورش الماء ودوي الرعد . ومن هذا القبيل « قط » حكاية الصوت القطع ولط حكاية صوت اللطم وفِش حكاية صوت السهم اذا رمي وفقْ حكاية صوت القربة اذا فتحت بغتة وغير ذلك مما لا يقع تحت الحصر . ومما نوجه ذهن القارىء اليه ان الاصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها ليست من المقاطع الواضحة في شيء ولكنها تؤثر في اذهاننا تأثيراً اذا اردنا التعبير عنه نطقنا بمقطع او لفظ يشبهه وهذا ما نريد به حكاية الصوت

فمن حكاية الاصوات الطبيعية الحية وغير الحية على اختلاف مصادرها ومظاهرها اقتبس الانسان لغته فاتخذها اولاً بالتقليد للتعبير عما يحدثها او ما يتعلق به . وهذا ما نسميه اللغة الطبيعية . ثم تنوعت وتفرعت بالنحت والابدال والقلب تبعاً لاحتياجات الانسان حتى صارت الى ما هي عليه بتوالي الاجيال

وكيفية الاصوات الطبيعية ان يقلد الانسان تلك الاصوات او ما يحاكيها للدلالة على الاشياء التي تحدثها كما لو اراد الدلالة على الكلب بتقليد صوت عوائه او الاشارة

الى الريح بتقليد صوت هبوبها واذا اراد قولنا «قطع» قلد صوت القطع وهو «قط» او ما شاكل ذلك . وشأن الانسان في اوائل عمرانه شأن الطفل الرضيع فمراقبة نمو الطفل وكيفية تعبيره عن الظواهر المحيطة به قبل تعلمه لغة والديه اشبه شيء بحال الانسان في طفولية الارض . فالطفل لو ترك لفطرته لدل على كل حيوان بتقليد صوته وعلى كل اداة بما تحدثه من الصوت وقد يستعين بالاشارة وهو في الواقع يفعل ذلك الان ولكنه لا يلبث ان يتعلم لغة من هم حوله ويتناسى لغته الطبيعية

وقد يعسر التسليم بنشوء اللغة عن الاصوات الطبيعية وحدها لانها لا تكاد تذكر بالنسبة الى الفاظ اللغة واشتقاقاتها وانواع تعبيرها مما يعد بمئات الالوف على حين ان الاصوات الطبيعية لاتكاد تزيد على المئة . والجواب ان ذلك طبيعي جار في الطبيعة يتناول سائر الاجسام الحية وما يتعلق بها فكلها تنمو وترتقي وتتنوع وتتفرع وتتكاثر جرياً على ناموس الارتقاء العام . فقد رأيت في ما تقدم من تاريخ الانسان انه تدرج الى سائر حاجياته فارتقى من ابسط الادوات الى ما يتركب منها حتى صارت تعدُّ بالمئات فكانت القطعة من الجلد مثلاً تقوم عنده مقام كثير من الثياب والاثاث . فكان يتزر بها نهاراً ويلتحفها ليلاً ويستظل بها من حر الشمس او يغلق بها باب كهفه وقد يحمل بها ما يحتاج الى نقله من الطعام او غيره او يغطي بها رأسه وقاية من المطر او حر الشمس وربما اتقى بها رمي الحجارة عليه وقد يستعين بها على اعمال أخرى كثيرة لا تحصى فهي تقوم عنده مقام اللباس والفراش والبيت والستارة وآنية الحمل والدرع والمظلة وغير ذلك . وهو انما توصل الى هذه الادوات الكثيرة بعد ذلك تدريجاً بالنمو الطبيعي

وهكذا يقال في الفاظ اللغة فقد كانت اللفظة الواحدة او المقطع الواحد يقوم مقام مئات من الالفاظ . من امثلة ذلك ان الانسان رأى الماعز مثلاً وسمع صوته فدل عليه بحكاية صوته وهي «معْ» هكذا يفعل الاطفال اليوم فانهم يدلون على الماعز بقولهم «مع» ولكنهم يدلون بها ايضاً على لحمه وعلى شعره وعلى أشياء أخرى يختلف تعينها باختلاف الاحوال . والانسان في اول ادواره سمع صوت القطع مثلاً فقلده بمقطع «قط» وجعل يدل به عما هو في لغتنا قطع او كسر ولكنه كان يدل به ايضاً على كل ما يتعلق بالقطع مثل فعل القطع والمادة المقطوعة واليد التي قطعت والاحوال التي قطعت فيها وما شاكل ذلك

ثم ان كل مقطع من المقاطع الطبيعية يتحول بالنحت والابدال والقلب وبالنمو

والتفرع والتنوع الى الفاظ كثيرة مشتركة في المعنى الاصلي . فيخصص الانسان كل تفرع لفظي بتفرع معنوي على اساليب وطرق لا ضابط لها

ففي الدور التقليدي تقتصر اللغة على تقليد حكايات الاصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها وهي اللغة الطبيعية الصوتية . وتراها قليلة الالفاظ بسيطة البناء لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف • لا ظرف فيها ولا اشتقاق ولا تصريف فيسهل التفاهم بها بين سائر اصناف الناس على اختلاف المناطق والاقاليم كما هي الحال في لغة الاشارات الطبيعية . على اننا لا نعلم بوجود لغة على هذه الحالة مطلقاً ولكن بعضها اقرب من البعض الاخر اليها . وادنى ما يعرف من لغات البشر لغة بعض سكان اوستراليا واواسط اميركا الجنوبية فانها نظراً لقلة موادها لاتفي باغراضهم في التعبير عن كل ما يحتاجون اليه على قلة احتياجاتهم فيضطرون لاستعمال الاشارات فتراهم اذا تكلموا صوتوا واشاروا بايديهم وارجلهم واعينهم . والاشارات قسمٌ مهم من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فهم لا يستطيعون التفاهم في الظلام . والفاظ لغتهم اقرب الى الاصوات الطبيعية منها الى الفاظ لغاتنا

ومن قاطني أوستراليا ايضاً من لا تسعفهم لغتهم في التعبير عما وراء الاثنين من الاعداد بلفظٍ واحد اذ ليس لديهم من الالفاظ العددية الا كلمتان فقط وهما « نتات » واحد و« نايس » اثنان فاذا ارادوا ثلاثة جمعوهما معاً وقالوا « نايس نتات » اواربعة « نايس نايس » او خمسة « نايس نايس نتات » أو ستة « نايس نايس نايس » أما السبعة وما وراؤها فيقفون عندها منذهلين وتضيق دونهم سبل التصور فيعبرون عنها بقولهم « كثير » . او يعبرون بها على اشكال اخرى سترى ذلك في مكانه . ومنهم من يعبرون عن كل تنوعات معنى القطع بكلمة واحدة

ومما يفيد في الاطلاع على كيفية تحول معاني الكلمات ما يعبر به بعضهم مما هو من الغرابة بمكان . فان منهم من ليس في لغتهم لفظة تؤدي معنى الصلابة فاذا اضطروا الى التعبير عن قولنا « صلب » قالوا «حجر» . وآخرون لا يقدرون على تأدية معنى الطول والاستدارة فيعبرون عن قولنا « طويل » بقولهم «ساق» وعن « مستدير » بقولهم « مثل القمر » . ولا يخفى ان هذه الكلمات في غاية المناسبة لما وضعت له لان الحجر هو الجسم الاكثر شيوعاً بصفة الصلابة والساق اول ما يخطر للانسان تصور الطول فيها كما هو معلوم . واللغات في اول امرها خالية من الادوات والحروف اذ يعوض عنها في بادىء الامر بالاشارات ثم يستعار لها الفاظ ذات معنى في نفسها

٢ — الدور النطقي

مر على اللغة دهر طويل قبل انتقالها من التقليد الى النطق . فاول درجة تخطوها اللغة نحو النطق انما هي تحول حكاية الصوت من الدلالة على ما يحاكيه مباشرة الى ما يقرب منه او يماثله بالتدريج حتى تتولد الالفاظ البسيطة الدالة على المعاني البسيطة بغير أن تتولد فيها الادوات والحروف . وانما يدل على ذلك بالقرينة فتستعمل اللفظة الواحدة تارةً اسماً وطوراً فعلاً وأخرى نعتاً او اداة . فالصينيون مثلاً يعبرون بقولهم (توان) عن معانٍ عديدة تعود الى اصل واحد فيقصدون بها (كوّر) او (احاط) او (مكوَّر) او (كُرة) او (حول) الظرفية الى غير ذلك من امثال هذه المعاني . ونظراً لقلة الفاظ اللغة في هذه الحالة يطلقون اللفظة الواحدة على معان تقرب من معناها الاصلي كما حدث في اللغة الا كادية فان لفظة واحدة مؤلفة من مقطع واحد تدل على خمسة عشر معنى والاصل فيها جميعها واحد وهي لفظة ca او ga فانهم يقصدون بها (فم) او (وجه) او (عين) او (اذن) او (شكل) او (قدم) او (رجل) او (نظر) او (تكلم) او (مدينة) والاصل فيها وجه المدينة

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى فيتولد فيها المميز بين الاسم والفعل مع خلوها من حروف الجر والعطف وسائر الادوات وصيغ الاشتقاق كما ترى في اللغة الصينية فالصينيون يعبرون عن حرف الجر « في » بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كوشنغ » ومفادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شاجن اي تنغ » مفادها حرفياً « قتل رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ومن قاطني اواسط افريقيا قبائل تعرف بقبائل « مندنجو » اذا ارادوا تأدية معنى « على » قالوا « كنغ » اي عنق او « في » قالوا « كونو » اي بطن فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا في « في » . وادوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شاكل في اللغات الصينية هي في الغالب افعال او اسماء ذات معان مستقلة

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا ادوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص . والمشهور من هذا النوع اللغة البولينية . والقياس يقتضي ان لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز اصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا انزلت

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى فتتولد فيها بعض الادوات والحروف . وتولدها انما يكون بتنوع الفاظها بالبحت على كرور الايام فتتحول الاسماء او الافعال الدالة على معنى في نفسها الى الحروف الدالة على معنى في غيرها على طرق واساليب لا يمكن حصرها. ولكنها تبقى مع ذلك خلواً من مميزات العدد او الجنس في افعالها كما هي الحال في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) التي قد توفر فيها عدد كاف من الادوات والظروف لكنها تشارك المتقدم ذكرها بانها لا مميز للزمن او الشخص في افعالها . والادوات التي تحسب ضرورية في الطائفة الارية والطائفة السامية في تركيب الازمنة والمشتقات لا وجود لها مطلقاً في اللغة المصرية . والتصريف الفعلي يقوم فيها باضافة الضمائر الى الاصل المتضمن الحدث اضافة بسيطة بدون تغيير في اصلها او اشارة الى مقصد المتكلم والتمييز في ذلك كله موكول بالقرينة . ولا وجود في لغتهم لما يسمونه عندنا مزيدات الافعال فالاصل هو الذي يقوم في التكلم مكان سائر تنوعات معناه . وتشاركها ايضاً باطلاق اللفظة الوحدة على الاسم او الفعل او الحرف فعندهم aa مثلاً تفيد قولنا عظيم فيختلف مؤداها باختلاف موقعها فتجيء بمعنى (جداً) او (عظيم) او (رجل عظيم)

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى فتتولد فيها مميزات الجنس والعدد والاشتقاق كما ترى في اللغات السامية (الا العربية) فان فيها الاشتقاق ومميزات الجنس في الاسماء والنعوت واشباهها ولكننا نرى فيها نقصاً تشارك فيه اللغة المصرية القديمة كخلوها من صيغ التفضيل مثلاً فالصفة المشبهة في تلك اللغات تقوم مقام انواع التفضيل الثلاثة . فيقولون مثلاً في الصفة المشبهة هذا حسنٌ وفي افعل التفضيل هذا حسنٌ من ذاك ويقصدون بها هذا احسن من ذاك . واذا ارادوا تفضيل الفرد على سائر افراد نوعه قالوا ما يماثل قولنا ملك الملوك ويقصدون به قولنا اعظم الملوك او الاعظم بين الملوك

ثم ترتقي درجة أخرى فتتم فيها كل هذه المميزات مع خلوها من حالات الاعراب وهذه هي حالات اللغات الآرية الحديثة وتشمل معظم لغات أوربا الحديثة ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر وانما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر او بتقديم الالفاظ وتأخيرها فالفرنساويون يقولون مثلاً :

le lion tue le tigre اي الاسد يقتل النمر. واذا ارادوا العكس عكسوا ترتيب العبارة فقال le tigre tue le lion وفي الانكليزية the lion kills the tiger اي الاسد يقتل النمر و the tiger kills the lion النمر يقتل الاسد وهكذا في الاضافة وغيرها . ومعلوم ان لغة عامتنا نظراً لاهمال حركات الاعراب قد

اصبحت من هذا النوع

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى وهي ارقى ما وصلت اليه اللغات حتى الآن فتتولد فيها مميزات الاعراب . وهي حال اللغة العربية الفصحى واللغات اليونانية واللاتينية والالمانية . فان تقديم الالفاظ وتأخيرها قلما يؤثران في المقصود من العبارة اذا حفظت حركات الاعراب . ففي العربية الفصحى نقول قتل الاسدُ النمرَ وقتل النمرَ الاسدُ والاسدُ قتل النمرَ والاسدُ النمرَ قتل والنمرَ الاسدُ قتل (قتله) والنمرَ قتل الاسدُ وجميعها تفيد ان الاسد القاتل والنمر المقتول . واذا اردنا العكس لا نحتاج الا الى تغيير حركات الاعراب كما لا يخفى

كل ذلك تمَّ في لغات البشر قبل زمن التاريخ وترى تفصيل ذلك في كتابنا الفلسفة اللغوية

لغات العالم

ويحسن في هذا المقام ان نأتي بفذلكة عن لغات العالم على الاجمال من حيث تقاربها وتفرُّعها بعضها عن بعض مثل تفرُّع الناس الى امم وقبائل . وكما ان اصل الانسان واحد فاصل اللغات واحد

وقد يستغرب القارئ ان تكون لغات اوربا وفيها الانكليزية والفرنساوية والروسية ولغات زنوج افريقيا وهنود اميركا ولغات اسيا وفيها الصينية والتيبتية والهندية واللغات السامية ومنها العربية والعبرانية والسريانية كلها من اصل واحد تجمعها رابطة الاخوة او العمومة او الخؤولة ولكن الدليل يزيل الاشكال واليك البيان

بحث العلماء في القرن الماضي في اللغات واشتقاقاتها بحثاً تحليليًّا فحللوا الفاظها وقابلوا بين طرق التعبير فيها فوجدوا بينها تشابهاً يدلُّ على تفرعها بعضها من بعض ورأوا ذلك التشابه يختلف مقداراً بنسبة ما بين متكلمي تلك اللغات من القرابة . فالتشابه بين اللغات العربية والعبرانية والسريانية اقرب مما بين العربية واليونانية . ولكنه اقرب بين هاتين اللغتين مما بين احداها واللغة الصينية . فقسموا اللغات بهذا الاعتبار الى رتب وصفوف وطوائف بنسبة قرب ذلك التشابه وبعده . وجعلوا اساس ذلك التقسيم حال اللغة من حيث الارتقاء لغة وبياناً . فقسموها اولاً الى رتبتين كبيرتين : « مرتقية » و « غير مرتقية »

فغير المرتقية تشمل ادنى اللغات بياناً وابسطها الفاظاً . منها اللغات الزنجية التي

يتفاهم بها الزنوج في الارخبيل الهندي وفي اواسط افريقيا . والاميركانية التي يتكلم بها هنود اميركا . والشمالية الشرقية الاسيوية وهي لغات القاطنين في جزيرة سغالين وشبه جزيرة كمشتكا وما جاورهما . والصينية وهي لغات الصين ومن اهم صفاتها ان الفاظها احادية المقطع لافرق فيها بين الاسم والفعل والحرف . والحامية وهي تتضمن المصرية القديمة . والحبشية القديمة والبربرية . وقد عدَّ بعض اللغويين المصرية من اللغات السامية لانها تقرب منها في بعض احوالها . وقال آخرون لا بل هي امها . وقد دعيت بالحامية لانهم يحسبون المتكلمين بها من نسل حام

والمرتقية تمتاز بسعة نطاقها واشتمالها على اكثر ما يحتاج اليه الانسان من انواع التعبير . ومنها لغات العالم المتمدن وتقسم بالنسبة الى قابليتها للتصريف والاشتقاق الى « متصرفة » و« غير متصرفة » وغير المتصرفة تشمل اللغات الطورانية ومنها الفروع التركية ويتفاهم بها القاطنون بين آخر حدود اوستريا الشرقية واسيا الصغرى فالتتر الى ما وراء اواسط اسيا وشمالاً الى الحدود الشمالية لسيبيريا ومنها ايضاً اللغات المغولية والتنقاسية والاوغرانية

ومن صفات اللغات المرتقية « غير المتصرفة » انها مؤلفة من اصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقاً وان الاشتقاق يقوم فيها بالحاق ادوات لامعنى لها في نفسها في آخر تلك الاصول . فلنا في التركية « ياز » وهو الاصل الدال على معنى الكتابة فيصيغون منه فعلاً ماضياً بالحاق « دي » في اخره فيقولون « يازدي » كتب . ثم اذا قصدوا الماضي السابق اضافوا « دي » اخرى فيقولون « يازديدي » اي كان قد كتب . واذا ارادوا الجمع اضافوا اداته « لر » فقالوا « يازديدلر » كانوا قد كتبوا ثم اذا ارادوا النفي ادخلوا اداته بين الاصل وما اضيف اليه فقالوا « يازمديديلر » اي ما كانوا قد كتبوا . وهكذا بين طلب وتمن واستفهام بحيث تبلغ الالحاقات العشرة عدًّا مع بقاء الاصل الفعلي على بنائه في اول اللفظ

واللغات المتصرفة تمتاز بقبول اصولها التصريف الحاقاً وادراجاً . وتقسم الى طائفتين عظيمتين

١ً الطائفة الآرية : او الاريانية او الهندية الاوربية وتدعى ايضاً « اليافثية » نسبة الى يافث بن نوح . وتقسم الى « جنوبية » وهي لغات جنوبي اسيا منها السنسكريتية وفروعها الهندية والفارسية والافغانية والكردية والبخارية والارمنية والاوستية و« شمالية » ومنها لغات اوربا وتقسم الى كلتية ومنها لغات جزائر بريطانيا الا انكلترا

وايطالية ومنها اللاتينية وفروعها وهي لغات فرنسا وايطاليا واسبانيا والبورتغال . وهيلينية منها اليوناني القديم والحديث . ووندية وهي لغات روسيا وبلغاريا وبوهيميا وتيوتونية وتتضمن لغات انكلترا وجرمانيا وهولاندا والدنمارك وايسلاندا

ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية انها مؤلفة من اصول قابلة التصريف ادراجاً وان الاشتقاق فيها يقوم باضافة ادوات معظمها ذات معنى في نفسها . وهذه الادوات يلحق معظمها في آخر الاصل وبعضها في اوله . مثال ذلك في الانكليزية (thank) شكر منها (thankful) متشكر او شكور او كثير الشكر ثم (unthankful) غير متشكر اوشاكر ثم (unthankfulness) عدم تشكر اوعدم شكر ومثلها (capable) كاف او قادر و (incapable) غير كاف او غير قاد و (incaqability) عدم كفاءة وهكذا في سائر التصاريف وعليه تجري سائر اللغات الآرية

٢ الطائفة السامية : نسبة الى سام بن نوح واشارة الى ان معظم المتكلمين بها من نسله . وتتضمن ما هو معروف باللغات السامية . وهي بوجود اللغة العربية بينها تعدُّ من ارقى اللغات بياناً واوسعها نطاقاً واغناها الفاظاً وادقها تعبيراً وتمتاز بكونها الحافظة لاقدم التواريخ اعني التوراة مكتوبة بالعبرانية . ومن المعلوم ان التمدن ظهر اولاً بين المتكلمين بها كالبابليين والاشوريين والفينيقيين وغيرهم . وهي تقسم الى ثلاثة اقسام ﴿ الاول ﴾ الارامية وفرعاها السريانية والكلدانية . فالارامية يراد بها لغة بابل القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشاً على بقايا بابل واشور بالاحرف الاسفينية والانبارية . والكلدانية وهي الارامية بعد ان لعبت بها ايدي الزمن فغيرت بعض الفاظها وقد كتب بها بعض اسفار العهد القديم كسفر دانيال وغيره وقد دعيت هناك بالارامية تساهلاً . لان بينها وبين الارامية الاصلية فرقاً واضحاً لفظاً ومعنىً . ولغة اشور ابعد عن هذه من لغة بابل . اما ما يدعى بين السريانيين في هذه الايام باللغة الكلدانية ليس الا السريانيـة نفسها مع بعض التغيير في الحركات . والسريانية هي الكلدانية المشار اليها مع تغيير في الفاظها ودلالتها تبعاً لما اقتضته الاحوال . فكأن اللغة البابلية القديمة دعيت في اول امرها آرامية ثم تغيرت قليلاً فدعيت كلدانية ثم وقع فيها تغيير آخر فدعيت سريانية . وحصل في هذه بعض التنوع في حركاتها فحسبت لغتين سريانية غربية وسريانية شرقية (كلدانية)

﴿ الثاني ﴾ العبرانية : وقد امتازت بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الاشارة وبكون الناطقين بها من اوضح الادم منشأ . واللغة التي يتكلم بها الاسرائيليون اليوم

ليست العبرانية صرفاً بل خالطها بعض الالفاظ الارامية او الكلدانية في اثناء اسرهم في بابل . ومن فروعها او اصولها الفينيقية والقرطجنية وكلتاهما مائتتان

﴿ الثالث ﴾ العربية . وهي اسمى اللغات السامية ومعرفتها ضرورية لاتقان اخواتها . وقد كانت محصورة في شبه جزيرة العرب حتى الاسلام . ثم اخذت في الانتشار الى ان ملأت الخافقين بسبب الافتتاح الاسلامي المشهور . فكانت يوماً ممتدة من الشرق الى الغرب بين اواسط الهند وشواطئ الاتلانتيكي ومن الشمال الى الجنوب بين البحر الاسود وبحر العرب . وبالجملة يقال انها عمت معظم العالم المتمدن في ذلك الحين . والحروف العربية المستعملة عند الاعاجم منهم هي من جملة الاثار الدامغة . ويتفرع من العربية لغة بلاد الحبشة وفروع اخرى تعد مائتة

واوضح صفات اللغات السامية انها مؤلفة من اصول ثلاثية الاحرف ثابتة . والاشتقاق لا يفعل على احرفها بل يقوم فيها بتغيير الحركات وعليها يتوقف نوع الدلالة مثاله في العربية « قتل » وهو اصل يتضمن معنى القتل فبتغيير الحركات فيه تحصل مشتقات عدة افعال او اسماء او نعوت تبعاً لنوع ذلك التغيير . فمنه « قَتل » فعل ماض معلوم و « قُتل » فعل ماض مجهول و « قتلٌ » مصدر و « قِتل » بمعنى العدو والمقاتل و « قُتلٌ » جمع قتول . وكذلك « قُتلٌ » . وقد تمد احدى هذه الحركات فيقال « قاتل » و « قتيل » و « قتول » و « قِتال » و « قتال » و « قتلى » الخ . اما قابليتها للاشتقاق على طريق الالحاق فتشارك الطائفة الارية فيها . لكنها تمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وبانها لا تقبل الادوات الملحقة اذا كانت ذات معنى في نفسها

العدُّ والارقام

كيف تعلم الانسان العد واخترع الارقام

(استنباط العد) العد بالارقام قديم جداً وقد احتاج اليه الانسان قبل احتياجه الى التكلم فقضى اجيالاً عديدة قبل ان تولدت اللغة وهو يعدُّ بالاشارات . واساس العد عنده الاصابع ولا يزال اثر ذلك باقياً الى اليوم . فان الخرس حتى في اعرق الامم في المدنية يعدون على اصابعهم . وفي لغات الامم المتوحشة الفاظٌ تؤيد هذا القول فان اهل الزولو اذا ارادوا التعبير عن الستة قالوا « تاتيسيتوبا » وتفسيرها في لسانهم « اخذ الابهام » ومعنى ذلك ان الحاسب عد اصابع احدى يديه وضم اليها

الابهام من اليد الاخرى . ولهذا السبب اصبح لفظ اليد والقدم والانسان اعداداً في كثير من اللغات . فان بعض قبائل الهنود على ضفاف نهر اورينوكو باميركا الجنوبية يعبرون عن الخمسة بقولهم « اليد كلها » وعن الستة بقولهم « واحد من اليد الاخرى » وهكذا الى العشرة فيقولون « اليدان » ويعبرون عن الاحد عشر بقولهم « واحد الى القدم » ثم « اثنان الى القدم » وهكذا الى الخمسة عشر فيقولون « كل القدم » ثم « واحد الى القدم الاخرى » ويتدرجون على هذه الكيفية الى العشرين فيقولون « انسان » ثم يقولون « واحد من يدي الرجل الآخر » اي واحد وعشرون . ولا يزالون على نحو ما تقدم الى الاربعين فيقولون « رجلان »

فاذا علمت ذلك هان عليك تعليل السبب في اتخاذ العشرة اساساً للعد لانها مجموع اصابع اليدين . والظاهر ان اجدادنا جعلوا قاعدة العدد اولاً الخمسة لانها اصابع يد واحدة ثم جعلوها العشرة لسبب لا نعلمه . فان زنوج السنيغال في غربي افريقيا لا يزال اساس العدد عندهم الخمسة فاذا عدوا الخمسة وارادوا ما بعدها قالوا « خمسة واحد . خمسة اثنين . خمسة ثلاثة . الخ » كما نقول نحن « احد عشر . اثنا عشر . ثلاثة عشر . الخ » ولا يزال هذا النمط من العدد محفوظاً في الارقام الرومانية التي كان الرومانيون يستخدمونها قبل استخدام الارقام الهندية

على ان بعض الامم يجعلون اساس العدد العشرين . ومن هذا القبيل تعبير الانكليز عن الثمانين بقولهم Fourscore اي اربعة عشرينات . وقول الفرنساويين لهذا المعنى Quatre-vingt فيقول الانكليز Fourscore a d three والفرنساويون يقولون Quatre-vingt trois اي ثلاثة وثمانون . ويدل ذلك على ان بعض قبائل الجرمان القدماء كانوا يعدون بالعشرين وهي مجموع اصابع اليدين والرجلين . على ان الجمهور يعدون بالعشرات وعليها وضعت الارقام

(الارقام) اما وضع العلامات للدلالة على الاعداد فانه طبيعي وقد تدرج الى ما نسميه بالارقام . وبديهي ان الانسان لما اراد في اول الكتابة ان يدون الاعداد عبر عن الواحد بخط او نقطة او عقدة او فرض في عود . فاذا اراد الاثنين ضاعفها كما يفعل بعض هنود اميركا الى اليوم وهكذا كانت تفعل الامم التي تمدنت قديماً وربما ظل الانسان اجيالاً لا يعد بغير هذه العلامات ولو تجاوز العشرة او المئة . ثم راى في ذلك مشقة وتشويشاً لانه اذا اراد التعبير عن المئة مثلاً رسم مئة خط او نقطة او عقد بالخيط مئة عقدة او فرض في العود مئة فرضة . فدلته الحاجة الى اختراع كفاه

مؤونة هذه المشقة . فوضع علامة للخمسة وأخرى للعشرة ومثلها للخمسين والمئة والالف . فاذا اراد التعبير عن خمسة عشر مثلاً رسم العشرة والخمسة بجانبها او الثلاثين رسم ثلاث عشرات او ٣٥ رسم ثلاث عشرات وخمسة . على ان بعض الامم خالفت البعض الآخر في ذلك فلا تضع علامة للخمسة ولا للخمسين بل دلوا على الاولى بخمسة آحاد وعلى الثانية بخمس عشرات — كذلك فعلت الامم التي تمدنت قديماً في مصر وفينيقية وتدمر كما يؤخذ من آثارهم الباقية المبينة في الجدول الآتي

	الهيروغليفي	الهيراتي	الفينيقي	التدمري	السرياني
١	|	[illegible]	|	|	[illegible]
٢	||	[illegible]	||	||	[illegible]
٣	|||	[illegible]	|||	|||	[illegible]
٤	||||	[illegible]	||||	||||	[illegible]
٥	|||||	[illegible]	|||||	[illegible]	[illegible]
٦	||||||	[illegible]	||||||	[illegible]	[illegible]
٧	|||||||	[illegible]	|||||||	[illegible]	[illegible]
٨	||||||||	[illegible]	||||||||	[illegible]	[illegible]
٩	|||||||||	[illegible]	|||||||||	[illegible]	[illegible]
١٠	∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١١	∩|	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٩	∩|||||||||	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢٠	∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢١	∩∩|	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٣٠	∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٤٠	∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٥٠	∩∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٦٠	∩∩∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٧٠	∩∩∩∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٨٠	∩∩∩∩∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٩٠	∩∩∩∩∩∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٠٠	٩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢٠٠	٩٩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٣٠٠	٩٩٩	[illegible]		[illegible]	[illegible]
				[illegible]	[illegible]

ش ١٠ : الارقام القديمة

وترى في الشكل العاشر صور الارقام عند المصريين القدماء وبجانبها الارقام الهيراتية المتخلفة عنها ثم الارقام الفينيقية وتليها التدمرية ثم السريانية القديمة وقد تدرجت فيها تدريجاً فترى الارقام الهيروغليفية ابسطها كلها لانها قاصرة على مضاعفة الواحد والعشرة والمئة تليها الارقام الفينيقية وفيها علامة خاصة بالعشرين ثم التدمرية وفيها علامة للخمسة وأخرى للعشرين . ثم السريانية القديمة وفيها علامة للاثنين واخرى للخمسة ومثلها للعشرين فضلاً عن علامات للواحد والعشرة والمئة

٥ — الكتابة

الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة

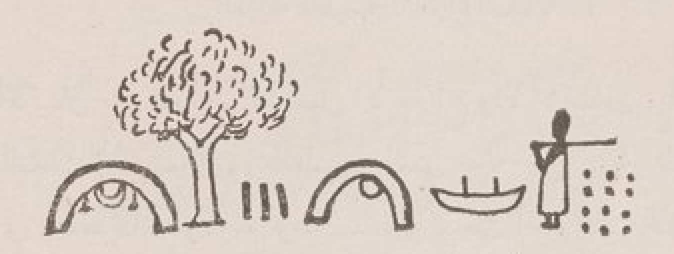
خلق الانسان بين عاملين هما اصل الاختراع والاكتشاف : اولهما الضرورة التي تسوقه الى البحث وثانيهما النور الطبيعي الذي يدله على اسرار الطبيعة ويهديه الى ما يساعده في حفظ ذاته ودوام نوعه . ولو تتبعت اختراعات الناس من النار التي لم يدرك التاريخ زمن اختراعها الى خصائص الراديوم التي سمعنا بها الامس لرايت الدافع اليها كلها الضرورة على حد قولهم « الحاجة ام الاختراع »

فقضى الانسان قروناً متطاولة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتكلم ولكنه لا يكتب . فما لبث ان تكاثر وتآلف واتسعت علاقاته وعكف على الاسفار التماساً للرزق حتى اضطر الى الكتابة لمخابرة جاره او تدوين حوادث امسه اوتقييد ملاحظاته وآثاره

فلنفرض قبيلة من قبائل البشر في اول عهد العمران يقتات افرادها على الاعشاب واقتناص الحيوان ويأوون الى الكهوف والمغاور الم بها مصاب همها أمره فاحبت تدوينه نحو « ان اسداً وثب على شيخها فافترسه » فما ظنك في الطريقة التي يخترعونها لتدوين تلك الحادثة . لا اخالك ترى وسيلة غير التصوير اما بالرسم او بالنقش على ما تقتضيه حالهم من الصناعة . فيرسمون اسداً واثباً على رجل ينهشه بمخالبه او نحو ذلك . وهي اول خطوة يخطوها الانسان نحو الكتابة ونسميها « الدور الصوري الذاتي » وهو ابسط ادوارها لانه قاصرٌ على تصوير الحادثة كما وقعت تماماً ولا فائدة منه الا في الحوادث المؤلفة مما يقبل التصوير . ولكن هناك معاني لا صورة لها في الخارج كالحب والبغض وكقولك اليوم والغد والصباح والمساء فضلاً عن المعاني الكلية . فهذه كلها يضطر فيها الى الرموز . فيرمز عن المحبة مثلاً بالحمامة وعن البغض بالحية وعن اليوم برسم الشمس في اعلى دائرة . فلنفرض اناساً جاؤوا تلك القبيلة بحراً وبعد مسيرهم ثلاثة ايام نزلوا الشاطيء ليلاً وكان شيخ القبيلة غائباً فاراد ابنه او احد اتباعه ابلاغه ذلك كتابة فلا نظنه بعد اعمال فكرته يهتدي الى طريقة يصور بها تلك الحادثة على غير هذه الصورة (ش ١١)

فيعبر عن العدو برسم رجل مسلح ويريد بالنقط الكثيرة ان الاعداء عديدون وبصورة السفينة انهم نزلوا البحر وبالقوس وفي اعلاها الدائرة وهما خط الهاجرة

والشمس في اعلاه يريد اليوم . وبالخطوط الثلاثة انهم ساروا في البحر ثلاثة ايام وبالشجرة البر . وبالقوس وفيه رسم الهلال وشيء يشبه النجوم ان الاعداء نزلوا الشاطيء ليلا



ش ١١ : الطريقة الطبيعية لتصوير الحوادث خطاً

وهذه خطوة ثانية نحو الكتابة وفيها صور رمزية فضلاً عن الذاتيــة ونسميها « الدور الصوَري الرمزي » ويمكن التعبير به عن اكثر حاجيات الانسان

ثم لا يلبثون بتوالي الاجيال ان يهتدوا الى اتخاذ صورة الشيء للدلالة على اول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة على اول مقطع من (عَدوّ) وهو العين مفتوحة واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين مفتوحة والشجرة على الشين مفتوحة . وقس عليه وهو اهم خطوة في اختراع الكتابة لان بها تحول الاشكال الصورية من الدلالة على اسمائها كامله الى الدلالة على اول مقطع من مقاطعها وهو مانسميه بالدور المقطعي

ولكن في رسم صور الحيوان والنبات وغيرها مشقة تحول دون انتشار هذه الكتابة وتداولها . على ان يد الانسان ميالة الى التنويع التماساً للسرعة واقتصاداً في الوقت فلا يلبث رسم الرجل المتقدم ذكره ان يتحول الى شكل يشبهه ثم يبعد الشبه كثيراً حتى لايعرف لذلك الشكل شبه مع بقاء دلالته الاصلية . فلا يعرف الا ان ذلك الشكل يدلُّ على العدو او على مقطع (عا) ولا يرون علاقة بينهما

ثم لا يلبث الانسان ان يهتدي الى اختراع الحركات فبدلاً من ان يدل الشكل الواحد على المقطع الواحد وهو حرف وحركة معاً يدل على الحرف فقط ويخترع له علامة تدل على الحركة او ما يقوم مقامها . فالشكل الذي كان يدل على العين مفتوحة يدل على العين بدون حركة وهكذا في ما بقي . فبدلا من ان يكون الشكل الدال على مقطع (عا) مثلاً محصوراً في الكلمات الداخلة فيها العين مفتوحة اومكسورة يُستعمل للدلالة على العين مطلقاً ويعبر عن الفتح او الضم او الكسر بعلامة تضاف اليها . وفي

ذلك من التسهيل والاقتصاد ما لايخفى . وهذا هو الدور الهجائي

فالادوار التي تمرُّ بها الكتابة قبل وصولها الى نحو ما هي عليه الآن اربعة :

١ الدور الصوَري الذاتي : وتدلُّ الصور فيه على المعاني الذاتية وهو قاصر لا يمكن التعبير به الا عن ابسط الحوادث

٢ الدورالصوَري الرمزي : وفيه فضلاً عن الصور الذاتية صور رمزية تدل على المعاني المعنوية التي لا صورة لها في الخارج . وفي هذا الدور يمكن التعبير عن اكثر ما يمرُّ بذهن الانسان من المعاني على اختلاف انواعها . ولكن يقتضي لذلك مئات بل الوف من الصوَر وفيه من المشقة ما فيه

٣ الدور المقطعي : وتدل الصورة فيه على اول مقطع من اسمها وهو خطوة كبرى في اختراع الكتابة فبين ان اللغة في الدور السابق لا يتم التعبير عن معانيها الا بالوف من الصوَر يكفيها في هذا الدور بضع مئات فقط

٤ الدور الهجائي : وفيه تصبح تلك المقاطع حروفاً وهو آخر خطوة بلغت اليها الكتابة حتى الآن فانك ببضع عشرات من هذه الحروف تعبر عن كل الفاظ اللغة مهما تعدَّدت وتنوَّعت

وفي الطبعة الثانية من كتابنا « الفلسفة اللغوية » مقالة ضافية في تاريخ الكتابة وتفرعها الى الاقلام المعروفة اليوم مع ايضاح ذلك بالرسوم

٦ — الاديان

التدين من اقدم طبائع الانسان ويكاد يكون عاماً في الجنس البشري من احط درجاته الى ارقاها . وليس هنا مكان الكلام على تاريخ الاديان او تفصيلها وانما اردنا ذكر فذلكة عن انواع الديانات ودرجاتها مما قد يحتاج اليه المطالع في تفهم ما يعرض له في اثناء الكلام عن معبودات الامم

ومرجع التدين على الاجمال الالتجاء الى قوة يستعينها الانسان في ضيقه وضعفه . واختلف الناس في تصوير تلك القوة فنهم من تصورها ولم يرها وبعضهم من صورها بيده ونصبها في معابده وبعضهم فعل غير ذلك . وتقسم الاديان بهذا الاعتبار الى مجاميع يطول بنا تفصيلها . وتقسم باجمالها الى روحية ومادية والمادية هي الوثنية على اختلاف ظواهرها والطوتمية والشامانية كما سترى

فالديانات الروحيـة هي التي معبودها روحٌ لا يرى . وتشتمل على ارقى الديانات

المعروفة وتدخل في عدة طوائف اهمها (١) الديانات الالهية التي يعبد اصحابها آلهة عظيمة غير منظورة (٢) عبادة ارواح الاسلاف اونحوها (٣) عبادة القوى الطبيعية

والديانات الالهية تقسم الى التوحيدية والمشركة والتوحيدية تشمل ديانات ارقى الامم المتمدنة . وترجع على الاجمال الى الاعتقاد باله واحد قادر على كل شيء اشهرها اربع ١ الزردشتية ديانة الفرس القدماء ٢ البوذية ديانة اهل الصين وغيرهم ٣ اليهودية ٤ المسيحية ٥ الاسلامية . وكلها باقية الى الان وقد اصاب بعضها تغيير اقتضاه اختلاف رؤسائها ومطامعهم واستيلاء الجهل على عامتها حتى اكتسب بعضها صبغة الشرك او تعدد الالهة او الوثنية . ونظراً لاشتهارها لا نرى حاجة الى وصفها هنا وسيأتي الكلام عليها

واما الديانات المشركة وهي التي يعبد اصحابها الهين فاكثر قد أمحى اكثرها من الوجود . اشهرها ديانات الامم القديمة في مصر وفينيقية واشور وبابل واليونان والرومان والبراهمة . على ان هذه الامم القديمة يغلب على الظن ان الاصل في عبادتها التوحيد ولا سيما الفراعنة . ولا نظن امة تمدنت وارتقت مدارك اهلها الا كان التوحيد اعتقادها . لكن طبيعة الناس حولتها الى الشرك التماساً للكسب على ايدي الكهنة او غير ذلك كما اصاب الديانات التوحيدية الاخرى من بعض الوجوه

اما عبادات الارواح غير الالهية فانها شائعة عند بعض الامم المنحطة ممن يعبدون ارواح اسلافهم او ارواح بعض الاهل والاصدقاء او العظماء وقد تتحول الى عبادة الوثن او تظهر بمظهرها وقد تختلط العبادتان كما ستراه في مكانه

وعبادات القوى الطبيعية تدخل فيها عبادة الشمس والقمر والرعد والبرق ونحوها وقد ارهبت الانسان في اول امره فاتخذها الهة بعضها للخير والبعض الآخر للشر

والديانات الوثنية هي التي يعبد اصحابها تماثيل ينحتونها او انصاباً ينصبونها او اشياء اخرى يقيمونها ويحومون حولها للتعبد او الاستغاثة او الاستخارة . وهي اصناف عديدة يدخل فيها طائفة كبيرة من ارقى الامم المتمدنة قديماً وحديثاً . فان الموحدين والمشركين منهم قد يتخذون اصناماً اوصوراً لايعنون بها عبادة الوثن وانما اقاموها تمثيلاً لبعض آلهتهم غير المنظورة . فاضلوا العامة بها فعبدوها وهم الهيون موحدون

واما الديانات الوثنية بالمعنى المراد تماماً فهي اليوم ديانات الامم المتوحشة وسيرد ذكرها مراراً في اثناء هذا الكتاب . ولذلك رأينا ان نبسط الكلام فيها . اهمها ١ الديانات الفتشية ٢ الطوتمية ٣ الشامانية ٤ التابو

١ — الفتشية

هي عبادة الانصاب واللفظ برتوغالي الاصل وضعه البورتغاليون الذين نزلوا غربي افريقيا قديماً اذ رأوا اهلها يحملون على اذرعتهم واعناقهم تعاويذ يقدسونها ويتقون بها الاذى واسم التعويذة في اللغة البورتغالية Feitiço (فيتيشو) فاطلقوا عليهم هذا الاسم ثم اطلق على عبدة الانصاب

وهم يقيمون الانصاب او التماثيل من الحجارة او الخشب او الطين او الشجر او غيرها يعتقدون فيها الكرامة والقدرة لانها مقر اله تلك القرية او البلد او المنزل فيلجأون اليها في حاجاتهم للاستشارة او الاستخارة او الاستعاذة او غير ذلك . ويقدمون لها الذبائح او القرابين فاذا رأوا من معبودهم ما يؤملون من خير او رعاية او وقاية بالغوا في احترامه وتمكنوا من اعتقاد الكرامة فيه . والا ابدلوه بسواه لان الروح او الاله فارقه ونزل في غيره

٢ — الطوتمية

« الطوتم » لفظ دخل اللغات الافرنجية في اواخر القرن الثامن عشر من لغة الاوجيبي من هنود اميركا ويراد به كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة ويعتقد كل فرد من افراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوتمه وقد يكون الطوتم حيواناً او نباتاً او غير ذلك . وهو يحمي صاحبه وصاحبه يحترمه ويقدسه او يعبده . واذا كان حيواناً لا يقدم على قتله او نباتاً فلا يقطعه او يأكله . وتختلف الطوتمية عن عبادة الحيوانات والنباتات الشائعة عند بعض تلك القبائل المعبر عنها بالديانة الفتشية المتقدم ذكرها ان هذه عبادة صنم بصورة حيوان وتلك تقديس نوع من انواع الحيوان او النبات او عبادته

والطوتم بالنظر الى مجموع القبائل ثلاث طبقات اولاً طوتم القبيلة وهو عام يشترك في احترامه كل افرادها ويتوارثونه . ثانياً طوتم الجنس وهو ما يختص باحترامه افراد احد الجنسين الذكور او الاناث فيكون خاصاً بنساء القبيلة او برجالها . ثالثاً الطوتم الشخصي وهو ما يختص باحترامه الفرد الواحد ولا يرثه ابناؤه والاول احراها بالاعتبار وعليه نجعل مدار كلامنا

﴿ طوتم القبيلة ﴾ هو حيوان او نبات اوشيء آخر يشترك في تقديسه اوعبادته افراد قبيلة من القبائل ويقسمون باسمه ويعتقدون انه جدهم الاعلى وانهم من دم

واحد مرتبطون بعهود متبادلة ترجع الى ذلك الطوتم . وله عندهم اعتباران احدهما ديني والآخر اجتماعي فالديني يراد به ما بين الرجل وطوتمه من العلاقة المتبادلة الرجل يحترم الطوتم والطوتم يحميه ويحفظه . واما الاجتماعي فهو الحقوق المتبادلة بين افراد تلك القبيلة التي يجمعها اسم ذلك الطوتم بالنظر الى القبائل الاخرى المنسوبة الى طوتمات اخرى وقد يختلف الاعتباران في كثير من الاحوال

فالطوتم من الوجهة الدينية يعتبر اباً للقبيلة وانها من نسله ولكل قبيلة حديث خرافي عن طوتمها يتناقلونه اباً عن جد يغلب ان يكون مداره على كيفية انتقاله من الحيوانية او النباتية الى الانسانية . فمن قبائل الايروكوا من هنود اميركا قبيلة تعرف بقبيلة السلحفاة يعتقد اهلها انهم متسلسلون من سلحفاة سمينة استثقلت صدفتها فالقتها عن ظهرها ثم تحولت الى انسان اولد اولاداً . ومنهم قبيلة الحلزون (البزاقة) يعتقدون انهم متسلسلون من الحلزون وانثى الجندبادستر — وذلك ان حلزوناً ذكراً خلع صدفته ونبتت له يدان ورجلان ورأس وتحول الى رجل طويل القامة جميل الصورة فتزوج انثى الجندبادستر واولدها هذه القبيلة . وقس على ذلك قبائل تنسب الى البط او الأوز او غيرهما من الطيور المائية . وفي سينغمبيا قبائل تنتسب الى وحيد القرن وفرس البحر او الى العقرب او الثعبان

فكلٌّ من هذه الحيوانات يعد طوتماً للقبيلة التي تسمى باسمه وهي تحترمه وتقدسه فلا تؤذيه ولا تقتله . فقبيلة البط مثلاً لا تؤذي هذا الطير ولا تقتله الا اذا عض احدها الجوع فيأكل البطة وهو يأسف ويستغفر . وكذلك اذا كان الطوتم نباتاً فانهم يحترمونه ويتجنبون ان يدوسوه او يأكلوه . فمن كان طوتمه الذرة مثلاً فاكلها محرم عليه واذا كان الطوتم شجرة حرموا احراق عيدانها

ولا يقتصر احترامهم الطوتم على تحريم اكله او اذيته فان بعضهم يحرم لمسه او النظر اليه . فقبيلة الايل من قبائل الاوهاما لا تأكل لحم الايل ولا تمس ايلاً ذكراً . وقبيلة رأس الغزال لا تمس جلد غزال قط . وقد يحرمون التلفظ باسم الطوتم فاذا اضطروا الى ذكره عمدوا الى الكتابة او الاشارة فمن هنود الدولاورس في اميركا قبيلة تنسب الى الذئب واخرى الى السلحفاة واخرى الى ديك الحبش فاذا اضطروا الى ذكر احدها كنوا عن الاول بالقدم المستديرة وعن الثاني بالساحف وعن الثالث بغير الماضغ . والقبائل المذكورة تعرف بهذه الكنايات

واذا مات حيوان من نوع طوتم القبيلة احتفل اهلها بدفنه وحزنوا عليه حزنهم

على واحد منهم . فقبيلة البومة في ساموا اذا وجد احد رجالها بومة ميتة فانه يقعد الى جانبها ويأخذ في الندب والبكاء ويضرب جبينه بالحجارة حتى يدميه ثم يكفن البومة ويحملها الى المدفن كانها بعض افراد القبيلة . ويعتقدون ان من اهان الطوتم او اساء اليه يصاب بالمصائب ويختلف اعتقادهم ذلك باختلاف القبائل او البلاد . فبعضهم يعتقدون ان من يأكل طوتمة تصبح نساء قبيلته عواقر وغيرهم يعتقدون انهم يصابون بالامراض او النكبات او نحو ذلك ويتوهم آخرون ان آكل طوتمه يجازى بالموت بان يقيم الطوتم في بدنه ولا يزال يأكل منه حتى يموت

ويؤمنون من الوجهة الاخرى ان الطوتم لا يؤذي صاحبه فالذين طوتمهم الحية مثلاً لا يخافون لسعها وعندهم ان الحية لا تلسعهم وكذلك قبائل العقرب في سينغمبيا فهم على ثقة ان العقرب السامة تمر على جسم احدهم ولا تؤذيه . وقس على ذلك قبائل الذئاب ونحوها وكثيراً ما يمتحنون بذلك قرابة من يدعي انتسابه الى احدها فمن زعم انه من قبيلة الثعبان اطلقوا عليه الثعبان فاذا لسعه قالوا انه مدع كاذب واهل هذا المبدا ينبذون كل من لا يراعي الطوتم جانبه ويتجنب اذيته

على انهم لا يكتفون من الطوتم ان يكف اذاه عن اصحابه او عباده ولكنهم يتوقعون ان يحسن اليهم ويدافع عنهم . فتعتقد قبيلة الذئاب ان الذئاب تدافع عنها في ساحة القتال . ويتوهم اكثر اصحاب الطوتمية ان الطوتم ينذر اصحابه بالخطر قبل وقوعه بعلامات او رموز على نحو ما يعبر عنه بالفأل او الطيرة

ومما يتقربون به الى الطوتم ابتغاء رضاه وحمايته ان يتشبهوا به فيقلدونه بشكله ومظهره ويلبسون جلده او قسماً من جلده او يتخذون جزءاً منه يعلقونه في اعناقهم او اذرعهم على نحو التعاويذ في الامم الاخرى . فلا يخلو فرد من تعويذة تدل على علاقته بطوتمه

ومن عاداتهم الدالة على اعتبارهم انفسم من نسل الطوتم ما يجرونه من الاحتفال عند الولادة او الزواج او الوفاة ونحوها من الاحوال . فقبيلة الغزال الاحمر مثلاً اذا ولد لهم طفل نقشوا ظهره بالحمرة واذا كان من قبيلة الذئب صاحت الولائد عند وضعه « قد ولد لنا ذئب صغير » ويخيطون بقميص الطفل قطعة من عين الذئب او قلبه . واذا تزوج واحد من قبيلة الكلب الاحمر في جاوى دهنوا العروسين برماد عظام كلب احمر . وقس على ذلك سائر القبائل بما ينتسبون اليه من انواع الطوتم ويحتفلون نحو هذه الاحتفالات عند الوفاة او الزواج

اما الطوتم الجنسي فيراد به اختصاص ذكور القبيلة او اناثها بطوتم خاص . فبعض القبائل في اوستراليا لذكورها طوتم ولاناثها طوتم آخر وكلاهما غير طوتم القبيلة وكذلك الطوتم الشخصي فان الرجل يكون له طوتم خاص به غير طوتم القبيلة وغير الطوتم الجنسي

اما طوتم القبيلة من الوجهة الاجتماعية فيراد به تعاقد اهل القبيلة فيما بينها باعتبار علاقتها بالقبائل الاخرى . فاهل الطوتم الواحد يعدون اخوة واخوات يتعاونون في السراء والضراء بروابط هي اشد مما بين افراد العائلة الواحدة اليوم . فيتزوج الرجل بامرأة من غير قبيلته وطوتم غير طوتمه وربما نشأ الاولاد على طوتم آخر فاذا انتشبت حرب تعاون اهل الطوتم الواحد على اصحاب الطوتم الآخر فينفصل الرجل عن زوجته والولد عن ابيه او امه

ومن شروط الطوتمية ان رجال الطوتم الواحد لا يتزوجون نساء من قبيلتهم ولا النساء برجال منها . وهو مايعبر عنه علماء العمران بالزواج الخارجي (Exogamy) ويعتقد اصحاب الطوتم ان التزوج في نفس القبيله مضرٌّ بالصحة حتى ينخر العظام ويعاقبون من يقدم عليه بالموت او العذاب الاليم . ولذلك فهم يتخذون نساء من القبائل الاخرى بالغزو او المراضاة او نحو ذلك . والاولاد يرثون على الغالب طوتم امهاتهم فكأن النسب يتصل بينهم بالامهات وليس بالآباء كما هو المعهود بيننا

وذهب الاستاذ روبرتسن سميث المستشرق الانكليزي الى ان العرب كانوا في اقدم ازمانهم من عبدة الطوتم والف في ذلك كتاباً سرد فيه ادلته على ذلك اهمها ما في اسماء قبائل العرب من اسماء الحيوانات كبني نمر وبني ثعلب واسد وغيرها . وقد رددنا عليه وبينا خطأه في كتابنا انساب العرب القدماء

٣ — الشامانية

ليست الشامانية ديناً مستقلاً وانما هي ضرب من العبادة او الاعتقاد الديني شائع من بعض الامم المغولية وهو قديم هناك ويوجد مثله الآن عند هنود اميركا . والشامان عندهم الكاهن واكثر اعماله سحرية وشعوذة بقطع النظر عن الانصاب او الطوتم او نحوهما وله نفوذ يشبه نفوذ الطبيب الروحي في الهند وهذا النفوذ مبني على اعتقاد الناس اقتدار الشامان في دفع الضر او جلب المنفعة بتأثيره على الارواح الصالحة او الشريرة واكثر هذه الارواح في اعتقادهم ارواح اسلافهم وله طقوس وفرائض سحرية او كهنوتية يستخرج بها النبات ويأتي المعجزات بتقديم القرابين



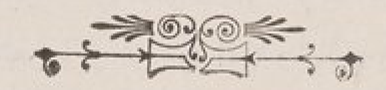
ش ١٢ : الشامان او الكاهن في سبيريا بلباسه الرسمي

والاضحية للارواح فهو من هذا القبيل تابع للعبادات الروحية وللشامانية احكام سيأتي الكلام عليها

٤ — تابو

ويعد من هذا القبيل ايضاً ما يعرف في اصطلاحهم بقولهم « تابو » وليس التابو عبادة وانما هو حرم او تحريم واصل معنى اللفظ « مقدس » اي لا يجوز مسه كالحرم في بعض الاديان . وهو في الديانات الوثنية من شأن الساحر او الزعيم . فاذا امر زعيم القبيلة او ساحرها ان يكون النصب الفلاني مقدساً « تابو » امتنع مسه على الناس . وقد يقدس الزعيم نفسه او بيته او غير ذلك

وهناك ضروب من العبادات او الكهانات يضيق عنها المقام فنكتفي بما تقدم وسترد تفصيلات اخرى في أثناء الكلام على الامم



طبقات الامم

اقسامها

فبعد ما ذكرناه من المقدمات التمهيدية ننتقل الى موضوع الكتاب نعني طبقات الامم كما هي الآن . وقد اختلف علماء الانسان في تقسيمها وتبويبها لاختلاف الاساس الذي يبنون ذلك التقسيم عليه . فكان المعوَّل عليه قديماً ان يقسم الناس الى ثلاثة فروع نسبة الى ابناء نوح سام وحام ويافث . وردُّوا كل صنف من اصناف الناس الى احد هذه الاقسام وعينوا مواطنها . وبعد شيوع التاريخ الطبيعي ذهب العلماء في تقسيم البشر الى اصناف حسب الوانهم . وذهب آخرون الى تقسيمهم حسب شكل الجمجمة او القامة او الملامح او القوى العاقلة او اللغات او غير ذلك . ومن تلك التقاسيم ما ذهب اليه بلومنباخ منذ قرن وبعض القرن فقسم الناس الى خمسة اقسام وهم : ١ القوقاسيون ٢ المغوليون ٣ الاحباش ٤ الاميركيون ٥ الملقيون . ومنها تقسيم الاستاذ هكسلي في اواسط القرن الماضي الى اربعة اصناف تختلف عن تلك وهي : ١ الاوستراليون ٢ الزنوج ٣ المغول ٤ البيض . ثم اضاف اليها نوعاً خامساً سماه الاسمر

وعوَّل آخرون على تقاسيم أخرى ولكل تقسيم حسنات وسيئات من حيث تحديد خصائص كل نوع وتطبيقه على ما هو معروف في الامم الحية . وآخر التقاسيم بناه اصحابه على ناموس النشوء والارتقاء وتاريخ نشوء الانسان . فرتبوا الامم طبقات حسب ما يرونه من تدرجها في الارتقاء — وهو ما عوَّلنا في هذا الكتاب نعني تقسيم الدكتور كين في كتابه « شعوب العالم » فالناس عنده يقسمون الى اربع طبقات كبرى هي :

١ الزنوج او السود : في السودان وجنوب افريقيا واوقيانيا او اوسترالازيا

٢ المغول او الصفر : في اواسط اسيا وشماليها وشرقيها

٣ الاميركان او الحمر : في اميركا

٤ القوقاسيون او البيض والسمر : في شمالي افريقيا وفي اوربا والهند وغربي اسيا وبولينزيا واميركا

ويقسم كل من هذه الانواع الى فروع عديدة سنأتي عليها في اماكنها . وهم يعتبرون بهذا الترتيب في تقسيمها تدرجها في الارتقاء . فلنصف كلاً منها على حدة . وعند الكلام في كل امة نصف مساكنها الاصلية ومساكنها الحالية وطبائعها الجسدية والعقلية ولغاتها وما تنقسم اليه من الفروع وغير ذلك

الطبقة الاولى

الزنوج

او الجنس الاسود

هم احط طبقات الامم في سلم الارتقاء . ويقسمون على الاجمال الى : (١) الزنوج الشرقيين في اوقيانيا (٢) الزنوج الغربيين في افريقيا

الزنوج الشرقيون

في اوقيانيا

﴿مواطنهم الاصلية﴾ مالايزيا وجزائر اندامان وفيلبين وغانة الجديدة وميلانيزيا واوستراليا وتسمانيا

﴿ مواطنهم الآن ﴾ شبه جزيرة ملقا واندامان وبعض جزائر الارخبيل الهندي وفيلبين وغانة الجديدة وميلانيزيا واوستراليا

﴿ صفاتهم البدنية ﴾ متوسط طولهم خمسة اقدام وستة قراريط . الشعر اسود جعد على الغالب . الانف كبير مستقيم وقد يكون اعقف قليلاً والبشرة سوداء او مائلة الى السواد والشفتان سميكتان لاتنقلبان

عددهم نحو ٢٠٠٠٠٠٠ نفس اكثرهم في غانة الجديدة وميلانيزيا . ويقسمون الى امم شتى اهمها البابوان في غانة الجديدة وشرقي مالايزيا . والميلانيز في جزائر بسمارك ولوسياد وسليمان وغيرها . والاوستراليون والتسمان القدماء قد انقرضوا . واقزام الزنج اوالبغمة في ملايزيا . والاندامانيون والسامانغ وغيرهم . واليك الكلام عن اشهرها

البابوان

Papuans

هم اقرب الزنوج الى مهد الانسان الاول في جاوى كما تقدم . وكانوا قديماً منتشرين على معظم الارخبيل الهندي لكنهم الآن محصورون تقريباً في جزيرة غانة الجديدة وبعض ما يحف بها من الجزر الصغيرة . وسكان جزيرة «كي» و«ارو» وغيرهما يمتازون بكثافة شعورهم وتجعدها فسماهم الملقبون لذلك « بابوا » ومعناه في لسانهم «جعدي» فعرفوا بذلك . والبابوان كثيرو التفاخر بهذه الشعور يبذلون جهدهم في المحافظة



ش ١٣ : بابواني والعقود في عنقه والازهار على ذراعيه

على شكلها المستدير فيسرحونها باداة مؤلفة من ستة عيدان من القصب الهندي محددة كاسنان المشط . يتلاهون باستخدامها كالمشط في ساعات الفراغ وبعضهم يصطنعون مشطاً هلالي الشكل او بشكل حدوة الفرس يغرسونه في مقدم الراس . ويشدون طرفيه بعود مكسو بالصفيح وعليه ريشة . ويتزين رجالهم بباقة من الاعشاب والازهار والريش الملون والشعر يشدونها الى اعلى الذراع (ش ١٣) اما النساء فيتحلين بعقود من الاسنان او الخرز يشدونها الى الاقراط ويربطنها بجديلة من شعورهن الخلفية . ويلبسن في ارجلهن خلاخل من النحاس او الصدف . واربطة مجدولة

حول اسفل الركبة يغرسن فيها طرف ثوب منسوج من سعف النخل يغطيهن من الوركين الى الركبتين

والبابوان من احط البشر كما تقدم لكنهم ارقى من ذلك بالنظر الى احوالهم الاجتماعية فهم يتعاطون الزرع ويصطنعون بعض انواع الخزف . ويبنون السفن والمنازل اما على الشجر او باعمدة ينصبونها على الارض . لكن اكثرهم يأكلون لحوم البشر . وفي عاداتهم ما يدل على انحطاطهم في سلم البشرية . فالمقيمون منهم على السواحل الجنوبية الغربية التابعة لهولندا مشهورون بسفك الدماء والخداع والتوحش . يقتلون النفس بلا سبب غير الرغبة في القتل . وهم مع ذلك اقل همجية من سكان القسم الشرقي عند الحدود الانكليزية والهولاندية . فان هؤلاء اذا اسروا انساناً ليقتاتوا بلحمه كسروا يديه ورجليه ليعجز عن الفرار ويستبقونه لغذائهم . فمتى ارادوا الاكل كان لحمه طريًّا فيطبخون ما شاؤا منه حسب الحاجة . ولهم طريقة أخرى في منع اسراهم من الفرار وذلك انهم يثقبون كفي الرجل ويشدونهما وراء ظهره بوتر اوخيط متين يدخلونه في الثقبين ويربطونه . ويحملونهم في القوارب الى منازلهم لتعذيبهم في احتفالاتهم . فمتى وصلوا القرية يلقون اولئك الاسرى في الماء ثم يتأنقون في استخراجهم منه باعمدة طويلة في رؤوسها صنانير من الحديد كالشناكل يغرسونها في لحوم اولئك المساكين ويجذبونهم الى البر . فيضعونهم على الحصر ويشدون اعناقهم الى شجرة ليجلسوهم ويأخذون بجلدهم وتعذيبهم . ثم يلفونهم بورق جوز الهند الجاف ويرفعونهم عن الارض نحو مترين وهم مشدودون بالامراس الى الشجرة . ويوقدون النار تحتهم ويصبرون حتى ينضج لحمهم وتحترق الامراس . فتقع تلك الجثث على الارض فينقضُّ البابوان عليها كالوحوش الضارية وفي ايديهم السكاكين . بل هم اشد وحشية من الضواري لانهم قد يقطعون يد الرجل ويأكلونها ولا يزال فيه رمق من الحياة وهم فرحون يرقصون ويصيحون . روى هذه العادة عنهم القس شالمر سنة ١٨٩٥ ثم وقع هو نفسه في الاسر وقتل على هذا الشكل

ديانتهم

وآلهة البابوان كثيرة الشبه بهم من حيث هذه الفظاعة . فهم يعبدون آلهة شيطانية يعتقدون انها تطوف البلاد وتظهر احياناً بشكل حيوان غريب يسمونه بلسانهم « اتيتيجي » له عين من الامام وعين من الوراء وست اصابع في كل يد . وان سبابة اليد

اليمنى تنتهي بظفر حاد . وانها تقيم في الكهوف وتسطو على الناس فتختار من لحومهم مايلذّ لها بعد ان تذوق اللحم قبل اكله من قطعة صغيرة تنتشلها براس ذلك الظفر . فاذا لذَّ لها امرت بذلك الاسير فسوّي على النار واكلته والا اطلقت سبيله



ش ١٤ : احد سكان غانة الجديدة من البابوان

والغربيون من البابوان يعبدون ايضاً الاسلاف فاذا مات احد آبائهم نحت الساحر خشبةعلى صورته يسمونها « كروار » يجعلون لها انفاً وعينين واذنين وفماً . ويقيمون لذلك احتفالاً بضعة ايام يرقصون ويفرحون . ولا تزال روح ذلك الميت ترف طائرة فيبذلون جهدهم في ادخالها ذلك الجسم الجديد (الكروار) ولا يزالون يضربون الطبول ويصيحون حتى تدخله ولا يعود في امكانها الخروج منه فيأمن الناس اذاها

فيضعون الكروار هذا في احدى زوايا المنزل ويغطونه بالحصر ويقدمون له الاحترام والقرابين ويستخيرونه في كثير من احوالهم العائلية . ويصطحبونه في اسفارهم ليحميهم من الاعداء . فاذا بلغوا الى مأمنهم ولم يبق له نفع طرحوه كما يطرحون قطعة من الخشب

وفي غانة الجديدة الانكليزية سحرة من البابوان يستشيرهم الناس في حاجاتهم .

فاذا اتى الطالب الى الساحر دفع اليه اجرته . فيتناول الساحر حزمة من القش يضع فيها شعرة من شعر الطالب وقلامة من ظفره او اشياء اخرى من آثاره . فتكتسب تلك الحزمة قوة سحرية غريبة حتى يكاد الناس يموتون رعباً منها . والتابو شائع في اوقيانيا كلها لكن له في غانة الجديدة شأناً خاصاً يدل على اصله فيها . فهو هنا لا تقدم له العبادة لكن له علاقة بالطعام وهو اهم مطالب الانسان في همجيته . فيستخدمونه لمنع الناس من مس الطعام او اكله بما يعلقونه عليه من ورق او خرق او اصداف باسم التابو . فيكفي ذلك لحفظ شجرة الجوز الهندي اوغيرها من اطعمتهم سالماً من الاذى . وقد يحيطون البساتين بالحبال او يشدون اغصاناً الى الابواب لمنع الناس من دخولها

ويقال بالاجمال ان الشعور الادبي في البابوان لا يزال في اضعف احواله فلذلك لا تجد عندهم قواعد ادبية ولا روابط اجتماعية غير الروابط بين القبائل . ولا صورة عندهم للعالم الآتي ولذلك فلا يقدمون ذبيحة او قرباناً لموتاهم كما يفعل سواهم . ويعتقد اهل جزيرة وودلارك في الطرف الشرقي من غانة الجديدة ان الريح تحمل ارواح الصالحين والخطاة معاً الى جزيرة واتوم المجاورة لهم فتقيم هناك كما كانت في قيد الحياة . والمرأة عندهم تشتغل بالزراعة والطبخ والرجال يشتغلون بالصيد والغزو ويتمتعون بسائر اسباب الحياة

وليس عند البابوان طبقات اجتماعية فهم اقرب الى الاشتراكية مما الى سائر اشكال الجماعات . ليس لهم رؤساء او زعماء الا من يتغلب بقوته الشخصية ولا يذعنون الا للراي العام

ويدل على تمكن المساواة من نفوسهم انهم يبنون منازلهم مشتركة بين المئات منهم فيجعلون طول البيت الواحد ٣٠٠ قدم الى ٥٠٠ او ٧٠٠ قدم بحيث يسع العشيرة كلها فيقيمون معاً بلا تمييز بين طبقاتهم . فهم متساوون ليس بالمعنى المراد من المساواة عندنا بل من حيث المعيشة معاً وهي لبساطتها لا ينفرد احد بشيء لا يتمتع به سواه . وقد يجعلون بيوتهم على الاشجار الكبيرة العالية اذا خافوا سطواً او غزواً

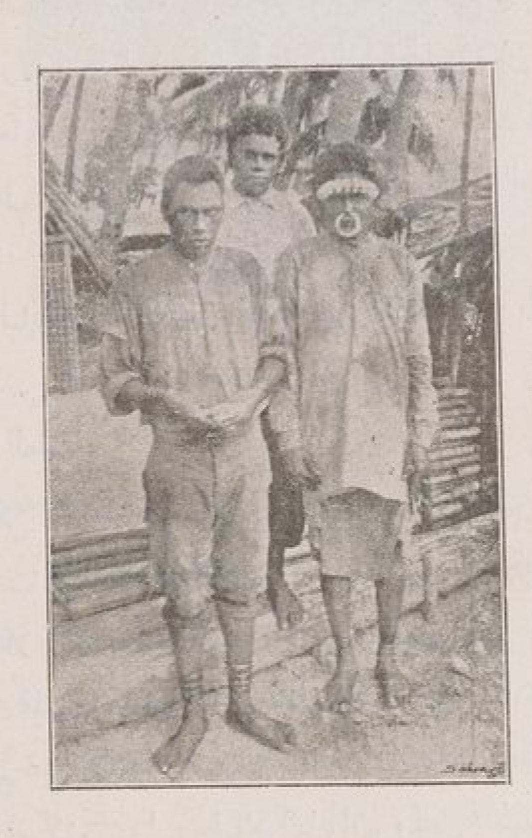
وقد وصف الدكتور ولس طبائع البابوان وقابل بينهم وبين جيرانهم الملقيين بعد ان درس ذلك طويلاً قال « اذا نظرنا في طبائع هاتين الامتين في ابدانهم وعقولهم وآدابهم راينا فرقاً كبيراً بينهما . فالملقيون قصار القامة سمر البشرة سبطو الشعر لا لحى لهم . والبابوان اطول قامة واسود بشرة واجعد شعراً ولهم لحى . والملقيون عراض الوجوه صغار الانوف منبسطو الجباه . والبابوان طوال الوجوه كبار الانوف

بارزو الحواجب . والملتي خجول بارد الطبع هادىء عبوس . والبابواني جسور حاد المزاج كثير الجلبة والضحك لا يعرف التكتم »

الميلانيز

Melanesians

يقيمون وراء غانة الجديدة في جزائر بسمارك (تشتمل على جزر بريطانيا الجديدة وايرلندا الجديدة ودوق يورك) وتمتد شرقاً جنوبياً الى كليدونيا الجديدة وشرقاً الى فيجي وروتوما . ويقيمون ايضاً في جزائر سليمان والأدميرالتي . والمظنون ان هذه الامة كانت متغلبة على جزائر البحر الجنوبي كلها ولا تزال آثار ذلك ظاهرة



ش ١٥ : اناس من جزيرة سليمان

في اهل تلك البلاد واحوالها في بولينيزيا وغيرها . والمتأمل لا يجد فرقاً كبيراً بين البابوان والميلانيز في طبائعهم الاساسية . واكثر الميلانيز شبهاً بجيرانهم البابوان هم سكان جزر سليمان والادميرالتي الا من حيث الانف فانه اصغر في الميلانيز وهم اقصر قامة

على ان الميلانيز انفسهم لا يدعون نسباً في امة اخرى بل يعتقدون ان اجدادهم خرجوا من الارض بشكل عود من قصب السكر نبتت منه عقدتان احداهما صارت رجلاً والاخرى امراة وهما اصل البشر عندهم . وهم كالبابوان من حيث رغبتهم في سفك الدماء والغدر واكل لحوم البشر . وقد تمكن المبشرون بالنصرانية من تلطيف تلك الطباع في طائفة منهم في جزيرة هبريد الجديدة . اما على الاجمال فلا يزالون سفاكين غدارين سارقين يأكلون لحوم الناس واموالهم

وهم مع ذلك يفوقون البابوان في القوى العاقلة ولعل السبب في ذلك كثرة اختلاطهم بالبولينيز . ويدل على رقيهم وجود النظام الاجتماعي والسياسي عندهم فيخضعون للرؤساء ولهم روابط للزواج وفيهم شعور ديني يمتازون به على اهل غانة الجديدة . على ان المستر كودرنتن الذي درس طباعهم يقول انهم ليس في لسانهم لفظ « شيطان » ولما اختلطوا بالافرنج واحتاجوا الى هذا المعنى في حديثهم استخدموا لفظه الانكليزي (دفيل) . وعندهم نوعان من الارواح الاول : ارواح بلا ابدان وهي خالدة لا تموت والثاني ارواح الاسلاف . واساس هذا الاعتقاد قوة يسمونها « مانا » مقتبسة من البولينيز يعتقدون انها تمنح المواهب للاشخاص والاشياء فتمنحها للبيوت والقوارب والاسلحة فضلاً عن الناس

ديانتهم

وبالاجمال ان كل الارواح الطاهرة ومعظم النفوس وبعض البشر عندهم « مانا » ولا يعبدون بعد الموت الا ارواح الذين يكونون قد اكتسبوا هذه النعمة في قيد الحياة وهم غالباً الرؤساء والزعماء . واما العامة لا مانا لهم في هذه الحياة فلا يعبدون بعد الموت . على ان الكل يصيرون الى عالم الاموات يقضون فيه حياة خالية من الاحزان الارضية . ويتصلون الى ذلك العالم من شقّ في الارض قرب بحيرة تجتمع عندها الارواح . ويستقبل القادمين زعيم الارواح هناك واسمه « نا كليفو »

واهل كليدونيا الجديدة يسمون الاله بلفظٍ معناه « الاموات » وهم يصلون لمن مات من رؤسائهم صلاة يرأسها بعض رؤسائهم الاحياء فاذا انقضت الصلاة رقصوا وطربوا . ويعتقد اهل انيتيوم ان الروح اذا فارقت الجثة طارت الى الطرف الغربي من تلك الجزيرة فتخوض البحر وتسبح الى مساكن الارواح المسمى عندهم « اوماتماس » ويزعمون ان الارواح هناك فئتان فئة صالحة وفئة شريرة وجزاء الصالحين الاطعمة اللذيذة

ويزعم اهل كليدونيا ان الارواح تذهب الى غابة العليق (العوسج) وهم يحتفلون للارواح كل خمسة اشهر احتفالاً يهيئون فيه الاطعمة كوماً ويختبىء العجائز رجالاً ونساء في كهف يمثلون فيه الارواح ترتل ترتيلاً لا يشبه ترتيل اهل الارض . ثم يخرجون من الكهف ويرقصون رقصاً بربريا

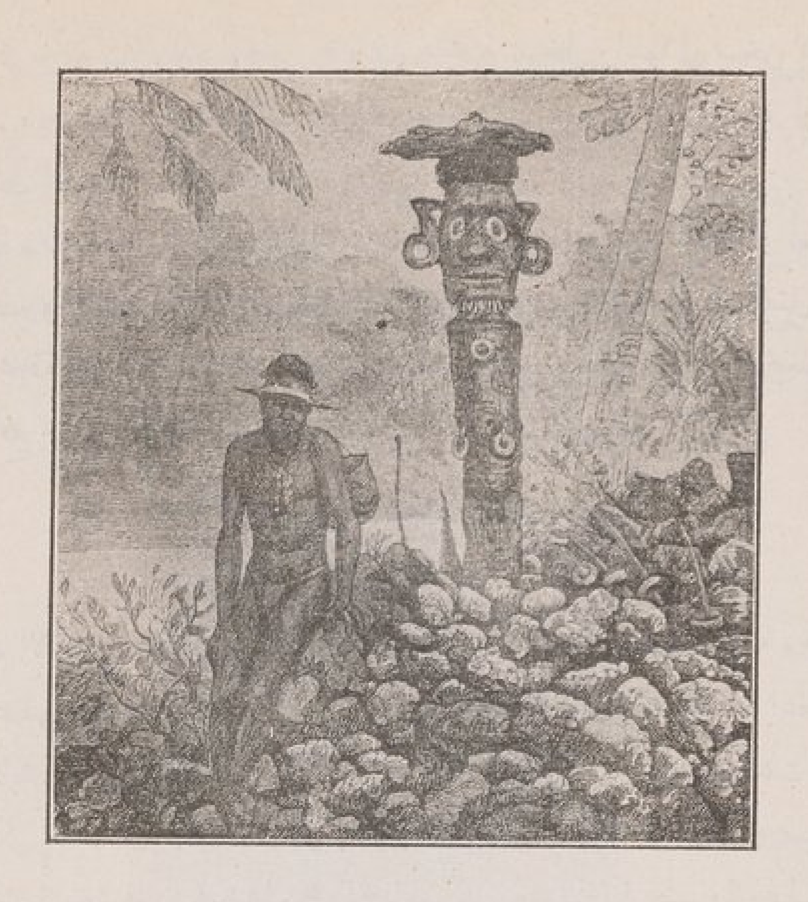
وعندهم اله خاص للعين يصلون له حتى يساعد عيونهم على رؤية النبال وهي تتساقط عليهم من الاعداء . واله للاذن يستعينون به على استطلاع خبر الاعداء او سماع وقع اقدامهم قبل وصولهم . وعند سكان ناما آلهة تصنع الامراض فاذا مرض احدهم نفخوا في بوق من صدف البحر صلاة لصانع المرض ويعدونه بالهدايا ويلتمسون منه ان لا يحرق بقايا الطعام لاعتقادهم ان احراقها يميت صاحبها

وفي كليدونيا صنف من الكهنة يزعمون انهم ينزلون الامطار بنبش الجثث وسكب الماء عليها . وعندهم لكل عائلة كاهن وعليهم جميعاً كاهن اعظم

واهل تانا يعبدون شجر البنيان ويقدسون بعض الاحجار . واما التماثيل فلا وجود لها عندهم . ولكنهم عثروا في مايكولو من جزائر هبريد الجديدة على تماثيل لا يخلو منها بيت من البيوت المقدسة في القرى . حتى نقد يكون في البيت الواحد منها ثلاثة تماثيل بالقد الطبيعي وعلها لباس الرجال . وهم ينظرون الى الاله نظرهم الى روح حقودة ويعتقدون بالكهانة والعرافة اعتقاداً متيناً ويزعمون في اصل الخليقة ان الالهة اصطادوا تلك الجزائر ثم خلقوا فيها الرجال والنساء

وقد رأى القبطان كوك الرحالة الشهير قبراً في كليدونيا قيل له انه قبر احد الكبراء ورآه مزيناً بالرماح النبال والاسهم والمجاذيف وغيرها مغروسة في الارض . وذكر ترنر ايضاً انهم يزينون الميت بمنطقة واساور من الصدف ثم يقطعون اصابعه وابهامه ليحفظوها تذكاراً منه ويفرشون القبر بحصير ثم يدفنون الجثة الا الرأس . وبعد عشرة ايام يقطعون الراس فيستخرجون الاسنان ويحفظون الكل تذكاراً آخر

واهل جزائر سليمان يحترمون ارواح الموتى احتراماً فائقاً بشرط ان لا تتجاوز الجد الاول . وعندهم ان ارواح عامة الناس تذهب الى جزائر قريبة منهم تطوف فيها تائهة لا تدري مصيرها . واما ارواح الكهنة والرؤساء فانها تظل بين الاقرباء لتستجيب طلباتهم عند الصلاة وتقبل قرابينهم . وعندهم صلوات يتناقلونهم خلفاً عن سلف وهم يحترمون العرّافين وكلاب البحر كثيراً



ش ١٦ : تمثال مقدس في جورجيا الجديدة من جزائر سليمان

ويعتقد الفيجيون ان للانسان روحين احداهما ظله ويسمونها الروح المظلمة ويزعمون انها تذهب الى الجحيم . والثانية صورته المنعكسة عن السطوح اللامعة كالماء او الزجاج وهي تقيم بجوار المكان الذي يموت فيه صاحبها

وان في السماء عالماً آخر مثل هذا فمن انتقل اليه عمل مثل اعمال هذه الحياة كالملاحة والصيد والقنص الخ . وعندهم لكل قرية اله خاص عواطفه وامياله كعواطف الناس واميالهم يحب ويبغض وينتقم ويدعو الى الحرب او السلم ويناظر آلهة القرى الاخرى فتتبادل الجزية والخصام والزيارات ونحوها . ويزعمون ان الالهة تحب لحوم البشر فمن سار الى حرب واكثر من القتلى فهو انما يقدم طعاماً للالهة وقد يقتل الرجل امرأته في هذا السبيل . واذا استطاع احدهم قتل رفاقه صبراً عدوه في مصاف الالهة

ومن الهة الفيجيين « اوي » وهو عندهم خالق الناس و « وراتومينيولو » وهو اله العقم وله ايام خاصة من السنة يحرمون فيها الخروج الى سفر او حرب او

مباشرة غرس او بناء . و« اودنجي » ويمثلونه بحية تدخل راسها في صخر لا تحسّ الا بالجوع . وبين الهتهم اصنام ذات ثماني اذرع او ثماني اعين او ثمانين معدة او غير ذلك من غرائب الخلق

واذا مات احد رؤسائهم قتلوا واحداً او غير واحد من نسائه او اصدقائه او اقاربه ليسيروا في خدمته الى العالم الاخر . وقد تطلب نساء الميت القتل من تلقاء انفسهن مخافة ان يعشن ذليلات اوجائعات بعد وفاته . وقبل دفن الميت يجعلون في يده فاساً يدافع بها عن نفسه ويصحبونه باسنان الحوت يسترضي بها الارواح

نظام الاجتماع عندهم

الجمعيات السرية

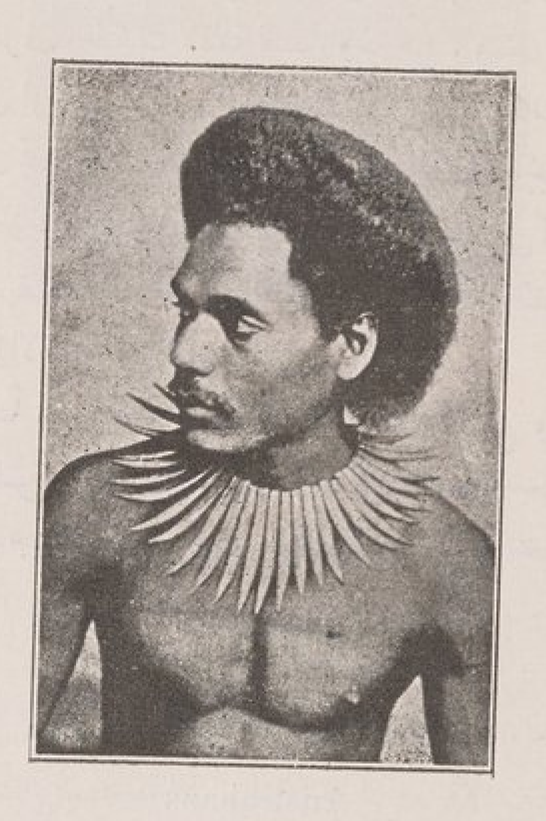
ونظام الاجتماع عند الميلانيز غريب في شكله لانه قائم بالجمعيات السرية وهي منتشرة انتشاراً عظيماً ولها طرق وشروط نحو ما في الجمعيات الماسونية عندنا . اعضاؤها من الرجال لايشركون النساء فيها وانما يختارون اللائقين من الرجال . فاذا دعت الحالة الى جلسة تنكر الاعضاء بأردية يلتحفونها وبراقع يغطون بها وجوههم . ويصيحون صياحاً خاصاً يتعارفون به ويدل على اجتماعهم عن بعد وان لم يظهروا . ولكل جمعية اسم تعرف به . منها « دكدك » في بريطانيا الجديدة و « ماتمبالا » في فلوريدا و « تاماتا » في جزائر بانكس و « كاتو » في هبريد الجديدة وجمعيات اخرى في فيجي وكليدونيا الجديدة . وهم يعتقدون ان الارواح تحضر اجتماعاتهم وترشدهم في ابحاثهم واحكامهم

وتقسم هذه الجمعيات الى رئيسية كالمحافل الماسونية الكبرى وعليها المعول في اصدار القرارات الهامة لايدخلها الا الكبراء وللانتظام في سلكها شروط صعبة . والى فرعية صغرى يسهل الدخول فيها . فطالب الانتظام في احدى الجمعيات الكبرى يكابد قبل قبوله مشقة عظيمة من التعذيب والتهديد والجوع ونحوه عدة اسابيع يعلمونه في اثنائها الغناء والرقص

الرقص

والرقص من اهم اسرار الجمعية او طقوسها وهو مدهش في اسلوبه فيرقصون غالباً على ضوء القمر في بقعة مكشوفة يحيط بها الحضور . وتتعاظم الضوضاء في الاحراج المجاورة مع اصوات كطلقات المدافع تخرج من مثانات ينفخونها ويضربونها بعنف حتى تنفجر . ثم يخرج الراقصون من تلك الغابات واحداً واحداً الى ساحة يجتمعون

فيها وهم يضربون الارض باقدامهم ضرباً سريعاً يتلوه وقوف فجائي . ويتقدم الراقصين زعيمٌ يحمل طبلاً من الغاب الهندي مستطيل الشكل ووراءه الرجال بالقوس والنشاب يرقصون بانتظام وتوقيع واذا تكاثر الراقصون ارتجت الارض بهم حتى تحسبها تميد تحت اقدامهم . ويكتسون يوم الرقص باحسن ما عندهم من المصوغات وفي جملتها اقراط ضخمة تتدلى من اذانهم الى اكتافهم وعقود من اسنان الحوت حول اعناقهم واكثرهم عناية بذلك اهل فيجي وهبريد الجديدة



ش١٧ . احد سكان فيجي حول عنقه عقد من اسنان الحوت

واما غناؤهم فيوقعونه على الرقص وعلى قرع الطبول ونفخ المزامير وضرب الاوتار وقرع الاجراس . يتوارثون اغانيهم بالتلقين جيلاً بعد جيل كما يتلقنون خرافاتهم واقاصيصهم وحكايات حيواناتهم وعجائبهم

القوارب والابنية وغيرها

والميلانيز يفوقون البابوان في ذلك كما يفوقونهم بالصناعات اليدوية كاصطناع القوارب والاسلحة وادوات الصيد وبناء البيوت والحصون والزخرفة على الاجمال . يصطنعون سفناً للحرب يستغرقون زمناً طويلاً في اصطناعها طول السفينة نحو ستين

قدماً وعرضها ستة اقدام يرفعون طرفيها نحو ١٥ قدماً ينتهيان بتماثيل رؤوس محفورة . ولتدشين السفينة بعد الفراغ من صنعها يضحون انساناً في سفرتها الاولى . فاذا لم يتقدم من يضحي نفسه اتفق القبطان مع احد جيرانه من الرؤساء ان يعطيه واحداً من رجاله ليس له من ينصره او يأخذ بثاره . فيغافلونه وهو واقف ينظر الى السفينة ويقتلونه بضربة على ام راسه . وكثيراً ما يدفنون الرجل حيا في اسس المنازل لهذه الغاية

ابنيتهم لطيفة ومنازل الرؤساء نخمة طول الواحد منها ثلاثون او اربعون قدماً في ثلاثين . يقسم الى غرف وطبقات لاقامة النساء وغيرهن . ومثل هذا البناء لا بد من تدشينه براس رجل او على الاقل راس امراة او غلام . وكانت العادة ان يسحقوا رجلاً او عدة رجال تحت قاعدة الركيزة الكبرى من البيت . ويجعلون في البيت غرفاً لخزن المؤونة من الخبز المجفف وفرناً للخبز واكياساً مدلاة من السقف يضعون فيها طعامهم اتقاء الفار . يقتنون الجرار من الجلد او الخشب او القصب الهندي للماء وناهيك بالسكاكين والاطباق من الخشب

وهم يمضغون نوعاً من المخدرات يسمى جوز الاريكا مع ورق نوع من الفلفل يسمونه « بتل » وكلس مرجاني . وليس عندهم مسكرات وطنية حتى الكاوا البولينيزية قلما يتعاطونها الا في جزائر بانكس وهبريد الجديدة بطريقة خفية

الاوستراليون

Australians

يرى الباحثون في طبائع الاوستراليين الان انهم يرجعون الى اصلين احدهما اسود والاخر يشبه ان يكون قوقاسياً منحطاً . ولكن الاصل الاساسي هو الاسود واما الملامح فانها زنجية

واهل ضفاف الادليد في الشمال الغربي من اوستراليا اقرب الاوستراليين الى اصلهم الاساسي . فانهم سود البشرة بلون القار رؤوسهم مستطيلة مع بروز الفك . عيونهم سوداء غائرة انوفهم منخفضة ومناخرهم واسعة وشفاههم ثخينة . تولد اطفالهم سمر الالوان او صفرها وتبقى كذلك سنتين . واما ملامحهم المميزة فهي سواد الشعر وكثافته بلا جعودة وقد يكون سبطاً واذا ارسلوا لحاهم كانت كثيفة واسعة



ش ١٨ : أوستراليان بلحيتين كثيثتين

والسبب في غزارة شعورهم وكثاثتها اختلاطهم قديماً ببعض القوقاسيين . ويؤيد ذلك انهم عثروا على جماجم اوسترالية تشبه جمجمة نياندرتال المتقدم ذكرها وجدوها في بقاع يسهل الوصول اليها من ملايزيا بحيث يصح ان ينتقل اليها الانسان الجاوي في العصر البليستوسيني يوم كانت اوستراليا لا تزال متصلة بقارة اسيا

فلما هبطت البقاع الموصلة بين القارتين ظل الاوستراليون ادهاراً منفردين عن سائر العالم حتى اكتشفها الافرنج في هذا العصر. فانقطاعهم في تلك البيئة كيف طباعهم على شكل خاص بهم يمتازون به عن سائر الامم من حيث الانحطاط في سلم المدنية . فلما نزح الاروبيون اليهم بعد الاكتشاف غُلب الاوستراليون على امرهم واخذوا بالانقراض . على انهم لم يكن عددهم عند الاكتشاف يزيد على ١٥٠٠٠٠ نفس ويؤخذ من احصائهم سنة ١٩٠١ انهم لم يبق منهم الا ٢٢٠٠٠ وفيهم الاصليون والمولدون واكثرهم لا يزالون في حال الهمجية

وهم من احط الامم شأناً لايبنون بيوتاً ولا اكواخاً وانما يأوون الى اخصاص من ورق الشجر لاتلبث ان تنفسها الريح . لا يحرثون ولا يزرعون وانما يقتاتون على جذور الشجر واثمارها ويأكلون الديدان والخنافس والجنادب ولحوم الحيوانات الصغرى

والكبرى حتى الانسان . لا يبنون سفناً لكنهم يتخذونها من جذوع اليوكالبتس . لا يلبسون ثياباً ولا يتقلدون من الحلى الا عظاماً يعلقونها في الحاجز الانفي او عقوداً من الصدف حول اعناقهم او الوشم دقاً على اجسادهم . لايساعدهم لسانهم ان يعدوا الى ما وراء الثلاثة فهم طبعاً خلو من العلم والادب والصناعة

اما الدين فقد ذهب بعض الباحثين انهم لا يدينون بشيء وبالغ آخرون بتدينهم حتى قال انهم يؤمنون بالله عام . والمشهور انهم لايصلون ولا يضحون ولا يتعاطون شيئاً من الطقوس الدينية ولا يعرفون خالقاً ولا يسجدون لصنم لكنهم يؤمنون بالارواح الشريرة وينسبون اليها الاخطار التي تلحق بهم على الخصوص في الليل . ولذلك فهم لا يمشون ليلاً الا على ضوء المشاعل ليطردوا تلك الارواح من طريقهم . ويقال ان بعضهم يعتقدون بوجود النفس في الناس والحيوانات . وانها تنتقل من جسم الى آخر وصاحبها حي . وتزور قبر صاحبها الاول وتقتات بفتات الطعام الملقى على الارض وتستدفيء بالنار

وكان الاوستراليون يتحدثون في مجتمعاتهم عن شخص اسمه « بونجيل » يزعمون انه خلق اكثر الموجودات في يده سكين كبير. وانه صنع الارض ثم اغار عليها بسكينه فجرحها وخددها فتولدت الانهار والتلال . فلما اختلطوا بالافرنج بعد الاكتشاف حولوا حكاية « بونجيل » هذا الى قصة من قصص التوراة وزعموا انه غضب لشرور البشر فأثار العواصف عليهم وجرد سكينه وحمل عليهم فضرب الارض واهلها فقطعهم ارباً ارباً . وما زالت تلك القطع حية تدبّ على الارض كالديدان حتى هبت العواصف فطارت بها الى السحاب ثم نزلت مطراً في اقطار الارض ـ هكذا تفرقت الامم . اما الصالحون منهم فبقوا في السماء نجوماً لا تزال تنير الى الان . والاعتقاد بهذا الاله شائع في فيكتوريا ونيوسوث ويلس . وعندهم مثلث مقدس مؤلف من « بوييا » القادر على كل شيء وابنه « غروغوراغالي » الوسيط بين بوييا والبشر . والثالث « موجيكالي » الشارع . وفي الاخرة جنة ونعيم ولعل ذلك الاعتقاد تسرب اليهم من النصارى النازلين بين ظهرانيهم

ومن عاداتهم انهم اذا مات احدهم بغتة نسبوا موته الى سحر من عدو . ولهم في البحث عن ذلك الساحر طريقة لايخلو ذكرها من فائدة . وذلك انهم بعد دفن الميت يكنسون بقعة حول قبره يمهدون ترابها جيداً حتى يسهل ظهور آثار المشي فوقها ولو كان الماشي خنفسة . فاول حيوان يخطو في تلك البقعة يتخذون جهة خطاه اشارة

الى الجهة التي اذا ساروا فيها انتهوا الى مقام الساحر . فاذا علموا الجهة انتدبوا اقرب اقارب الميت فيسير ماشياً حتى يلتقي بخيام او نحوها وقد لا يعثر على ذلك الا بعد مسير مئات من الاميال فينزل عندهم وهو يعتقد ان الساحر واحد منهم . فيقدم لهم طعاماً يصنعه هو فمن شرق بذلك الطعام كان هو الساحر المقصود بلا ريب فيهمُّ به ويقتله . وعندهم ان من يموت ولا يدفن تحول روحه الى روح شريرة تنتقل في الارض ويزعم بعض الاوستراليين ان ارواحهم تقيم في جزائر خليج سبنسر

وفي كوينسلاند قبائل يعتقدون انهم يصيرون بعد الموت بيض البشرة . واصل هذا الاعتقاد انهم كانوا يأكلون بعضهم بعضاً فكانوا اذا سلخوا الجلد الاسود عن ابدانهم بان الدهن من تحته ابيض فاعتقدوا بياض الارواح . ويؤيد ذلك انهم لما رأوا البيض لاول مرة ظنوهم ارواح اسلافهم راجعة اليهم . وقد ذكر السير جورج كري ان امرأة ظنته روح ابنها (وكان قد مات مطعوناً بحربة في نهر سوان) فالقت راسها على صدره وصاحت « نعم نعم هو هو بعينه » واوغلت في البكاء

والمآتم عند الاوستراليين على ضروب شتى لكنها في غاية البساطة فاذا كان الميت رئيساً او حاكماً جعلوا جثته في شجرة واحرقوها . ويغلب في الارامل من النساء ان يحلقن رؤوسهن . ولون الحداد عندهم الابيض فاذا حزنوا على فقيد كسوا اجسادهم بالدلغان الابيض . ويعتقد بعضهم ان الروح تظل بعد الموت حية وهي عند ذلك اما ان تبقى تائهة وحدها واما ان تحتل جسداً آخر ولكنهم يفضلون الحالة الثانية فلا ينفكون بعد موت فقيدهم عن التضرع الى روحه ان لا تبقى تائهة بل تستقر في جسد ما . ويعتقد آخرون ان الارواح تصعد بعد الموت الى منازل علوية في السماء وانها قد تهبط احياناً لتفتقد اجسادها

وبعض قبائلهم في اواسط اوستراليا يعتقدون الطوتمية وهي عندهم في ارقى درجاتها فيعتقدون ان كائنات سرية يسمونها « ايرونتاربنيا » تقمصت بها ارواح ابائهم في عصر قديم يسمونه « شرنغا » وكانوا اقوى من الناس الاحياء لان روحهم متقلة بالفأل الحسن الذي يسمونه « شورنغا » وهو « المانا » عند البابوان وبه يجعلون العشب يخصب والانسان يقوى على صيده ونحو ذلك

فالشورنغا مستقر ارواح ابائهم او رمز عنها يقدسها على الخصوص الاقوام الذين يرتزقون بالصيد وهم ماهرون فيه الى درجة لا يجاريهم فيها احد من المتمدنين او المتوحشين . فالاوسترالي من اقرب الناس فطرة الى الاستقلال لكنه لم يخط نحو

المدنية الا قليلاً لان تعويله في الصيد على الطريقة القديمة جعلت اكثر وقته منصرفاً الى تحصيل قوته فيقضي ايامه جائلاً في ارض الصيد الواسعة يبذل جهده في الاحتفاظ بما لديه من المصائد ومنع الزيادة من السكان لئلا يقاسموه رزقه . ويرى الباحثون في ذلك تعليلاً لشروط البلوغ والزواج عندهم من حيث الزواج من القبيلة او خارجها كما هو شأن اصحاب الطوتم على ان حقيقة هذه الشروط لا تزال مبهمة

والمعروف يقيناً انما هو احتقارهم المراة ومعاملتها بالفظاظة فمن كانت له ابنة وبلغت الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من العمر عرضها على احد الرجال للزواج . وبعد المساومة اذا تم الاتفاق على « بيعها » سلمها ابوها الى الزوج وهي لم تره من قبل . فاذا ابت هددها او صفعها واذا ارادت الفرار ضربها على رأسها حتى ترضخ . وتعمد الوالدة الى الصياح وقرع الارض بالعصا والكلاب تنبح والضوضاء تعلو والوالد مصرٌّ على عزمه فيقبض على الابنة من شعرها ويجرها قهراً الى بيتها الجديد

واسلحة الاوستراليين الرمح والحربة والقوس والدرق ونحوها وعندهم كثير من ادوات الصيد والقنص وغيرها

اما قواهم العاقلة والادبية فهي على الاجمال ارقى مما كان الناس يظنون فالزنوج البحت منهم اذا دخلوا المدارس دلوا على استعداد فيهم للتعلم اكثر من استعداد المولدين من اباء بيض ولا نظن هذه الميزة تبقى في سن البلوغ . واما شعورهم الادبي فقد قالوا فيه ان الاوسترالي شديد الوطأة على عدوه لطيف المعاملة لصديقه لكنه لا يرى بأساً من قتل الاطفال . وقد يطعم الغلام من لحم اخيه المقتول ليجمع القوتين في جسد واحد . على انه شفيق بمن يبقى من الاولاد حياً . اذا حرضته قبيلته ان يكون قاتلاً سافكاً فعل . لكنهُ في الحرب كريم الخلق لا يرتكب شططاً . يحب اقرباءه ويوقر الشيوخ . وقد ذكروا حوادث كثيرة تدل على صدق المودة بين الزوجين بحيث تفضل المرأة ان تدفن مع زوجها من ان تعيش بعده ارملة وكذلك الزوج مع امرأته المائتة وذكروا رجالاً اشتد بهم الحزن على صديق فقدوه حتى اشرفوا على الموت

واما حياتهم الاجتماعية فتتمثل في احتفالاتهم العامة للرقص المعروف في لسانهم باسم « كورو بوري » وهو نوعان احدهما يشبه الرقص الاعتيادي البسيط عندنا والآخر منتظم يتوالى ثلاث ليال ويشبه ما يفعله الميلانيز في جمعياتهم السرية . يتقدم فيه الراقصون ويتأخرون يحملون رماحاً او حراباً يهزونها او يديرونها يوقعون ذلك على الالحان الموسيقية . وكان « البنجل » وغيرهم من قبائل نيوسوث

ويلس يحتفلون مثل هذا الاحتفال عنـد بلوغ احد غلمانهم الرشد ويثقبون الحاجز الانفي لادخال قطعة الخشب او العظم فيه للزينة . وكذلك عند قلع الاسنان فالغلام اذا قلع سناً صار من صف البالغين وصار له ان يشترك في الحرب وصيد الكانغورو



ش ١٩ : انثى الكانغورو

وقد شهد الرحالة كولنس سنة ١٧٩٥ احتفالاً من هذا النوع قال في وصفه ا في حال وصوله وجد العاملين فيه من قبيلة « كميري » مجتمعين في جانب والغلمان المطلوب قلع اسنانهم في جانب اخر فبدأ الاحتفال بنغم الهجوم في الحرب والرجال يلوحون بحرابهم ويطلقونها حتى علا الغبار. ثم جيء بالغلمان من ذلك الجانب الواحد بعد الاخر فاقاموا هناك جلوساً الاربعاء متماسكي الايدي وهم مطرقون وظلوا كذلك الليل بطوله لا يحركون يداً ولا يرفعون بصراً ولا يذوقون طعاماً

وفي صباح اليوم التالي تقدم اولئك الممثلون صفاً واحداً وهم يصيحون صياحاً كالزئير ويدورون ثلاثاً ثم جيء باولئك الغلمان او الشبان جثوًا على ركبهم بحركات غريبة لامحل لتفصيلها — من جملتها ان يجلس الشبان في مرتفع ويصطف الممثلون اربعة اربعة ويدورون حول المكان مراراً واقواسهم معلقة في مناطقهم من الوراء كالاذناب . ويمثلون مناظر اخرى حتى ينتهوا اخيراً بقلع الاسنان وهواخر الاحتفال . وكيفية ذلك ان كلاً من الممثلين اوالسحرة يحمل على كتفه غلاماً ويصعد به الى مرسح الفصل الاخير . ثم يؤخذ الغلام المراد قلع سنه فيوضع على كتف

رجل جاثٍ ويؤتى بعظمة محددة قد احتفلوا بتقديسها في اثناء ذلك الاحتفال . ثم يتقدم الساحر بالعظمة ويوجه راسها الحاد نحو الولد يخرق بها لثته . ثم يعالج السن باداة كالازميل حتى تتقلقل فان لم تقلع ضربوا الغلام ولطموه والضجيج قائم في اطراف المكان ليشغلوا ذلك المسكين عن وجعه 'وليخ:واصوت تألمه . هكذا يفعلون في الاولاد جميعاً ويحتفلون ايضاً بثقب الآذان للاقراط وتحديد الجلود ولكل منها مغزى ديني وتعليل روحي

واعتقادهم في السحرة شديد جداً يعولون عليهم في كثير من اعمالهم اليومية في طعامهم وشرابهم وخروبهم وزواجهم وغير ذلك ويعدُّ الاوستراليون الاصليون من اهل العصر الحجري الحديث

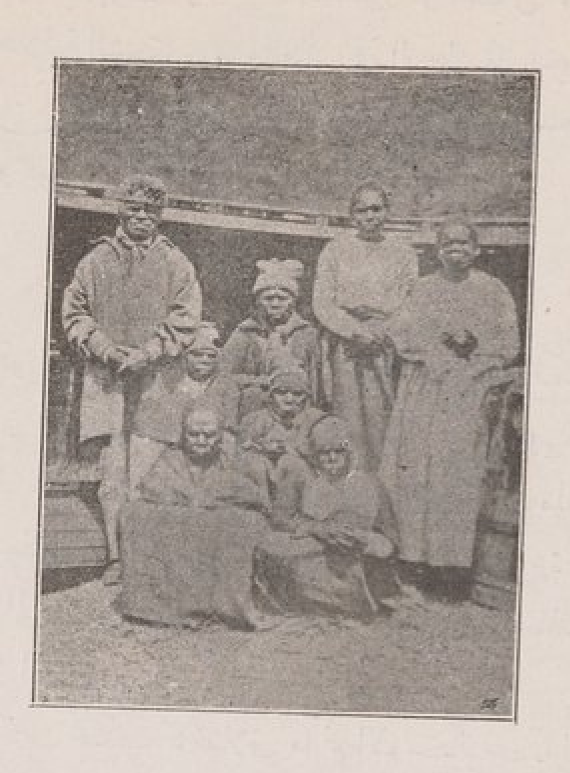
التسمانيون

Tasmanians

هم امة منقرضة كان منهم في تسمانيا جنوبي اوستراليا لما اكتشفها الافرنج جماعة قليلة انقرضت بالتدريج ومات اخرها منذ نيف وعشرين سنة وهم كما وجدهم الافرنج اعرق من الاوستراليين في الهمجية ويقابلون اهل العصر الحجري القديم او الاول

وقد اختلف الباحثون في حقيقة اصلهم فظنهم البعض شرذمة من الميلانيز تنوعوا ليس بالتزاوج بل بانقطاعهم دهراً طويلاً في جزيرتهم ويظنهم اخرون من الاوستراليين الاصليين تنوعوا بامتزاجهم مع الميلانيز. ويؤيد ذلك عرض جماجمهم عند الوجنتين وشكل الانف وبروز الفك وحجم الاسنان وخصائص الشعر فانها متوسطة بين شعر البابوان الجعد وشعر الاوستراليين الكث

واتفق العلماء على انحطاطهم في سلم المدنية واستدلوا على ذلك من ادواتهم الحجرية فانها تشبه بقايا العصر الميوسيني بخشونتها وبساطتها وانها لم تركب على الاخشاب بل تستعمل بالايدي . فالتسمانيون ظلوا الى عصرنا يمثلون العصر الحجري القديم بادواته واهله . وعدَّهم البعض احط الامم المتوحشة . حتى لسانهم فانه يمتاز عن سائر امثاله لفظاً ومعنى . فهو اقرب الى اللغات في اوائل ادوارها خال من الاحرف الصفيرية . ويشبه من الجهة اخرى اللغة الاوسترالية لكنه احط منها كثيراً وليس فيه قاعدة معينة لترتيب الالفاظ . وانما يعولون في ضبط المعنى على طبقة الصوت ونبرته وبالاشارات حتى يصعب عليهم التفاهم في الظلام . ويكاد لا يكون عندهم الفاظ للتعبير



ش ٢٠ : آخر عائلة تسمانية

عن المعاني المجردة . فمع وجود لفظ لاسم شجرة السنط واخر لشجرة الدلب مثلاً ليس عندهم لفظ لمعنى « الشجر » اسم الجنس ولا للتعبير عن النعوت بما يقابل قولنا «صلب» او لين او حار او بارد او نحوها فيعبرون عن قولنا صلب بقولهم « مثل الحجر » او مستدير بقولهم « مثل القمر » ونحو ذلك ويستعينون على الايضاح بالاشارات

ومع وجود عيدان الاشعال عندهم فلا ندري هل كانوا يولدون النار بالفرك او غيره لكنهم يذكرون وقتاً لم يكن عندهم فيه نار على الاطلاق ثم رماها اليهم شابان اسودان من قمة احدى التلال كالنجوم . فذعر الناس اولاً وفروا منها لكنهم عادوا وولدوا النار من الخشب قالوا « ولم تعد تعوزنا النار من ذلك الحين . وهذا الشابان يقيمان في الغيوم وتراهما في الليل بين الكواكب » ولم يكن عند التسمانيين اقواس ولا اتراس ولا غيرهما من ادوات الحرب سوى رمحين قديمي العهد واداة كالهراوة . وكانوا يأكلون الافاعي وقد يأكلون الانسان وهم نهمون يتناولون كميات كبيرة من الاطعمة اذا حصلوا عليها . وذكروا امرأة من جزيرة فلندرس اكلت خمسين او ستين بيضة اكبر حجماً من بيض الاوز مع مقدار كبير من الخبز . وكان عندهم قوارب من قشر

الشجر . اما مساكنهم فالكهوف او شقوق الصخور او اعشاش مصنوعة من الاغصان مدعومة بالعصي هلالية الشكل . والغالب في الرجال ان يسيروا عراة واما النساء فيستترن بقطع من الجلد وزينتهن عقود من الصدف ويدهنون بالمغرة الحمراء ومسحوق الفحم ونحوه

دياناتهم

قلما كانوا يفرقون من حيث العبادة عن اهل اوستراليا لكنهم كانوا يعتقدون بحياة مستقبلة يعدون فيها وراء طريدتهم بلا تعب ولا فشل . وينالون الملاذ التي كانوا يشقون في الحصول عليها في حياتهم فيتمتعون بها هناك بلا ملل ولا شبع . وكان يظن بعضهم انهم سينتقلون بعد الموت الى نجم آخر او جزيرة اخرى حيث يقيم اباؤهم ويتحولون الى شعب ابيض . ويعتقدون ايضاً بروح حاقدة تقيم في الكهوف والغابات فلا ينتقلون ليلاً

واما مآتمهم فقد كانت تختلف كاختلاف مآتم الاوستراليين . ولكنهم كانوا يبنون لجثث موتاهم اكمات كالمقابر يدفنونها فيها ويدفنون مع الميت رمحاً يحارب به في اثناء رقاده . ويغطي النساء رؤوسهن بالدلغان ويكسين وجوههن بمزيج من الشحم ومسحوق الفحم ويجرحن اجسادهن بالحجارة حداداً على الفقيد . وقد يدفنون مع الميت ازهاراً وشعوراً حلقتها النساء عليه . وهم يحترمون عظام الاموات فيضعون منها عظماً في كيس يعلقونه في اعناقهم . ويعتقدون ان الارواح ستعود اما لتباركهم او لتنتقم منهم

وفي الليلة الاولى بعد الوفاة يجلسون حول الجثة يعزمون ويستعيذون ويصلون باصوات منخفضة ليمنعوا ارواح الاعداء من الاستيلاء على روح الميت وللراقي او الطبيب عندهم منزلة كبرى ونفوذ عظيم . لان الراقين يستخدمون الطلاسم والشعوذة بما يشبه تنويم هذه الايام يطردون بها الامراض وقد يطردونها بخشخشة عظام الميت حول خشبة بيضية الشكل يسمونها في لغتهم « مويمبار » . وكانوا يحتفظون باحجار مقدسة يبالغون بحجبها عن النساء . وعندهم اقاصيص وخرافات تتعلق بالشمس والقمر والكواكب ولكنهم لم يكونوا يعبدون شيئاً منها

* * *

اقزام الزنج

او بغمة اوقيانيا

نيغريتو (Negritos)

النغريتو لفظ اسباني تصغير نيغرو (Negro) ومعناه الزنجي الصغير . لكنهم يريدون به طوائف من الزنج قصاراً يقيمون بين الملقيين الطوال في الارخبيل الهندي ويقابلون البغمة الاتي ذكرهم بافريقيا . ولا تصح هذه التسمية حرفيا على النيغريتو لان الذين ينطبق عليهم هذا الاسم هناك ويصح ان يسموا « بغمة » قليلون بخلاف بغمة افريقيا فانهم على الاجمال قصار لا يزيد طول احدهم على اربعة اقدام واربعة قراريط . اما بغمة اوقيانيا فكثيراً ما يبلغون خمسة اقدام ومتوسط طولهم اربعة اقدام و٨ قراريط

ويمتاز بغمة اوقيانيا عن بغمة افريقيا ايضاً بلون البشرة فهي في الاوقيانيين او الشرقيين سوداء وفي الافريقيين او الغربيين صفراء مع ميل الى السواد . وفي ما خلا ذلك فانهما متشابهان من حيث الملامح الزنجية فالجمجمة قصيرة مستديرة والفك بارزة وشعورهم قصيرة كثة غليظة

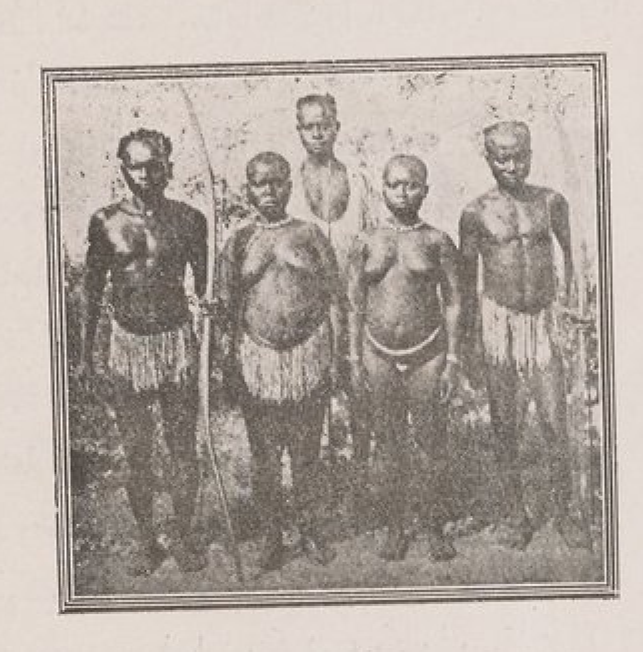
لم يبق لهؤلاء البغمة اثر في سومطرة ولا بورنيو ولا غيرهما من جزائر سنداس . ولكن منهم طائفة في جاوى واندامان وجزيرة بانكس وشبه جزيرة ملقا وفي فيليبين وغانة الجديدة . ويستدل من قرائن كثيرة انهم كانوا قبل زمن التاريخ منتشرين في كل ملايزيا وفي قسم كبير من الهند . ثم حصروا في خمسة اماكن منفردة وهي (١) جزائر اندامان وكانوا يسمون فيها « منكوبي » وكانوا مستقلين (٢) شبه جزيرة ملقا ويسمون هناك سامنغ وساكايس وجاكون (٣) في جاوى وكان منهم طائفة تعرف بالكالنغ انقرضت الان (٤) في ارخبيل فيليبين ويسمون هناك « ايتاس » وقد اخذوا بالاندماج في الملقيين (٥) الكارون في تلال ارفاك في الشمال الغربي من غانة الجديدة

الاندامانيون

Andamanese

ومما يستلفت الانتباه ان الاندامانيين اصبحوا بعد انقراض التسمانيين هم البقية الباقية من ابناء تلك الجزر . وظلوا منذ العصور الحجرية الى احتلال الانكليز منفردين

عن العالم . ولا عجب اذا اجابوا لاول مرة عن ارائهم في الكون بقولهم « ان جزائرهم تشمل الكون كله وان اولئك الانكليز اباؤهم القدماء بعثوا من القبور وقد اذن لهم ان يزوروا العالم (جزائر اندامان) » ولا يزالون حتى الان يسمون الهنود المنفيين الى بلادهم « شوغالا » اي الارواح المسافرة . ويعتقدون ان الارض مسطحة قائمة على شجرة باسقة لا تتوازن عليها فيتوقعون حدوث زلزلة تتبادل بها الاحياء والاموات اماكنهم . ولذلك فالاموات يتعاونون على هز تلك الشجرة وحل الحبل الذي يربطها بالسماء حيث يقيم « بولوغا » الحي الابدي العالم بكل شيء والمطلع على افكار الناس في النهار وليس في الليل . وقد خلق كل شيء الا ثلاث ارواح شريرة او اربع وهو غير مسئول عن شرورها



ش ٢١ : بعض اقزام اندامان

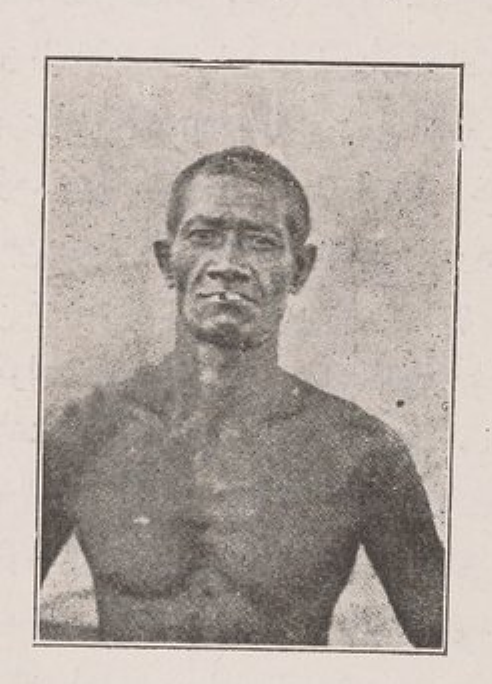
والاندامانيون اطول البغمة الشرقيين قامة متوسط طولهم اربعة اقدام وتسعة قراريط الى عشرة . وفي سحنتهم ملامح الاطفال وقد اثر الاقليم بملامحهم الزنجية . وهم معروفون بانطلاق الالسنة وطلاقة الوجه وحب الاستطلاع وكثرة الحركة وحسن معاملتهم لنسائهم . ويعتقدون انهن اعوان لهم يساوينهم في المنزلة . والزواج عندهم عقد دائم لا يعرفون الطلاق . وهم مشهورون بالامانة الزوجية طول الحياة

لغتهم مركبة لكنها خالية مما وراء الاثنين من الاعداد . ويعدون الى العشرة نقراً على الانف برؤوس اصابع اليدين . يبداون بالخنصر فيقولون « واحد » والبنصر

فيقولون « اثنين » وكلما نقروا باصبع بعدهما قالوا « وهذا » فاذا بلغوا الابهام في اليد الثانية وصار العدد عشرة ضموا اليدين معاً كانهم يقولون « خمسة وخمسة » وقالوا « اردورو » اي الكل ويندر ان يفعلوا ذلك . وانما الغالب اذا تجاوزوا الاثنين قالوا « كثير » او ما يشبه قولنا « لا يقبل العدد »

سكان نيكوبار
Nicobar

وجيرانهم سكان نيكوبار ليسو من البغمة او النغريتو وانما هم من الملقين وفيهم شيء من دم السود . ومنهم قبيلتان قبيلة « شوم بن » تقيم في داخلية نيكوبار العظمى وهم السكان الاصليون . وقبيلة تسكن الشواطىء من جالية مالايزيا والهند الصينية . على ان الفرق قليل بين ملامح القبيلتين وقد صغرت انوفهم وانبسطت وجوههم واحمرت الوانهم وصارت شعورهم سمراء بلون الصداء مع استرسال وقد تكون متموجة اوجعدة اما الشوم بن فشعورهم دائماً سبطة



ش ٢٢ : رجل من قبيلة السيكا في جزيرة بليتون

صنائعهم قليلة اهمها الخزف وهو محصور في جزيرة صغيرة اسمها « شورا » وقد أمر « الههم » غير المعروف ان لا يتعاطى هذه الصناعة غير نسائهم . فاذا خالفوا ذلك وارادوا اصطناعها في جزيرة اخرى اصابهم البلاء . واتفق ان امرأة حاولت ذلك فماتت

ووراء شواطىء سومطرا الشرقية جزيرة اسمها بانكا فيها قوم يقال لهم « اورانغ كونانغ » اي اهل الجبال اختلفت ملامحهم النغريتية فصارت شعورهم جعدة وانوفهم قصيرة ومناخرهم واسعة وشفاههم غليظة ومثلهم جماعة السيكا في جزيرة « بليتون » (ش ٢٢)

سامنغ

Samang

اما شبه جزيرة ملقا فاكثر من فيها من البغمة يعرفون بالسامنغ في اواسطها . وهم وحدهم حفظوا تلك الملامح واهل ملقا يدعونهم الاوران اوتان . لونهم اسود كتني شعورهم قصيرة صوفية انوفهم مسلطحة شفاههم ضخمة وملامح النغريتو بارزة فيهم. وهم بدو رحل لا يستقرون في مكان فيقيمون حيثما يتوفر لهم الصيد في عشش من سعف النخل . يكاد يكون لباسهم العري وغذاؤهم من جذور النبات والاسماك ولحوم النسانيس ونحوها . الملح قليل عندهم وحيثما عثروا بحجر مالح التقفوه بشراهة

كثيراً ما يلجأون الى الاشجار فراراً من اعدائهم « الساكا » جيرانهم فيتنقلون من شجرة الى اخرى على حبال يشدونها في اعالي الشجر كالجسور يمرون عليها بسهولة — حتى نساؤهم يمشين عليها وهن يحملن القدور وغيرها من ادوات الطعام واطفالهن على صدورهن وسائر الاولاد على اكتافهن . وهم كالاندامانيين يحبون نساءهم فينجونهن من غزوات الساكا والملقيين بهذه الوسيلة

اما الساكا فهم مولدون وقد انحازوا الى الاعداء واتحدوا معهم على سلب ابناء جلدتهم . والسامنغ يعتقدون تسلسلهم من نساء جبابرة سيأتين يوماً وينقذهم من اعدائهم . ومن هؤلاء النساء طائفة يسكن وراء الغابات كثيراً ما يشاهدهن الناس ويصفونهن باغرب الاوصاف من الشجاعة والقوة . والظاهر ان هؤلاء الساكا اتوا ملقا من جاوى في اثناء العصر الحجري القديم . وقد سكنوا هناك عشرات الالوف من السنين ولذلك اختلف لسانهم عن لغة الاندامانيين

والمرجح ان اصل البغمة (النغريتو) من جاوي وان كانوا قد انقرضوا منها ولكنهم كانوا يسمون « كالنغ » وكانوا منتشرين في انحاء تلك الجزيرة . وملامحهم المميزة لهم لا تزال ظاهرة في رجل بقي منهم الى عهد غير بعيد يدعى «أردي» يمتاز بمشابهة القرد ببروز فكيه . وهو كثير الشبه بالانسان القردي الذي عثروا على بقاياه في جاوي كما تقدم



ش ٢٣ : آخر الكالنغيين

وقد ذكر الدكتور مابو جماعة من من الكالنغ لا يزالون احياء . وقال فان موشنبروك راوي خبر « اردي » وناقل رسمه الفوتوغرافي المنشور (ش٢٣) انه شاهد مثل هذه الملامح في جهات اخرى من جاوى وان لم تكن تلك الملامح واضحة فيهم بهذا المقدار . وهو يعتقد بالكالنغ انهم الجاويون الاصليون وتغيروا بمخالطة الملقيين

الايتاس

Aetas

ومن البغمة الاوقيانية او الشرقية ايضاً طائفة الايتاس (او السود) المقيمين الان في جزائر فيلبين وهم من سكانها الاصليين ومنهم جماعات في هذه الجزائر حتى في مندانو . ولم يكن يظن وجودهم هناك قبلاً ولكن يصعب تمييزهم احياناً من الشعب المختلط بهم لاقتباسهم عادات جيرانهم وملابسهم ولغتهم . وعند التأمل تظهر فيهم الملامح الاصلية وهي الشعر الصوفي مثل فرو استراخان والانف المضغوط الواسع في الاسفل والشفة السفلى السميكة مع غور العينين وطول الذراع ودقة الاطراف وانحراف القدمين نحو الداخل . وكان الايتاس من قديم الزمان سادة جهات مانيلا يحكمون جالية الملقيين فيها . وكان هؤلاء يؤدون الجزية عيناً فاذا ابوا عوقبوا . وبعد دخول الاسبان الى هناك فرّ الايتاس الى الجبال واخذوا في الانقراض

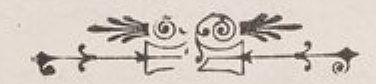
وفي بعض البلاد لا تزال العلائق موجودة بين السكان الاصليين والنازحين وقد جاء ذكرهم في حروب اميركا سنة ١٨٩٨ وكان لهم شان في تلك الحرب . ويمتاز

الايتاس بتفانيهم في سبيل الحرية والاستقلال الشخصي . فهم يتمتعون بالسعادة في غاباتهم واحراجهم لايقتنون العبيد ولا يرضخون للاستعباد لانهم يأبون الضيم كالاسود الكاسرة

ومما ذكر من هذا القبيل ان شابًا منهم حمل الى مدريد وتهذب في الكنيسة حتى سيم كاهناً . فلما عاد الى بلده فرَّ الى الجبال حالا وقد تحسنت حالهم الاجتماعية الان واساس نظام اجتماعهم استقلال كل عائلة باملاكها

والزعامة عندهم غير وراثية بل هي انتخابية لطول الحياة . والزعيم ينظر في كل ما يحدث من الخصام ويعاقب بما يراه . وهم شديدو التمسك بوحدة الزوجة ولا يخلون من اعتقاد ديني يستدل عليه من بعض طقوسهم ومن احوالهم العائلية في الزواج والولادة والموت

اما اهل كارون في غانة الجديدة فقلما يعرف عنهم لانهم عرفوا سنة ١٨٧٩ على يد رحالة فرنساوي اسمه رافري ولم يعلم عنهم شيء بعد ذلك . وانما يعرفون بانهم من البغمة ويأكلون لحوم البشر



الزنوج الغربيون

او زنوج افريقيا

تاريخهم العام

اشتهرت افريقيا بزنوجها حتى توهم البعض انها مقرُّ الزنوج دون سواهم وصار بعض الافرنج يريدون بلفظ افريقي ما نريده بقولنا زنجي او اسود او حبشي. ومعلوم ان سكان افريقيا مزيج من امم متباعدة الاصول والطبائع. وقد عرف ذلك هيرودوتس الرحالة اليوناني منذ خمسة وعشرين قرناً فقسم سكانها الاصليين الى امتين كبيرتين «الليبيين» وهم الحاميون في الشمال و «الاثيوبيين» الزنوج او السود في الجنوب. ولا يزال هذا التقسيم قريباً من الصواب حتى الان. فان الزنوج اليوم منتشرون في اواسط افريقيا. وجنوبيها من وراء الصحراء الكبرى الى راس الرجاء الصالح. يفصل بينهما خط يمتد من فم نهر السنغال الى تومبكتو ويمر شرقاً الى مجتمع النيل الابيض والازرق عند الخرطوم ومن هناك جنوباً الى خط الاستواء وشرقاً ايضاً الى الاوقيانوس الهندي

وقد حدثت مهاجرات كثيرة بعد زمن هيرودوتس. والتاريخ المصري القديم يذكر هبوط الزنج الى وادي النيل في زمن الفراعنة لاسباب مختلفة. وكثيراً ما كان الفراعنة يبعثون في طلبهم ليتخذوا منهم مضحكين ومهرجين. فقد جاء في بعض النقوش الهيروغليفية ان بابي الاول من العائلة السادسة (٣٧٠٠ ق م) جيء اليه بالذهب والعبيد من السودان الحالي وجاؤه برجل من البغمة ليكون في جملة الراقصين للالهة لتسلية صاحب عرش ممفيس. وكذلك بابي الثاني انفذ احد رجال دولته ليأتيه برجل من البغمة حي صحيح البدن

على ان النقابين عثروا على آثار هولاء الاقزام في اوربا عند محطة شوايزربلد في سويسرا. واستدلوا من ذلك على ان الخرافات التي كانت شائعة في اوربا عن الاقزام والعفاريت الذين كانوا يأوون الى الكهوف في الجبال لها اصل في اخبار هؤلاء البغمة يوم كانوا منتشرين في اوربا قبل زمن التاريخ. فقد عثروا في كهوف بلدي روسي قرب منتون بجوار ريفيرا على عظام زنوج كاملة لها افكاك بارزة ووجوه منبسطة واذرع طويلة جداً واعقاب كبيرة بارزة. وهذه اوضح ملامح الزنوج

الافريقيين . وقد ارتاد هذه الكهوف الدكتور فرنو ووقف على مثلها في قبور قديمة بايطاليا . وقال انه راى اثنين من بقايا اولئك الزنوج احياء في قرية جبلية قرب تورين

طبائعهم العامة

الزنوج الافريقيون رؤوسهم قصيرة مستديرة . قاماتهم متوسط طولها خمسة اقدام وستة قراريط . أما البغمة منهم فاربعة اقوام أو أقل . اللون اسمر قاتم أو مائل الى السواد وقد يكون اسود . الشعر اسود قصير صوفي وقد يكون سبطاً في المولدين . الفكان بارزان الوجنات صغيرة ومنخفضة . الشفة غليظة ومقلوبة يبان غشاؤها الداخلي . الحواجب مقوسة . الانف قصير ومسلطح او مقعر قليلاً والمناخر واسعة . العينان كبيرتان وسودوان مستديرتان وملتحمتهما مصفرة . اليدان طويلتان . القدمان عريضتان مسلطحتان ظهرهما منخفض . وهم ضعاف القوى العاقلة لا يشعرون بعزة النفس واباء الضيم فيهون عليهم الرضوخ للاسترقاق

ويقسمون الى فرعين كبيرين : (١) الشماليون او السودانيون وهم الزنوج الحقيقيون بالمعنى المراد من هذا اللفظ (٢) الجنوبيون وهم البانتو خليط من الزنج وغيرهم . غير الامم المولدة بالتزاوج بين الزنوج والقوقاسيين والحاميين وهي كثيرة منتشرة في انحاء تلك القارة . والمعول عليه في التمييز بين هذه الاقسام انما هو اللغة واحياناً الدين وانما يهمنا الزنوج الاصليون

فالسودان تقطنه اقوام تعددت لغاتهم حتى زادت على عشرين لغة . واختلفت احوالهم بعد اختلاطهم بالعرب المسلمين بالتزاوج وغيره . اما بلاد البانتو فبالعكس لان سكانها يتكلمون لغة او لغات من اصل واحد لايشاركها فيه غيرها . ولا تزال عبادتهم طبيعية من قبيل الارواح او الاسلاف . واما في ما خلا ذلك فيصعب التفريق بين زنوج السودان وزنوج البانتو وكلاهما غارق في الهمجية ليس فيهم شيء من دلائل المدنية او ما يشبهها . ويظهر ذلك في معاملتهم الخشنة للنساء وانحطاط شعورهم . فان اكل لحوم الادميين لا يزال شائعاً في اكثرهم الى الان . ولا يزال للسحرة دخل كبير في شؤونهم يأتون من الفظائع ما تقشعر منه الابدان . ليس فيهم اثر للعلم ولا للنظامات السياسية سوى التقاليد او العادات المتوارثة في قبائلهم

ويمتازون على الخصوص بتوقف قواهم العاقلة عن النمو بعد سن البلوغ . ويعلل العلماء ذلك بالتحام عظام الجمجمة قبل ان يبلغ الدماغ نموه الكافي . فتتوقف القوى

العاقلة عن الظهور وتحول النمو الى العضل . وذلك عام في زنوج السودان والبانتو على السواء وفي من يقيم منهم في جنوبي الولايات المتحدة . وقد لاحظ ذلك الدكتور فيلبيو سنة ١٨٦٠ فقال « ان الزنجي لا يزال ذكياً حاد الذهن سريع الخاطر نشيطاً حتى يقترب من البلوغ فيأخذ في الانحطاط ويظلم عقله ويتحول نشاطه الى خمول . ويختلف عن الابيض بان هذا لا يزال دماغه ينمو بنمو الجمجمة (او القحف) واما ذاك فيتوقف نموه بالتحام عظام الجمجمة وضغط عظم الجبهة »

وقال الكولونيل روفن رتشموند من فرجينيا (اميركا) « ان ابناء الزنوج لا يزالون يتقدمون في العلم الى سن البلوغ ثم يميلون الى البلادة ويتوقف ادراكهم » وكتب الكولونيل الس من غربي افريقيا يقول « ليس نادراً ان تجد جماجم الزنوج خالية من الدروز الطولية والعرضية » وشهد آخرون بذلك ونحوه . فنتج عن هذه العلة جمود هذه الامم وتوقفها عن كل تقدم ديني او عقلي او ادبي او صناعي او سياسي

على ان الاميركان جربوا التربية في تغيير طباع اولئك الزنوج عندهم فرأوا تأثيرها وقتياً . فاذا علمت احدهم بعض المبادىء الراقية في الاداب او الدين او الاجتماع سايرك لكنه لا يلبث اذا ترك لنفسه ان يرجع الى ماكان عليه . وقد جربوا ذلك على الخصوص في زنوج هايتي فعلموهم ونصّروهم ثم ما لبثوا ان عادوا الى عبادة الافاعي ونحوها ورجعوا الى الاغتذاء بلحوم الادميين وغير ذلك من عاداتهم الهمجية وذهب سعي المبشرين والمعلمين هباء منثوراً

ويرى بعض الباحثين من علماء الانسان ان زنوج افريقيا لو تركوا لانفسهم ولم يخالطهم العرب ثم الاوربيون لانقرضوا او رجعوا الى الطبيعة الحيوانية . ولنتكلم عن كل من قسمي الزنوج الافريقين الشمالي والجنوبي او السوداني والبانتي :

الزنوج السودانيون

يراد بالسودان في هذا المقام البلاد الواقعة في اواسط افريقيا شمالي بلاد البانتو . وكان الافرنج قديماً يسمونها بلاد الزنج وهو خطأ لان فيها جماعة كبيرة من امم مرتقية نعني العرب ومن خالطهم واندمج فيهم او في الزنوج من النوبة . فالمولدون من الزنج والنوبة اكثرهم في جنوبي اواسط افريقيا والمولدون من الزنج والعرب اكثرهم في شرقي السودان . وهؤلاء المولدون على الاجمال اقوياء واهل عزيمة وبطش ولهم همم وفيهم



ش ٢٤ : سوداني عربي

شمم ودهاء وتعقل . وقد انتظموا قبائل واعماً وانشأوا الحكومات وتعاطوا السيادة . والقيادة . ولنا بقيامهم في اثناء الحوادث المهدوية في اواخر القرن الماضي دليل كاف على ارتقاء عقولهم ومواهبهم . وهم على الاجمال مسلمون ومنهم قبائل عديدة منتشرة في انحاء السودان اشهرها المندنج والجلوف والصونغاي في السودان الغربي . والهوسا في شرقي النيجر . والكانمبو والكانوري والباجرمي عند بحيرة تشاد . والمباس في وداي . والفور والنوبيون والفنج في دارفور والنيل الابيض وسنار . واخيراً « الفولا » وهم قبائل صغيرة منتشرة من سينغمبيا الى بحيرة تشاد

غير الذين يعدون انفسهم عرباً ويرجعون بانسابهم الى اصل يتصل ببعض قبائل العرب في الحجاز او اليمن او نجد او غيرها . فهؤلاء يرجعون في مناقبهم وخصائصهم الى الجنس القوقاسي الآتي ذكره

واليك ذكر الامم السودانية من الزنوج المولدين وغير المولدين :

المندنج

Mandingans

في سينغمبيا وغيرها

المندنج او المندة امة كبيرة منتشرة بين البحر الاتلانتيكي ونهر النيجر . لها تاريخ مجيد منذ اكثر من الف سنة فأنشأت مملكتي مالة وغانة ثم ممالك ماسينا وبمبارة وكارتا وكونغ وغيرها . وقد اصبحت هذه الممالك الان مستعمرة فرنساوية . وتقسم امة المندنج او المندة الى اربعة فروع لا تزال الى الان تعرف باسمائها الطوتمية اي باسماء الحيوانات التي يعتقدون تسلسلهم منها وهي : (١) البامبا اي التمساح ومنها البمبارة (٢) مالي اي فرس البحر . ومنهم امة المالنكة (٣) ساما الفيل ومنهم السامنكة (٤) سا اي الافعى ومنها امة الساموخو . وهذه التسميات الطوتمية نادرة اليوم في افريقيا وان كانت عامة قديماً بها . وقد ذكرنا ما يريدون بالطوتمية في المقدمات التمهيدية من هذا الكتاب

وكان للمندنج شأن في القرن الرابع عشر للميلاد بقيادة زعيمهم « منسا موسى » في دولة مالة . وبلغت من الشدة والقوة ما لم تبلغه امة سودانية في ذلك العصر ولا في غيره . فان منسا موسى هذا اتسعت مملكته حتى اشتملت على معظم السودان الغربي والبقاع الواقعة غربي الصحراء . وذكروا انه حج الى مكة بجيش من ٦٠ ٠٠٠ مقاتل يتقدمهم ٥٠٠ عبد يحمل كل منهم عصا من ذهب وزنها ١٤ رطلاً . وقيمة العصي كلها نحو ٤ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه . فانبهر اهل القاهرة ومكة من تلك العظمة والابهة والثروة . لكنه في رجوعه اصيب رجاله بوباء يسمونه « توات » اهلك معظمهم ولا يزال هذا الاسم يطلق على واحة في ذلك الطريق حيث هلك معظم ذلك الجيش

اما الان فالمندنج ليس لهم حكومة ولا نعرف لهم احوالاً سياسية . لكنهم اشتهروا بالاعمال الصناعية او الفنية وفيهم جماعة من المزارعين والناسجين والمعدّنين . ويمتازون عن جيرانهم « الولوف » عند نهر السينغال بلطافة ملامحهم وكثافة لحاهم واشراق الوانهم . على ان الولوف اشد سواداً من سائر امم الزنج واكثرهم كلاماً وقد سموا بهذا الاسم اشارة الى ذلك لان « ولوف » في لسانهم معناه المتكلمون — او لعلهم سموا به لانهم افصح من سائر جيرانهم وتمتاز لغتهم عن سواها من لغات سينغمبيا بكثرة ما يلحق الادوات التي تضاف الى اواخر الكلم من التغيير حسب العوامل او المعنى المراد او احوال اخرى وهو من ادلة الارتقاء



ش ٢٥ : رجل سنيغالي

وهناك لغة تسمى لغة « الطبل » كثيرة الانتشار في غربي افريقيا . سميت بذلك لان في احرفها ومقاطعها شبهاً كثيراً بالضرب على الطبل بما يشبه التلحين . ولعل السبب في ذلك شدة ميلهم الى الموسيقى لانهم مفطورون على الاجادة فيها . واكثر ضربهم على الطبل وهم يتفاهمون بالضرب عليه على شكل غريب . فيأتون بطبلين أوثلاثة لكل منها نغمة ينقرون عليها بالاصابع أو بعيدان خاصة بها ويجيب الواقفون بتصفيق ايديهم على تلك النغمة . فالغريب لا يرى لضربهم لذة ولا يفهم له معنى لكنهم يفهمون منه الفاظاً وجملاً . وقد جرب الاستاذ بتس الالماني ان يتعلم هذه اللغة فتمكن منها حتى اصبح قادراً على المخاطبة بها . ويشبه ذلك ما يستعمله الاشانتي وغيرهم من الابواق التي يتفاهمون باصواتها

الولوف

Wolof

والولوف الآن يختلفون عن سائر سكان سينغمبيا من حيث الارتقاء الاجتماعي وهم مسلمون تهذبت نفوسهم وصقلت خواطرهم بخلاف جيرانهم الوثنيين ولا سيما السرار والفلوب فان اكثرهم زنوج قلباً وقالباً . فالسرار ويسمون ايضاً البتاغونيين

الافريقيين يمتازون بضخامة ابدانهم وقوة عضلهم وطول قامتهم مع ضعف قوائم العاقلة . وهم اطول سكان غربي افريقيا يبلغ طول الرجل منهم ستة اقدام وستة قراريط ولهم صور الجبابرة يبنون منازلهم كما يبنيها الولوف مستديرة من الاغصان والاعمدة بشكل قفير النحل . اذا مات صاحب البيت وضعوا سقف بيته على قبره . اسرتهم من الخشب والاغصان يسع الواحد منها ستة اشخاص او سبعة

وفي سينغمبيا طائفة من المغنين يسميهم الفرنساويون « كريوت » يطوفون الاحياء بالآلات الموسيقية ينشدون في الاحتفالات مدائح اصحابها . فهؤلاء يحتقرونهم ولا يدفنونهم اذا ماتوا بل يتركون جثثهم في الخلاء فرائس للنسور أو الضباع

ويعتقد السينغمبيون انهم يعيشون بسلام الى يوم الديثونية ثم يعودون الى الارض ويتمتعون بالمسرات رقصاً وغناء الى الابد . ويعتقد آخرون بمهاجرة الارواح وانها تجتمع في الهلال للتوسل الى ارواح الهواء والليل . وعندهم الهان رئيسيان اله العدل يدافع عن المظلوم وينصر الضعيف واله الثروة يساعد المشروعات المالية . وهم يحترمون الحيات لاعتقادهم انها تتنكر بمظاهر مختلفة وكانوا يقدمون لها قرابين من الخرفان والطيور وغيرها من الحيوانات الحية . واما الان فيكتفون بما يبقى لها من فضلات المآدب

الفلوب

Felups

وسكان مستعمرات انكلترا والبورتغال على ضفاف غمبيا في غربي افريقيا وكازامنزا اكثرهم من الزنوج الاصليين الوثنيين . قضوا قروناً بمخالطة الاوربيين ولم يخطوا نحو المدينة خطوة واحدة وهم يسمون هناك « الفلوب » على الاجمال ويقسمون الى طوائف صغيرة ليس لها نظام سياسي ولا اجتماعي . ولا يزال كثيرون منهم في حال الامومة من احوال الطوتمية اي ان السيادة في العائلة للام وبها تعرف الانساب ولها نفوذ كبير في كل حال . واهل كازامنزا لهم ملامح الزنوج مكبرة فان وجوههم كثيرة العرض واشداقهم واسعة وشفاههم مدلاة وانوفهم مضغوطة واذانهم طويلة واسعة يجعلون فيها عدة ثقوب لتعليق الاقراط حتى تتدلى الى الاكتاف . ويبردون اسنانهم الامامية (القواطع) كما يفعل اهل الكونغو العليا . ويغطون معظم ابدانهم بالحلي والعقود والاساور . وقد حاول المبشرون من المسيحيين والمسلمين ردهم الى



ش ٢٦: شخصان من الكونغو العليا اسنانهما مبرودة محددة

عبادة الله فلم يفلحوا كثيراً. لكنهم صاروا يحاسنون المسلمين فيقبلون منهم احجبة عليها آيات قرآنية ويأخذون من قسس البورتغاليين ما يشبه ذلك من الحلي

وعندهم طائفة من السحرة والعرافين. اذا اتهموا الساحر حاكموه الى كاس السم فيتناوله فاذا اماته اتخذوا موته دليلاً على ثبوت الجناية عليه وقد نال جزاءه. واذا اتهموا رجلاً بسرقة اتوه بقضيب من الحديد محمى الى درجة الاحمرار وادنوه من لسانه فاذا احترق ثبتت جنايته. ويعتقد الفلوب اعتقاداً مبهماً بكائن عظيم هو عندهم السماء والمطر والريح والعواصف. وعندهم عدة شياطين يرتعبون خوفاً منها وينسبون اليها الامراض. وهم من اكثر الامم استغاثة بالسحرة لكنهم اشدهم وطأة عليهم ويكرهونهم فاذا اتهموا احدهم بذنب عذبوه وقتلوه

ومع اعراقهم في الوحشية فقد اتقنوا بناء البيوت من الطين لمقاومة المطر اعواماً ويقسمون المنزل الى شقق في داخله. واهل ضفة كازامنزا النهى يبنون قوارب كبيرة جميلة ويصنعون اقواساً ورماحاً واسلحة اخرى تدل على حذق ومهارة. ولا سبيل الى النظر في احساسهم الادبي بالقياس على ما هو معروف في العالم المتمدن لانهم يعدون الغزو فضيلة وهي عندنا لصوصية لكنها تلائم احوالهم. وكذلك القتل فان الرجل في بورنو اذا خطب فتاة لا يرى نفسه اهلاً لنيل يدها حتى يطرح عند قدميها جمجمة او اثنتين. وهكذا الحال في اماكن كثيرة في سينغمبيا فالغلام لا يعد في مصاف الرجال حتى ينبغ في غزوة أو لصوصية. ومن ادلة الاحترام لميتهم اذا كان رئيساً ان يدفنوا معه فتاة او عدة فتيات. وفي بعض البلاد البعيدة يأكلون لحوم الآدميين مشوية

اهل سراليونية

Sierra Leoneses

اما سراليونية فأهلها على خلاف ذلك لانهم بعد اذعانهم للحكومة الانكليزية واختلاطهم بالمقيمين بين اظهرهم من الاوربيين المبشرين وغيرهم تلطفت طباع جانب كبير من مولَّديهم واكثرهم سلالة احرار اهل تمدن حملوا من اكثر نواحي افريقيا الغربية الى فريتون وقد انقذهم الانكليز من الاستعباد فلجأوا الى ذلك البلد الامين ونشأوا تحت ظل الاوربيين فارتقت احوالهم واوشكوا ان يدخلوا المدنية . ولما احتل الانكليز سراليونية كان اهلها يتكلمون نحو مئة وخمسين لغة . وكادت السنتهم تتبلبل فتداركهم الانكليز وجعلوا اللغة الانكليزية واسطة التفاهم بينهم . لكنها تغيرت على السنتهم حتى اصبحت غريبة عن اهلها لا يفهمها الانكليز انفسهم . وقد نقلوا



ش ٢٧ : رجلان من شرقي سراليونية

الانجيل اليها وطبعوه في لندن سنة ١٨٢٩ ثم راى قراء هذه اللغة هناك من تبدل الالفاظ والتراكيب ما يفسد الالسنة ويضحك القراء فمنعوا نشر هذه الطبعة . واهل سراليونية ينتمي اكثرهم الى الطائفة الانجيلية لكنهم لم يتخلقوا باخلاقها . وقد تفشى فيهم الشره والرياء وسوء الادب وبالغوا في الغطرسة حتى على اساتذتهم الانكليز فضلاً عن مواطنيهم

وهناك امة منهم تسمى تمني (Timni) كانت متغلبة في سراليونية قبل الاحتلال

الانكليزي شامخة بانفها . ومنها في وادي روكلي وراء فريتون جماعة اقوياء الابدان حسان الوجوه . وهم مثل اكثر الافريقيين يفضلون الزراعة على رعاية الماشية فيستغلون من الارز ما يكفي المستعمرة كلها

آدابهم ونظامهم

الجمعيات السرية

وعند التمنيين آداب واسعة تتناقل بالسماع اكثرها خرافات وقصص وامثال . ولنظام حكومتهم شكل خاص بهم وهو بصورته الظاهرة ملكيٌّ حتى يكاد يكون لكل قرية ملك صغير يحكمها . ومن غرائب عاداتهم انهم قبل انتخاب الملك يضربونه ضرباً عنيفاً ليمتحنوا قدرته على الصبر والاحتمال او لاسباب اخرى تدوسي الغرض منها . ومهما يكن من ذلك فان المرشح للملك قد يموت تحت الضرب . واذا لم يمت فانه لا يرى في مملكته ما يتوقعه من النفوذ أو السيادة لان الاحكام ترجع الى جمعية يسمونها بلسانهم « بورُا » لها سلطة غريبة على الملوك والرعايا معاً . نظامها يشبه نظام الجمعية الماسونية من حيث التكتم كما تقدم الكلام عن جمعية « دكدك » في ميلانيزيا ومثلها جمعية البولي في امة السوسو . ونحوهما من الجمعيات السرية المنتشرة بكثرة في غربي افريقيا ولها لغة خاصة وعلامات خاصة ورموز خاصة ووشم او وسم خاص يعرف به اعضاؤها فهي لذلك جمعية قوية او هيأة اجتماعية مخيفة او هي حكومة داخل حكومة

فالتمنيون (اهل تمني) كانوا من اشد قبائل سراليونية بطشاً وجمعيتهم حسنات وسيئات واوامرها مطاعة بلا مراجعة . وانما يحمل الناس على الطاعة وجود الفدائيين في هذه الجمعية الهائلة لان فيهم طائفة مسلحة يتنكرون تنكراً تاماً فيغطون وجوههم ويلتفون بالاردية ويتخللون الناس يراقبون حركاتهم ويفتكون بمن يشكون فيه . اما طقوسهم السرية فيقومون بها ليلاً في اعماق الغابات فمن تعدى عليهم او اراد بهم سوءاً قتلوه او استعبدوه وباعوه . ولا يؤذن للغريب ان يدخل اماكن اجتماعهم وقد يمنعونه المرور في ارض القبيلة ان لم يكن معه واحد او غير واحد من الاعضاء يعرفون كلمة المرور او بعض الاشارات السرية كما يفعل الماسون

السحرة

وللسحرة نفوذ كبير في امور هذه الجمعية وعندهم التماسيح والسباع المفترسة . فاذا افترس احدها رجلاً عدوا افتراسه شؤماً عليهم فيحرقونه . اما اذا مات احدهم موتاً

طبيعياً (وقلما يسلمون بوقوع هذا الموت لانهم ينسبون كل شيء الى السحرة والمشعوذين) فحصوا الجثة فاذا اتهموا احداً بقتله قتلوه او استعبدوه هو واهله. ويبدأ ذلك الفحص بالثياب وغيرها من مخلفات الميت ولا يلبثون ان يعلنوا ما ظهر لهم بعد الفحص بتوجيه التهمة الى احد الناس انه قتله. وفي بعض القرى يدفنون الميت منتصباً لان ذلك يسهل عليه المشي الى بيته الابدي. اما الملوك والرؤساء فلا يدفنونهم في باطن الارض بل يضعونهم في كوخ فيه كوة مفتوحة لتتناول الارواح غذاءها وخمرها فتبقى متمتعة بالراحة. والا فيخشى ان تنضم الى طغمات من الشياطين موجودة في كل مكان



ش ٢٨ : اهل غانة يضحون طيراً ليمنعوا الحمى

وهم لا يعرفون الالهة بالمعنى المراد عندنا ولا عندهم كهنة ولا شيء آخر من ضروب العبادات. ولكن لكل عائلة او بطن او قبيلة نصباً «فتيش» خاصاً بها ولا عبرة بشكل ذلك النصب انما المهم ان يكون فيه قوة على الخير والشر. وترى خارج القرى اكواخاً للعبادة يقيمون فيها الانصاب ويكرمونها وقد تكون جماجم او اصدافاً او نحوها مما يتصورون القوة الحاكمة تستقر فيها. ويحملون اليها القرابين من الطيور او الخرفان او الماعز او الاثمار اوغيرها. واذا اصابهم وباء ضحوا لها طيراً لتدفع الوباء عنهم (ش ٢٨). فاذا تقاعدت عن نصرتهم غير مرة تذهب هيبتها من نفوسهم فيطرحونها ويرذلونها - هذا هو سر العبادة الفتشية المتقدم ذكرها

الليبريون

Liberians

ويصح ما تقدم بيانه على قبائل الفيس والغوراس والكروس والكريبوس والبومي وغيرهم من سكان ليبيريا الاصليين . وفي ليبيريا طبقتان من السكان كما في سرا ليونية : الاولى السكان الاصليون والثانية الطبقة الحاكمة ويعرفون باسم ويجي (Weegee) ويسمون انفسهم البيض او الاميركان لان اكثرهم جاء بالاصل من جنوبي الولايات المتحدة في اوائل القرن التاسع عشر . ثم خالطهم بعض النازحين اليها من املاك انكلترا في شمالي اميركا . فالويجي يشبهون امثالهم من مولدي سرا ليونية فلا حاجة الى الافاضة في وصفهم



ش ٢٩ : بهانزين ملك الداهومي وعلى رأسه وصيف يحمل المظلة

وفي ليبيريا قبائل عديدة تقدم ذكرها اكثرها عدداً واشدها بطشاً قبيلة «الكروس» ويسمون ايضاً «كرومن» عددهم نحو ٥٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠ نفس . وهم اقوياء واسعو الصدر دمهم على الغالب زنجي خالص شفاههم غليظة فكهم بارز عيونهم حمراء مصفرة . يشبهون بقوتهم العقلية «السرار» سكان سينغمبيا مع ميل الى الملاحة

ولذلك يستخدمهم الاوربيون نوتية . والمشهور انهم اهل امانة وصدق اذا قالوا قولا عملوا به وذلك نادر في سواهم من زنوج افريقيا . ومع كثرة اختلاطهم بالاجانب من المسلمين والمسيحيين يشق عليهم الاذعان للتعليم ولا يزالون متمسكين بعاداتهم وعاداتهم . وبعد كل سفرة في البحر يرجعون الى بلدهم للتمتع بثمار تلك السفرة بالاكل والشرب فينزعون عنهم الاثواب الافرنجية ويعودون الى وحشيتهم

الفانتي والاشانتي والداهومي

Fanti, Ashanti, Dahomi & &

وفي اعالي غانة وساحل العاج وشاطيء الذهب وشاطيء العبيد امم شتى من الزنوج اشهرها الفانتي والاشانتي والداهومي واليروباس والبني وغيرهم . وهم كثار لكنهم فروع لاصل واحد كما يستدل من لغاتهم فانها متفرعة عن لغة واحدة . وملامحهم



ش ٣٠ : رجل من الفانتي يساوم على امرأة كما يساوم على سلعة

متشابهة . وفي تقاليدهم المتداولة انهم نزحوا قديماً من اواسط افريقيا الى شواطئها .. ويقول الفانتي والاشانتي انهم كانوا منذ قرون متباعدة يتكلمون لغة واحدة وقد نجوا من القبائل المحيطة بهم بطريقة سحرية . فتم ذلك لاحداهما باكل « الفان » (نبات)

والاخرى باكل « الشان » (نبات آخر) ومن ذلك اسماهما الان . ثم طاردهم قوم هم مسلمو الفولا (Fulah) ففروا ولجأوا الى الغابات وتكاثروا هناك . وما زالوا حتى وصلوا الشاطىء . فلما شاهدوا ماء الاوقيانوس يرغي ويزبد ظنوه حاراً يغلي ثم تحققوا انه بارد . ولكن اهل الداخلية لا يزالون يحسبونه حاراً وهم حتى الآن يسمون البحر « الماء الغالي »

ان امم الاشانتي والداهومي والبني انشأت كل منها دولة ذات شأن لها تاريخ طويل . وقد ذكرنا تاريخ الداهومي واحوالهم في الهلال (سنة ١٥ صفحة ١٢١ و سنة ١٨ صفحة ٣٢٦) مطولاً بقلم روحي بك الخالدي صاحب تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب وليس هنا محل الافاضة في ذلك فنكتفي بخلاصة يقتضيها المقام



ش ٣١ : ملك الداهومي وحاشيته بملابسهم الرسمية

تولى كلاً من هذه الدول ملوكٌ مستبدون على الطريقة الشرقية القديمة فاكثروا من الترف والاسراف . وكانت عواصمهم الثلاث كوماسي وأبومي وبنين تجري فيها المجازر في سبيل مطامع ملوكها وتنازعهم على السيادة . حتى تداخلت فرنسا وانكلترا فهدأت الاحوال . ومن الغريب ان بنين كان فيها مدرسة صناعية راقية لتعليم الصناعة الوطنية ولما استولى الانكليز عليها سنة ١٨٩٧ كان فيها كميات وافرة من العاج المنقوش والخشب المصنوع ومقادير من اطباق البرونز عليها النقوش النافرة مما ادهش الافرنج . وقد اتقن بعض هذه المصنوعات تحت مراقبة البورتغاليين . واشتهرت نساء الداهومي بالبسالة في الحروب ويخافهن الاعداء اكثر مما يخافون الرجال (ش ٣٢)



ش ٣٢ : نساء من الداهومي محاربات

واهل شاطىء الذهب يعدون كل ما لا يقع تحت ابصارهم عدواً لهم وينسبون ما يحدق بهم من المصائب الى القوى غير المنظورة رأساً او الى وكلائها « السحرة والعرافين » ولكل قرية او بلد او ولاية الهة وشياطين بشكل الآدميين سود وبيض ذكور واناث . ويعتقدون وجودها بشهادة الكهنة الذين يرونها من وقت الى آخر .. وهي الهة التلال والاودية والصخور والاحراج ولا سيما الشواطىء حيث تكثر وقائع الغرق او القتل بانياب كلاب البحر . واكبر آلهة الاشانتي اسمه «تاندو» اي المبغض تقدم له الذبائح البشرية سبعة رجال وسبع نساء معاً . وهو يشبه بشكله خلاسيًّا من ابوين مختلفين يرتدي رداء واسعاً ويحمل سيفاً مسلولاً . ويأخذ بناصر اتباعه فيطلعهم على مخابىء اعدائهم ومكامنهم . وقد يظهر احياناً بشكل غلام صغير فيقف في طريق الاعداء ويعرض نفسه للاسر عنوة فيأخذونه الى بلادهم فيبعث عليها الطاعون او الجدري او غيرهما من الاوبئة القتالة . وهو يفتك بكل شيء الا النمل الحاصد فانه لا يؤذيه مع انه من اشد الهوام اذى للزرع . والوطنيون لا يزالون يعتقدون هذه الخرافات حتى الان بعد ان مر عليهم اربعمائة سنة بمخالطة الافرنج

ديانتهم

كتب الماجور ألس فصولاً مطولة في ديانة قبائل شاطىء الذهب الذين يراسهم الفانتي . ومن رايه ان الديانة عندهم لا علاقة لها بالآداب كما نفهمها نحن فالخطيئة في

اعتقادهم عبارة عن اهانة الآلهة . اما السرقة والقتل ونحوهما فلا يهمُّ الآلهة النظر فيها الا اذا حرضها على ذلك بعض المقربين اليها بالصلوات . ويبذل الكهنة جهدهم في ايهام الناس وجود الارواح الناقمة استنزافاً للاموال في سبيل استرضائها . فلا يفترون عن ذكرها وتلفيق الحكايات عنها حتى لقد يدعون انهم قابلوا بعضها وحادثوه فيتلون على الناس احاديث يزعمون انها دارت بينهم وبينها . وكل حادث يصيبهم منه شرٌّ ينسبونه الى الآلهة سواء كان ذلك الشر خسارة في زراعة اوضياع مال او سرقة متاع او موت بعضهم من مرض او قتل او غير ذلك . ولم يتركوا للانسان عملاً يعمله غير شكر الآلهة لحسناتها او التوسل اليها ان تكف سيئاتها



ش ٣٣ : نساء من الفانتي في شاطيء الذهب

ولما نزل الاوربيون في شاطيء الذهب كان اهله يعتقدون بالهين عموميين احدهما تعبده قبائل الجنوب واسمه « بوبويسي » والاخر تعبده قبائل الشمال واسمه تاندو المتقدم ذكره . وكانوا يزعمون ان هذين الالهين وكلا آلهة اخرى يسمونها آلهة القرى لينوبوا عنهما في تدبير اعمال الناس . ثم اتخذوا الهاً آخر استخرجوا صفاته مما اكتسبوه من معاشرة الافرنج فسموه « نانانيا نكوبون » اي اله السماء وجعلوه اعلى من بوبويسي وهو يترفع عن ان يتعاطى شؤون البشر راساً لكنهم يعتقدون انه ارسل اليهم داء الجدري لان هذا الداء اصاب بلادهم بعد دخول الافرنج . اما اذا سافروا الى حرب فانهم يستغيثون ببوبويسي ويذبحون له الشياه بدل الناس

وعندهم الهان آخران يتوسطان بين الالهة العمومية وآلهة القرى يقال لاحدهما « ستراهمانتين » والاخر « سسابونسوم » اولعلهما اسمان لصنفين من الالهة . ولكنهما يدلان عادة على الهين فقط . اولهما انثى لا تنفك محتجبة بين اشجار القطن الحريري والثاني يقيم على التلال او في الغابات الحمراء التربة . وهو اكثر اذى من سائر الالهة لانه يفترس السياح المنفردين ويأكلهم واذا غضب مرة فيندر ان يصفو . ويعتقدون أن التراب اكتسب لونه الاحمر من الدماء التي سفكها هذا الاله فيه . وقد كانت الذبائح البشريه في بادىء الراي تقدم له حتى جاء الافرنج ونشأ الاله الجديد فصارت قرابينه من الماشية . ويزعمون ايضاً انه يرسل الزلازل فاذا حدث زلزال ضحوا على اثره رجلين او ثلاثة على اسم هذا الاله لعله يشبع فلا يعود اليهم بالاذى



ش ٣٤ : لعبة الخاتم من الالعاب السحرية في غربي افريقية

ولهم اعتقادات غريبة في الاحلام فعندهم روح يسمونه « كرا » يعتقدون انه مزدوج او هو روح مستقلة تحل في الانسان مع روحه فيصير له روحان لكل منهما حياة مستقلة . ومتى مات الرجل يتحول « كرا » الى روح يسمونها « سيزا » تبحث عن جسم آخر تحتله لتعود الى ما كانت عليه . اما الروح الاصلية للميت فتصير بعد موته انساناً روحياً واسمها « سراهمان » تبقى حية في ارض الاموات . وارض الاموات يريدون بها ارض الارواح وفيها التلال والاودية والاحراج والانهار . وهذه كلها امثلة خيالية لما في الارض العلوية اذ عندهم لكل موجود روح تبقى بعد موته على

هذا الشكل . فالاشجار متى ماتت تعود فتظهر في الاحراج الخيالية في ارض الاموات وتصير ارواحها ارواحاً مقيمة في « الادسي » وهو عالم الاموات عندهم . وتسمى تلك الارواح لذلك « ادسيتو » وعندهم ان الادسي وسكانه سيموتون ايضاً اذ لا يستطيع كائن ان يبقى حياً الى الابد — هذا هو راي تلك الامة في الخلود

وقس على الكرا هذا سائر اعتقاداتهم وخرافاتهم في الانسان الحيواني والحيوان الانساني . فهو روح مثل الكرا ويقدر ان يحل في الحيوانات وينتقل بينها كما ينتقل « الكرا » بين الادميين بعد الوفاة . ويبنون على هذا الاعتقاد اموراً كثيرة يرتزق بها السحرة والعرافون وامثالهم



ش ٣٥ : توفا الثاني ملك بورتونوفو في الداهومي

وعند حنية نهر النيجر الشمالية امم من الزنج انتقلوا خطوة من الهمجية . منهم « الموسي » و « البورجس » وغيرهما . وقد انتشر الاسلام هناك فغير اطوار القوم ورقى حالتهم الاجتماعية . وان كان اكثرهم لا يزالون على وثنيتهم في الداخل لتمكن تلك الاعتقادات من خواطرهم بتوالي الاجيال . فهم حتى الآن اذا وقعوا في نكبة لجأوا الى العراف او الساحر بدلاً من الالتجاء الى الله . وكذلك يفعلون في الاستنصار لدفع الاوبئة والحروب . والموسي كثيرو التسامح في امر الدين لانهم تركوا دينهم القديم ولم يتمكن الاسلام من نفوسهم

اما في البقاع التي لم يدخلها الاسلام بعد فاهلها في اشد حالات الهمجية . ووصفهم الرحالة بنجر وقد غنموا صيداً واخذوا يأكلون ثوراً منه قال « هنا تظهر وحشية اولئك القوم فان سلائقهم الهمجية استيقظت فاصبحوا اشبه بالوحوش الكاسرة مما بالادميين فتمسَّح بعضهم بمحتويات الامعاء وآخرون مسحوا بعض ابدانهم بدمه . ثم هجموا على اللحم كالسباع المفترسة . مضى الليل وهم ينهشون تلك الغنيمة بلا نوم ولا راحة حتى جردوا العظام ولم يتركوا من ذلك الثور عظماً يمكن كسره او نهشه ! »

وفي اواسط السودان بين النيجر ووداي لم يبق من الزنوج الاصليين احد . اما



ش ٣٦ : امرأة من الكمرون قرب غانة

لانهم انقرضوا او طردوا اواندمجوا بالعرب او البربر الذين فتحوا بلادهم او احتلوها من عهد بعيد . فتولد من هذا المزيج امم ارتقوا حتى صاروا يعدون من اشباه المتمدنين وانشأوا دولاً وجندوا جنوداً وقد مرَّ على اواسط السودان الف سنة او اكثر والنازحون ينزلونها من البربر والعرب والنوبة فيولدون امماً خلاسية من العرب والزنج او من البربر والزنج كما تقدم . ولكل جماعة دولة وحكومة وكلهم دخلوا في الاسلام وهو الذي لطف طباعهم . على ان هذه الدول ذهبت الان ودخلت ممالكها في حماية فرنسا او انكلترا او صارت من مستعمراتهما

السونغاي

Songhay

اما الامم التي بقيت على حالها هناك فمن اشدها بطشاً « السونغاي » كان لهم دولة بقيادة « محمد عسكية » ولعله اعظم ملك تسلط على بلاد الزنج . وكانت مملكته تمتد من قلب بلاد الحوسا الى الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن بلاد موسي الى واحة توات (من سنة ١٤٩٢ - ١٥٢٩) فلما توفي اخذت مملكته في التقهقر حتى استولى عليها سلطان مراكش سنة ١٥٩٢ واحصاؤها يومئذٍ نحو ٢٠٠٠٠٠٠ نفس فانحلت الى

قبائل صغيرة دخلت في حكم الامم المجاورة ولا سيما الحوسا والطوارق والفولا . ودخل بعضهم في سلطة الفرنساويين عند احتلالهم تمبكتو سنة ١٨٩٤ وهم لفيف من امم شتى فيهم الزنجي والحامي والسامي وما يتولد من هذا المزيج . لكنهم على الاجمال سمر الالوان تقاطيعهم متناسبة وشعورهم طويلة . ولغة السونغاي التي يتكلمونها في تمبكتو وفي اواسط النيجر تمتاز بكثرة الفاظها المركبة فانك تجد الكلمة الواحدة مركبة من ثلاثة الفاظ فاكثر

الحوسا

Hausa

ولما ظهرت امة الحوسا في اواسط السودان تضعضع السونغاي . والحوسا ارقى نفوساً واشد بطشاً من سائر امم بلاد النيجر . وفي اخبارهم التقليدية انهم بقية سبع دول سميت كل منها باسم بطل من ابطالهم . وهي بيرام ودورا وقوبر وكانو ورانو وكاتسوينا وزقزق . وتولد من هؤلاء سبع امم اخرى منها تتألف امة الحوسا وهي أكبر امم افريقيا اليوم وعددهم نحو ١٥ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس



ش ٣٧ : جند من الحوسا

ولغة الحوسا مزيج من اصلين زنجي وحامي او سامي يتكلمها عدة ملايين غير الحوسا . وقد اصبحت عندهم لغة المخابرات السياسية كالفرنساوية باوربا والفارسية في

الشرق الاقصى . ولغة الحوسا يتخاطب بها معظم امم السودان من بحيرة تشاد الى ما وراء النيجر . على ان الحوسا انفسهم اضاعوا نفوذهم السياسي وذهبت سلطتهم الفعلية لان اكثر ولاياتهم دانت في اوائل القرن التاسع عشر لقائد من « الفولا » اسمه عثمان دن فودي مؤسس مملكة سوكوتو الاسلامية . فاستبدل ملوك الحوسا بامراء من الفولا . فلما غلب آخر ملوك الفولا واحتل الانكليز سوكوتو سنة ١٩٠٣ جعلوا الحوسا تحت حمايتهم فعادت اليهم جامعتهم وعادوا الى الاشتغال بالتجارة وانتشروا في اواسط السودان وغربيه . ولهم مقدرة غريبة على الفلاحة يستغلون القطن والنيلة والحبوب وغيرها . ولهم مهارة في الصناعة والتجارة يقيمون في بلدان اسوارها ضخمة ولهم مراكز تجارية هامة مثل كانو وكاتسينا وجاكوبا فان اهلها من اكثر الناس ذكاء ونشاطاً وفيهم روح الجندية ينتظم منهم جماعات في الجند الانكليزي وقد حاربوا تحت قيادة ضباطهم الانكليز ببسالة وحماسة

حول بحيرة تشاد

وحول بحيرة تشاد اربع امم اخرى اسلامية لها ذكر في التاريخ : (١) الكانمبو او الكانم في الشمال (٢) الكانوري في بورنو بالغرب (٣) الباجرمي في الجنوب (٤) المباس في وداي بالشرق . وقد اختلطت الاجناس في هذه البلاد اكثر من اختلاطها في بلاد الحوسا . ولكن طريقة الحكم هناك مبنية على الاسترقاق او النخاسة فالامة المتسلطة تعامل الامم المحكومة كالانعام يسطون عليهم في بلادهم يختطفونهم ويسوقونهم سوق الاغنام لايبالون بما يقاسيه اولئك المساكين من العذاب . وقد يموت عشرات منهم في انناء الطريق من الجوع والعطش بلا حساب . فمن وصل منهم حياً الى الخرطوم عرض في سوق الرقيق (ش ٣٨)

فهذه المعاملة حملت الزنوج على التمسك بعقائدهم وعاداتهم وعاد كثيرون منهم الى همجيتهم وعبادة الاوثان . واصبحوا يلتجئون عند الخوف من الاسر او الغزو الى اشجار عظيمة يبنون عليها اكواخاً يختبئون فيها ويدافعون منها . وبعضهم يشوهون وجوههم بحلى كالاقراط المستديرة يعلقونه بشفاههم كما يفعل اهل نيازا او الاسكا وغيرهم في اميركا

وتختلف ملامح تلك الامم اختلافاً كبيراً فامة الموسقو اشتهرت بالقذارة وشدة



ش ٣٨ : سوق الرقيق في الخرطوم في اوائل القرن الماضي

السواد وضخامة الشفة وخشونة الشعر . واشتهر غيرهم بالجمال والنظافة وتناسب الخلقة ولعل السبب في ذلك الاختلاف وقوع تلك البلاد على الحدود الفاصلة بين السودان وبلاد البانتو

الفور في دارفور

واذا تجاوزنا وداي شرقاً دخلنا السودان المصري الانكليزي فنلتقي فيه بامم شتى اشهرها الفور في دارفور دانوا بالاسلام من زمن قديم على ايدي جالية العرب او البربر . واختلطوا بهم فتولدت طبقة راقية منهم تولت شؤونهم . وكان سلطانهم يقيم في الفاشر يلبس الحرير الوشى ويعتمّ بالكشمير ويتلثم بالموسلين ويقبض على الصولجان المذهب تحت مظلة من ريش النعام فوقها قبة مزركشة عليها التعاويذ والاكاليل . ومع ذلك فان الفور الاصليين لم يتقدموا كثيراً في الاحوال السياسية . وظلوا عشرات من السنين يتنازع السلطة عليهم المصريون من جهة والمهدويون من جهة اخرى . يظهرون الاسلام واكثرهم في الحقيقة وثنيون لكن صلواتهم وطقوسهم مزيج

من الاسلام والوثنية . فاذا مرض احدهم لا يتوسلون في شفائه الى الله او النبي لكنهم يستشيرون السحرة والعرافين . وهؤلاء يكتبون لهم الاحجبة وفيها آيات من القرآن او يكتبون شيئاً من ذلك في باطن كأس ثم يغسل بماء ويشرب



ش ٣٩ : ملك المومبوتو بلباسه الرسمي
على ضفاف نهر ولي قرب مصبه في بحيرة تشاد

وعندهم ضرب من التطبيب بالجذور له اطباء همهم جمع انواع الجذور . ويعتقدون فيها قوة سحرية لشفاء الامراض اوتقريب القلوب بين المحبين اوالفتك بالاعداء اونحو ذلك . فيبتاع الناس ما يحتاجون اليه منها حسب اغراضهم . واللصوص يحملون قروناً فيها جذور لان سحرها على زعمهم يساعدهم على السرقة .. فاذا تسلقوا منزلا ورموها فيه استغرق اصحابه في النوم او اصابهم الصمم او العمى فلا يشعرون بما يجري في منازلهم . ويزعمون ان الاشرار يستطيعون ان يمسخوا انفسهم بها الى صور الاسود او الضباع او القطط او الكلاب على ان يظلوا في صورتهم الجديدة ثلاثة ايام ثم يعودون الى صورتهم الاصلية . كان يموت احدهم فيدفنه اهله فيعود بعد ايام الى قيد الحياة

ويضرب في الارض فيتزوج ويعيش عيشة جديدة . وللسلطان جماعة من السحرة يعتقد الناس انهم يتحولون عند الاقتضاء الى هواء او بخار فيعملون ما يريدون . ويقتني السلطان وكبار رجاله مضحكين يلبسونهم البسة غريبة يقضون ساعات الفراغ بسماع احاديثهم او بما يقلدونه من اصوات الكلاب والقطط . او يشاهدون رقصهم او غير ذلك من الحركات المضحكة . وقد يولونهم قتل الناس على سبيل التسلية — كان الموت ضرب من المزاح . وهناك عادات اخرى تدل على بعدهم عن المدنية



ش ٤٠ : الالياب في أعالي النيل يرقصون

والفور اهل ماشية وهي اموالهم يتعاملون بها ويؤدون منها مهراً لازواجهم . فالرجل اذا طلب فتاة للزواج عين مهرها بعدد البقر من عشرة رؤوس الى عشرين فاكثر. وعندهم نسيج قطني ابيض يسمونه « دمور » يتزملون به كالشملة او يفصلون منه اثواباً . وهو من نسج تلك البلاد خيوطه خشنة لكنه يوافق فصل الصيف . وقد شاع استعماله في مصر الان يصطنع منه اهلها بدلات افرنجية . ويحيك الدمور عندهم الرجال . ويشتغل النساء في الزرع والحصاد بمساعدة العبيد . واهم انواع النبات في دارفور وكوردوفان شجرة يسمونها « هجليج » واسمها العلمي Balamites Aegyptiaca تدخل في كثير من اطعمتهم فيطبخون من ثمرها اصنافاً عديدة ويتبلون براعمها ويمضغون اوراقها ويعالجون بها الجروح . ويستخدمون ثمرها غير الناضج صابوناً ويستضيئون بعيدانها المشتعلة ويصنعون من خشبها الواحاً لتلامذة المدارس مثل الواح

الحجر عندنا . ويستخرجون من رمادها سائلاً مالحاً . ومع ذلك فالهجليج لا يفتقر الى عناية في زرعه بل هو ينمو من تلقاء نفسه في تلك الارضين الوعرة ولولاه لشق على الانسان سكناها

وفي "جبال النوبة" وكردوفان (بين دارفور والنيل الابيض) اكثر السكان من « النوبة » الوثنيين يتكلمون السنة متشابهة ترجع الى اصل واحد . ومنهم خرج النوبيون المقيمون الان في اعالي النيل بين مصر وبربر . ولهم تاريخ متواصل منذ الفي سنة كان لهم فيه شأن عظيم . فانهم تنصروا في اوائل النصرانية ثم اعتنقوا الاسلام واختلطوا بالامم الراقية من العرب والروم وغيرهما فتغيرت ملامحهم واخلاقهم



ش ٤١ : نوبي من جبال النوبة

وآدابهم . وهم اكثر اختلاطاً بالعرب المسلمين مما بسواهم من الامم على اثر فتوح السودان في ازمنة مختلفة . وقد حافظ النوبيون على جنسيتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم . لكنهم جاروا العرب بالغزو للنخاسة وتجارة الرقيق ولا سيما في اوائل القرن التاسع عشر فكانت بعثات النخاسة منتشرة من الخرطوم الى خط الاستواء . ولم تبطل تلك التجارة تماماً الا بعد فتح السودان وابادة الدراويش سنة ١٨٩٨

فهذه البقعة ـ وهي معظم السودان المصري ـ تنتهي في الجنوب الى نهرولي او وراءه الى حدود الكونغو . وتشتمل على قبائل من الزنج الحقيقيين الوثنيين اهمها :
(١) الهمج على النيل الازرق (٢) الشلوك والدنكا عند نهر السُبت قرب فاشودة
(٣) الباري والنوير في بحر الجبل (٤) الفنج والميتو والمادي والابكا والموندو وغيرهم حوالي النيل الابيض (٥) الومبوتو (ش ٣٩) والزندة وهم نيام نيام المشهورون بالهمجية على ضفاف ولي (ش ٤٢)

على ان القبائل المقيمة في جهات ولي تعدُّ سياسياً تابعة لمملكة الكونغو الحرة . اما سائر القبائل او الامم فانها من السودان المصري الانكليزي وقد اخذوا في

التقدم نحو اسباب المدنية يتلقون العلم في كلية غوردون بالخرطوم . وليس الغرض من هذه الكلية تبشير تلك الامم ودعوتها الى الاسلام او النصرانية . وانما الغرض ترقيتها وتهذيب نفوسها وتحرير رقابها من العادات الوحشية المتوارثة فيها من حيث العرافة والسحر



ش ٤٢ : كاهن من نيام نيام

والعرافة متشابهة عند الزنج حيثما كانوا وقد ذكرنا امثلة كثيرة منها فنكتفي هنا بعبارة خاصة باهل هذا السودان . وذلك ان قبيلة الباري تعتقد في زعمائها القوة على انزال المطر ولكن في ذلك خطراً عليهم . اذا ابطأ المطر بادر الزعيم فاستسقى بقرابين من الماعز يقربها للآلهة . فاذا لم تمطر ذبحوا ثوراً واحتفلوا به احتفالاً تضرب فيه الطبول وينتظرون ثلاثة اسابيع . فاذا مضت ولم ينزل المطر قتلوا الامير واقتسموا تركته . ويعتقدن فيه ايضاً القدرة على امساك المطر بالصفير وايقاف العواصف والصواعق بمكنسة يكنسها بها ! فاذا اخفق قتل

ووراء البارين جنوباً الماديون وهم مشهورون بالصيد والقنص يحتالون في ذلك على اساليب مختلفة من جملتها انهم يحدقون بقطيع من الافيال ويلقون النار في العشب المحيط بها ثم يأخذون في طعنها وهي تحاول الفرار من وسط النار

وعند الدنكا اله يسمونه « دنكديت » هو اكبر معبوداتهم وعليه معوَّلهم في انزال المطر يمثلونه رجلاً عليه لباس امراء الدنكا وعلى راسه كساء من ريش النعام وعلى منكبيه وشاح من جلد الفهد . وكذلك الشلوك فان الههم ميكاما يصورونه مثل هذه الصورة ويعتقدون انه صانع للخير والشر لكنه يبلغ الاوامر الى « الملك » او ملك القبيلة . والشلوك ايضاً صيادون يهجم احدهم على الفيل وحده ولا يبالي وقد يقتنص الواحد منهم عدة افيال في يوم واحد وسنذكر شيئاً طبائعهم في فصل خاص

وقد اتهم بعضهم زنوج السودان بانهم يأكلون نساءهم ولكن الباحثين برؤونهم

من ذلك الا المنباتة والزندة في بلاد ولي فانهم يأكلون لحوم البشر . وقد انشأت هاتان الامتان في هذه البقعة دولة قوية سطا عليها النخاسون العرب المولودون واضعفوها ثم ضمها الكونغو اليهم . وقد ذكر الرحالة شوينفورث وغيره ان اهل ولي يقتاتون بلحوم البشر وهو الطعام الاعتيادي عندهم . وذكروا مشاهدات فظيعة من هذا القبيل فاذا جرت حرب اغتنم الظافرون جثث القتلى واولموا عليها . وهم مع ذلك اهل زراعة ماهرون ولهم المام بالصناعة ولا سيما صناعة الحديد والنحاس والحياكة والخزف والحفر على الخشب . وقد لاحظ بعضهم ان القبائل التي تقتات بلحوم البشر تكون قوية عقلاً وبدناً ولا تخلو من الشعور نحو الانسانية . والزندة ممتازون عمن جاورهم من الامم بحنوهم على نسائهم واولادهم



ش ٤٣ : كباريقا ملك الاونيورو قرب بحيرة فيكتوريا نيانزا مع رجال حاشيته

ومما لاحظه الرحالة جونكر ان هؤلاء وغيرهم من الزنوج لهم قدرة مدهشة على تمييز الآثار والصور ونحوها من قبيل اقتصاص الاثار لا تظهر في سواهم . ولكل من قبائل السودان عادات واخلاق وآداب تستغرق فصولاً عديدة لا يسعها هذا المختصر . فنكتفي هنا بمثال من رسالة اتتنا في وصف قبيلة الشلوك واخرى في وصف الهمج من اناس عاشروا هذه الامم هناك ودرسوا اخلاقها

الشلوك

Shilluk

الشلوك امة من الزنج يمتازون بلغة وعادات واخلاق خاصة بهم . يقيمون على الشاطىء الغربي للنيل الابيض بين بلدة تسمى « الرَوُه » على ١٨٠ ميلاً من ام درمان نحو الجنوب وبلدة يقال لها « لوتقوا » على ٢٠ ميلاً من مصب بحر الغزال في النيل المذكور . وهذا كله على الضفة الغربية للنيل اما على الشرقية فتنتهي بلاد الدنكا في فاشودة . ومنها الى بلد « كونام » على نهر المُسبت على ٣٠ ميلاً من مصبه فسكانها من الشلوك . واكثر بلاد الشلوك عمراناً القسم الجنوبي منها



ش ٤٤ : الشلوك بسلاحهم وأدواتهم

يعتقد الشلوك باله يسمونه « كوي يكاغو » او « الجوك » وهو المتسلط على الكون كله لا مقرَّ له ولكنه يقبض الارواح وله ابن اسمه « لوكاما » يقيم في الماء وعندهم بيت يسمونه « كجور » ويزعمون انه اسم رجل من الاولياء سكن الارض في قديم الزمان فلما مات سكنت روحه في الماء فبنوا له بيتاً قدسوه على اسمه واقاموا فيه السدنة والخدمة من المشائخ والعجائز رجالاً ونساء . فاذا اختلفوا في امر

استخاروه كما كان العرب في جاهليتهم يستخيرون هبل واذا قتل احد منهم ولم يعرفوا قاتله يجتمع شيوخهم ورؤساؤهم ويسيرون الى ذلك البيت ومعهم بقرة او ثور . وفي حال وصولهم يرتلون ترتيلة خاصة بذلك فيخرج خادم الكجور ويستقبلهم واقفاً حتى ينتهي نشيدهم فيعرضون عليه ما جاؤا من اجله فيدخل الخادم الى البيت ويجلس داخلاً ويقد البخور المختص بالكجور في قارورة معدة لذلك . ويعزم ويرتل فيناجيه صوت من داخل البيت يعتقدون انه ملاك من الملائكة فيسأله الخادم من قتل فلاناً فيصف لهم اولاً شخص المقتول ثم يصف القاتل فيقتلون الثور او البقرة التي جاؤا بها بحرابهم وينهضون للاخذ بالثار او طلب الفدية . وما الفدية عندهم الا استيلاء على كل ما يملكه القاتل من الماشية او غيرها

وترى تفصيل عادات هذه الامة وآدابها واخلاقها في الهلال صفحة ٢٢٦ سنة ٧

الهمج

Hammeg

الهمج قبيلة سودانية تقطن بقعة كبيرة مركزها الروصيرص على النيل الازرق . وتمتد من هنالك ثلاثة اميال شمالاً الى خور السريفة وثلاثين ميلاً جنوباً الى خور شوال وخمسة وعشرين ميلاً شرقاً الى جبل الجرّي وسبعة عشر ميلاً غرباً الى جبل عجدي وكان الهمج قبل ايام المهدوية قبيلة كبيرة في رغد وهناء فدهمهم ظلم الدراويش فسلبت راحتهم حتى وصلوا الى حال من الضيق والفاقة كانوا يبيعون فيها اولادهم ليدفعوا ضرائب التعايشي فتشتتوا ايدي سبا وخربت اكثر قراهم

❊ ديانتهم ❊ هي الاسلامية ولكنهم لم يكونوا يعرفون منها غير الفاتحة فلما كانت ايام المهدوية تعلموا صيام رمضان والصلوات الخمس . على انهم لا يفقهون منها حقيقة غير حركات القيام والسجود مع الخشية والوقار. وكلهم اميون يجهلون القراءة والكتابة جهلاً تاماً. ولذلك فهم يعظمون الكاتب ولو قل المامه بالكتابة واذا ارادوا الاطراء في علم احد منهم قالوا انه « يعرف الاسود في الابيض » اي انه يقرأ فهو العالم العلامة عندهم . وهم يقدسون الكتابة لدرجة غريبة ويعتقدون صحة ما يكتب ولو اجمع الشرع والعرف على فساده

والقسم عندهم انواع فاما ان يحلفوا بقولهم « وحياة رب العالمين » او بقولهم « حرّمتُ » اي « عليَّ الطلاق » واما بوضع اليد على الارض وقولهم « كتاب

الله » واذا كان القسم لامر ذي بال اتوا بكبير قومهم فيتناول يد المطلوب القسم منه فيضعها على الارض ويلفظ القسم الآتي والرجل يتلوه بعده وهو « كتاب الله في عيني في بيتي في اهلي كتاب الله يطمسني طمسة القرد » . واذا اراد احدهم ان يطلق امرأته قال لها « عفوت عنك » اي « انت طالق »

وتجد تفصيل اخبارهم وعاداتهم واخلاقهم في الهلال صفحة ١٦٥ سنة ٨

البانتو

Bantu

ننتقل الان الى القسم الاخر من زنوج افريقيا نعني الامم البانتية المقيمين في القسم الجنوبي من افريقيا وقلما تختلف عن امم السودان المتقدم ذكرها والمعول في التفريق بين القسمين في الاكثر على اللغة . فلغات البانتو على كثرتها يجمعها اصل واحد بخلاف لغات السودان كما رايت . ام لغات البانتو انقرضت من دهر طويل كما انقرضت أم اللغات الآرية وام اللغات الطورانية لكن فروعها باقية تتفاهم بها امم شتى

لغات البانتو

وفي لغات البانتو ومقابلتها بطبائع اصحابها ونسبتهم الى المدنية والارتقاء موضع نظر يجدر بنا الوقوف عنده لحظة . قال القس بنتلي وقد درس احوال تلك الامم ولغاتها « نجد لغات هذه الامم اسمى من مدارك اصحابها . هم قوم اميون لكن لغتهم مضبوطة في قواعدها دقيقة في تعبيرها راقية في معانيها . واستعمالها يجد نفسه تهذيبٌ للعقل » وهو يشير على الخصوص الى لغة اهل الكونغو . ويظهر ان هذه اللغة من ارقى اللغات وادقها تعبيراً والطفها اسلوباً واكثرها وضوحاً مع كثرة الفاظها وتشعب معانيها وخلوها من الشواذ ومما في اللغات الاوربية من بواعث الالتباس اوالابهام في التركيب . وليست هذه الصفات خاصة بلغة الكونغو بل هي تشمل لغات البانتو على الاجمال ومع انتشارها في اصقاع متباعدة في اواسط افريقيا وجنوبها من الكامرون في غربي افريقيا الى الزولوس في جنوبيها وبينهما ٣٠٠٠ ميل – فان الفاظها واحدة وتراكيبها واحدة واساليبها متشابهة ، ويدل ذلك على ان هذه الخصائص وجدت في امها

الاصلية قبل تفرق هذه الامم بادهار متطاولة . وان تلك الام ارتقت وتهذبت وضبطت قبل وصولها الى تلك الاصقاع . اذ المظنون انها لم تتولد هناك وانما حملها الحاميون من الشمال كاملة راقية فتناولها الزنوج وتكلموها فانتشرت بينهم كما انتشرت اللغات الارية بين الامم القديمة في اوربا بعد نزوح الآريين اليها من مواطنهم الاصلية في اعالي اسيا . وكما انتشرت العربية في اسيا وافريقيا بعد الاسلام

وتمتاز اللغات البانتية باضافة الادوات الى اوائل الكلم مع اعتبار الجناس الحرفي . وعندهم من هذه الادوات والملحقات عدد كبير تترتب به الاسماء في مجاميع عديدة للدلالة على المفرد والجمع واللغة والبلد واغراض اخري . مثال ذلك — ان مادة « نتو » ومعناها « الشخصية » يتركب منها « مُنتو » شخص و« بانتو » اشخاص او شعب — وهو الاسم الجامع لهذه الامم . ومن مادة « غَندا » تولد « بُوغندا » بلاد الغندا و « موغندا » احد اهل الغندا و « باغندا » سكان غندا و « لوغندا » لغة الغندا وهكذا . والجناس الحرفي يعين بالادوات الاسمية التي تتكرر مع الضمير والنعت والفعل الموافقة للاسم كما في اللاتينية filius و filia فانها تأخذ في اخرها « us » و « a » فيقال filius meus و filia mea وهكذا في البانتو فان الحجر عندهم اتادي (etadi) وجمعه « ماتادي » فالحرف الاول « ما » يكرر في كل الالفاظ المتعلقة بها او التابعة لها فيقولون :

او	مانادي	ماما	مابيمي	مامبوينا
ال	احجار	هذه	بيضاء	كبيرة

ومعناها « هذه الاحجار بيضاء كبيرة » . على ان هذه الادوات تختلف كثيراً باختلاف اللغات او اللهجات . وهذا الاختلاف هو سبب الالتباس في تفهم الفاظ لغات البانتو . فالسواحليون في زنجبار يبدلون « با » بلفظ « وا » ويقولون « لو » بدلاً من « كي » و « او » بدلاً من « بو » فتصير « باغندا » مثلاً « واغندا » و« كيغندا » « لوغندا » و « بوغندا » « اوغندا » وهكذا . ولا بد من ملاحظة هذه الاختلافات في درس لغات البانتو . ولعلماء هذه اللغات طرق مختلفة في تسهيل تناولها على الطلاب . وقد حاول المستر فان اورت ردَّ اصول هذه اللغات واصحابها الى البغمة في شبه جزيرة ملقا . فهو يرى ان هؤلاء البغمة انتقلوا بألسنتهم الى اشور وبابل ومنها الى بلاد الصومال ومن هناك الى اواسط افريقيا حتى تسلطوا على

جنوبي هذه القارة (١) لكن اهل البحث يرون هذا القول يفتقر الى اثبات لان صاحبه تساهل في ايراد الادلة عليه



ش ٤٥ : الافيال في اواسط افريقيا

ويتكلم لغات البانتو الان نحو ٥٠٠٠٠٠٠٠ نفس من الوطنيين يمكن قسمتهم الى اربعة اقسام جغرافية :

(١) القسم الافريقي الشرقي : او البانتو الشرقيون . يمتد من حوالي خط الاستواء الى دلتا الزمبيزي : ويدخل فيه الواغندا والوانيور والوابوكومو والواجرياما والواسواحليون والوازمبارو والوانياموزي والماكوا

(٢) البانتو المتوسطون : في بلاد الكونغو وارض النيازا (نيازا لند) ويدخل فيها البابندا والبنغالا والمانيوما والباكوبا والتوشيلانج والبالولو والوارونغا والوافيبا والمانغانجا والوايا و

(٣) البانتو الغربيون : من بلاد الكامرون الى انغولا على شواطىء الاتلانتيكي . وفيها الباتنغا والدوالا والبوبي والمبونجوي والاشانغو والاشيبو والباتيكي والكابندا والاشي كونغو والابوندا

(٤) البانتو الجنوبيون وراء زمبيزي : ومنهم كفار الزولو والبكوانا والباشوتو والماشونا والماكارنغا واوفامبو واوفاهريرو . ولنتكلم عن كل من هذه الاقسام على حدة

(١) قال ذلك في كتابه The origin of the Bantu المطبوع في مدينة الكاب سنة ١٩٠٧ وقد رفعه رسميا الى مجلس نواب انكلترا

١ — البانتو الشرقيون

تاريخهم

كانت امم البانتو قبل امتداد سيطرة انكلترا من الاوقيانوس الهندي الى مرتفعات ريوينزوري مجتمعة حول بحيرتي فيكتوريا والبرت نيانزا ممالك مستقلة اشدها بطشاً اوغندا واونيورو وكاراغوي . وفي تقاليدهم المتوارثة ان هذه الممالك كانت جزءاً من مملكة كبيرة اسمها « كتوارا » تشمل السهول الواسعة التي دخلت الآن في سيطرة انكلترا والمانيا . ويقولون ان مؤسس هذه المملكة اسمه « كنتو » اي الخالي من العيب كان كاهناً واباً وملكاً . جاء من الشمال منذ قرون متطاولة ومعه امرأة وبقرة وماعز ودجاجة وجذر موزة وبطاطة حلوة . فعمر تلك البقاع بها وهي حتى الان اهم غلالها - قالوا ثم فسد الناس فسئم كنتو من شرورهم فاختفى ذات ليلة فخلفه غيره وغيره وكلهم يبحثون عنه ويتوقعون عودته



ش ٤٦ : نصب من انصاب البانتو

فمن هؤلاء الملوك ملك اسمه « كيميرا » يزعمون انه كان جباراً اذا وطىء الصخر

طبع اخمصه فيه ومعه الساحر « كيباجا » وكان هذا يطير في الجو ويقتل من شاء برمي الحجارة من السماء . وخلفه الملك « ماعندا » وفي ايامه حلم احد الفلاحين ثلاثة احلام دلته على طريق سار فيه الى غابة وجد فيها شيخاً على عرش يحفُّ به صفان من الابطال باسلحتهم بيض الوجوه وعليهم ثياب بيضاء كما يلبس اهل اوغندا الآن . وكان ذلك الشيخ ملكهم كنتو فبعث يطلب « ماعندا » فاصابت هذا دهشة عقبتها نوبة عصبية طعن في اثنائها رجلاً بريئاً في قلبه فغضب كنتو واختفى ثانية هو وابطاله ولم يعد يظهر من ذلك الحين . لكن بعض امم البانتو يجعلون كنتو الهاً يسمونه « مولونغو » وهو عندهم ابو البشر كافة

اوغندا

هذا ما يرويه البانتو عن تاريخهم القديم ولا يزالون في امثال هذه الاقاصيص الخرافية الى بداية تاريخهم الصحيح بالملك « سونا » من سنة ١٨٣٦ — ١٨٦٠ وكان متوحشاً وهو والد « معتسا » الذي قل ستانلي الرحالة في وصفه انه اغرب اطواراً



ش ٤٧ : عائلة من ناندي في اوغندا

من سائر ملوك افريقيا . توفي معتسا سنة ١٨٨٤ فاصاب اوغندا بعده تقلبات سياسية ودينية واجتماعية انتهت بسيطرة انكلترا واسلم كثيرون من اهلها وتنصر بعضهم . وبعد ان استقر الامن فيها والوفاق بين عناصرها تقدمت تقدماً حقيقيا ولاسيما امة الواغندا فانهم اظهروا استعداداً حسناً لاكتساب العلوم والاداب والتعاليم الدينية . وانما هم في حاجة الى مطابع يشتغل فيها الوطنيون لنشر العلم بين اظهرهم للتعويض عما اورثه سفك الدماء هناك منذ اختفاء كنتو الى الاحتلال الانكليزي

على ان القوم لا يزالون الى الان على نظام البداوة يقسمون الى قبائل وبطون كل منها تعبد طوتمها . ولا يزال الزواج الخارجي شائعاً بينهم كما هو في أجهل قبائل اوستراليا . ومن انسابهم الطوتمية قبائل الفراش والغنم والتماسيح وغيرها . اما قبيلة الملك فتعرف بقبيلة الامراء وهي « الواهوما » او الشمالية كما يفهم عن هذه التسمية في اوغندا . ولها عند البانتو احترام كثير واجلال عظيم وان كانت بدوية رحالة فابناؤها يلبسون الخلاخل النحاسية من علامات السيادة عندهم . ومن تقاليدهم المتناقلة ان اسلافهم جاؤا من بلاد « الغالا » فتحين واختلطوا باولئك الزنوج بالتدريج

والواهوما يرجعون بتاريخهم الى حوادث تدل على تمدن قديم لعلها مقتبسة من حكايات مسيحية منقولة عن الحبشة . يقولون مثلاً انه كان لهم كتاب مقدس ساروا حسب تعاليمه فاصبحوا في مقدمة الامم لكنهم غفلوا عنه فاكلته بقرة . ولا يزالون من ذلك الحين اذا ذبحوا بقرة بحثوا في احشائها عن ذلك الكتاب

الواجرياما

وفي الجهات الشرقية بين اوغندا والشاطئ الشرقي قبائل الواكيكويو والوابوكومو والواجرياما وغيرهم من امم البانتو وهم احطّ مدنية واقل انتظاماً في قبائلهم . والطوتمية عندهم في اقوى سلطانها والاعتقاد بالسحر عام فيهم لكن ليس عندهم كهان ولا انصاب ولا هياكل . ونستلفت نظر القارىء على الخصوص الى الواجرمايا في اسفل ممباسة فان ديانتهم تنبىء عن عبادة الاسلاف ونحوها من العبادات الاولية

يعتقدون بوجود عظيم يطوف شرقي بلاد البانتو ويسمى « مولونغو » ومعبودات أخرى منقلصة عن « مونكولونكولو » ومعناه الجد الاكبر شيخ طاعن في السن . وهي مولدة من عبادة الاسلاف وتحولت الى الهة باشكال مختلفة منها الحافظ والمدبر والخالق

ويعتقد الواجرياما ان المخلوقات تولدت من اتحاد هذا الاله بالتراب وان البشر هم دجاج مولونغو وفراخه . وان للارواح قدرة على الخير والشر فللمحافظة على صداقتها يكرمون اكبر الاقرباء سناً . وهم يسجدون لارواح القبيلة كلها في احتفالات عمومية وقد يرونها في الحلم فتنبئهم بما تختاره من القرابين فيقدم عند قبورها لتسد جوعها أو عطشها . وتصنع القرابين عادة من الدقيق والماء تصب في قشرة من جوز الهند يضعونها على الارض ويذبحون هناك الطيور وغيرها لعل دماءها تتسرب الى القبر . ثم يدعون الميت باسمه ليأتي ويشترك معهم ويدعون اصحابهم ايضاً

السواحليون

ويختلف عن هؤلاء من حيث هذه الاعتقادات امة السواحليين في زنجبار وما يقابلها من البر . ونظراً لاحتكاكهم المتواصل بالعرب تعربوا بعاداتهم وديانتهم وآدابهم واصبحوا اهل تجارة وخصوصاً تجارة الرقيق . لايزيد عددهم على مليون نفس لكنهم اشتهروا بالتقدم على سائر امم البانتو بسبب اسلامهم والتخلي عن عبادة الاسلاف واصلاح شؤونهم العائلية . وقد فعلوا فعل النوبيين في الشمال فانتحلوا لانفسهم انساباً عربية اوهي انساب اتصلوا اليها بمخالطة العرب الذين اكتسحوا تلك القارة المظلمة وان لم يتمكنوا من نشر لغتهم العربية في امم البانتو كما فعلوا في مصر والشام والعراق . فاللغة السائدة في شرقي افريقيا الوسطى هي اللغة السواحلية . ولم يستطع العرب ان يجعلوا تمدنهم يتغلب كثيراً على امم البانتو الوثنيين . فظلت الخرافات الوحشية سائدة في شرقي افريقيا بين السواحل وبحيرة تنجنيقة ولا يزال اهلها نحو ما كانوا عليه قبل الاسلام من حيث العادات والاداب



ش ٤٨ : خليفة بن محارب سلطان زنجبار من أصل عربي

٢ - البانتو المتوسطون

ويصدق هذا الوصف على امة « البايزة » في بحيرة « بنغويلو » وامة « المانيوء »
وغيرهما من قبائل البانتو الاصليين في الكونغو . ويزيدون عليه انغماس هؤلاء باكل
لحوم البشر - الا جماعة منهم امتازوا ببعض الرقي نعني « البالولو » (رجال الحديد)
ومواطنهم في شمالي بلاد الكونغو الحرة يحدها من الشمال نهر الكونغو بشكل قوس
دائرة . ولاسيما امة التوشيلانج عند فرع اللولوا من نهر كساي في اواسط بلاد الكونغو
الحرة . وهم الذين قال ويسمن في وصفهم « انهم كثيرو التفكير والبحث . لا تفارق
علامة الاستفهام شفاههم » وهم اهل صدق وبسالة وامانة متفردون بما يبدونه من
الانعطاف الحقيقي نحو نسائهم واولادهم . ولذلك سميت بلادهم « لبوقة » ومعناها
في لسانهم « ارض الصداقة » وانتشر فيها كثير من الاصلاحات الاجتماعية قبل ان
يطأها اوربي

بدأت تلك الاصلاحات باخوية سرية يسمونها « بناريامبا » اي ابناء القنب .
نشأت سنة ١٨٧٠ فانقسمت الامة بها الى حزبين بشأن مسالة التعريفة اي هل تفتح
البلاد للتجارة الاجنبية ام لا . وكان ملكهم من الحزب القائل بفتحها فحارب
الحزب الاخر (المحافظين) حرباً جرت فيها الدماء انهراً لكنه فاز بما اراد واطلقت
التجارة . فشاعت بسبب ذلك عادة تدخين القنب (الحشيش) على ايدي التجار
السواحليين القادمين من زنجبار فآل ذلك الى انحطاط الاداب في تلك البلاد

واشهر امم بلاد نياز ا (نيازالاند) في اواسط افريقيا الجنوبية قبائل الوياو
والمانغانجا الاصليون فلما تثقف الوياو قليلاً باحتكاكهم بالمسلمين تشبهوا بهم واصبحوا
وسطاً بين اهل الداخلية وتجار الرقيق من العرب والسواحليين القادمين من
السواحل . لكن كثيرين منهم لا يزالون على عاداتهم الوثنية اذا مات منهم رئيس
كثيراً ما يدفنون معه بعض نسائه وعبيده احياء . ويقال ان اكل لحوم البشر لا يزال
شائعاً بين زعمائهم يولمون عليها الولائم سراً . ذكروا زعيماً اولم وليمة على لحم انسان
دعا اليها بعض المسلمين وغيرهم وزعم انه طبخ لهم ماعزاً — ذكر ذلك لفنستون

وقد تعب المبشرون الاسكوتلانديون في نشر الديانة المسيحية بين المانغانجا عبثاً . لكن
الحكومة الانكليزية منعتهم من الاعمال البربرية التي كانوا يأتونها بايعاز السحرة كقتل
الناس ونحوه . ولا يزال الاعتقاد بالالهة مختلطاً عندهم بالاعتقاد بالشياطين . ولا يزالون

على نحو ما كانوا عليه من الكهانة والطيرة والسحر وغيرها من الخرافات . يعالجون الامراض بالتعزيم على ايدي العرافين والكهان مشيري الامة في ما يعرض لها من المشاكل . اذا استشارهم طالب هزوا قرعة صغيرة مملوءة بالحصى ولاحظوا عيداناً صغيرة وعظاماً واظفاراً في قرعة اخرى واستخرجوا الجواب



ش ٤٩ : نساء خط الاستواء

وارواح الموتى هي آلهة الاحياء عندهم . والاشجار التي تظلل بيوت الاموات هي الهياكل . فان لم يكن هناك شجر بنوا مزاراً اجروا فيه طقوسهم . وهذه الآلهة غير محصورة في مكان واحد فاذا توسل اليها احد ان تحرسه في سفره رافقته حتى يرجع واذا أُخرج الناس من مواطنهم بحرب خرجت تلك الارواح معهم الى وطنهم الجديد . وهي تقيم في القرى والحقول والغابات وقد تستأثر روح بعض الرؤساء بجبل كبير تقيم في قمته تحت الغيوم وتجيب الداعين والمتوسلين بوابل من المطر وتجلى للناس في الاحلام اوتظهر للكواهن . وربما كانت الكاهنة زوجة ذلك الرئيس في حياته فتبلغ ارادته ليلاً بالصباح . وقد يبدو ذلك الاله بصورة اسد او نمر او ثعبان . واذا اتفق لرجل ان يقتل ثعباناً صلى الى الاله ان يغفر له بقوله « اتوسل اليك ان تغفرذني لاني

لم اعلم انه ثعبانك » ويفضل الشعب ان يتوسل الى الالهة على ايدي مشائخ القرى لانهم اقرب الى الاله ولهم عليه دالة . فالرئيس اوالشيخ يتولى امر رعيته في الدنياوالاخرة واذا مات الرئيس تبقى نساءه وعبيده واصحابه له فيجتمعون به هناك بعد الموت



ش ٥٠ : تمثال الملك شامبا في الكونغو

وكان من قرابينهم قديماً ان يشدوا انساناً الى شجرة فاذا افترسه وحش في الليل دلّ ذلك على قبول قربانهم والافانهم يوثقون يديه ورجليه بحبل ويعلقون بعنقه حجراً ويلقونه في البحيرة ليغرق او يلتقمه التمساح . اما الان فاصبحت القرابين ماعزاً او طيراً او ثوباً او تبغاً او جعة وغيرها من الاطعمة والاشربة . ويصنعون الجعة من الذرة ونحوها ويشربون كل شيء حتى الماء الآسن القذر . ويطبخون ثريداً من الذرة او الدخن يتناولونه بدل الخبز ويأكلونه مع الحبوب او اللحم بدون ملح . والرجال يحتقرون الحلي والثياب الا قطعاً صغيرة من النسيج او قطعة جلد او بعض النبات لستر العورة

اما النساء فيغطين ابدانهن بالسبحات والاساور والتعاويذ والخلاخل معاً وصفائح من الخشب يعلقونها بشفاههم فينقبون في الشفة العليا ثقباً يوسعونه شيئاً فشيئاً بادخال عيدان اغلظ فاغلظ حتى يسع قطعة من الحلي قد يكون محيطها ثلاثة قراريط او اربعة وكلما كانت غليظة كانت اقرب الى الجمال

٣ - البانتو الغربيون

واشهر امم البانتو في الغرب امة « اشي كونغو » كانت لهم دولة قوية في جنوبي نهر الكونغو قبل مجيء البورتغاليين سنة ١٤٩١ . ولفظ « كونغو » سمي به النهر بعدئذ وكان اسمه قبلاً « زاير » يظن ان اصله اسماً لاحد اقانيم ثالوث الهي كان عندهم . والاقنومان الاخران « نزامبي » ام كونغو و « ديسوس » وهو تركيب بورتغالي . ولعل هذا التثليث مقتبس من الكثلكة التي كان البورتغاليون يبشرون بها هناك . فتنصر مئات الالوف من الناس وفيهم « امفومو » الملك نفسه وكانت عاصمته « امبانزا » فسموها « سان سلفادور » وهي تعرف بهذا الاسم الى الان . لكن النصرانية



ش ٥١ : الانصاب (فتش) في الكونغو

لم تثبت في القوم طويلاً فعادوا الى عاداتهم وعباداتهم الوثنية على ضفتي النهر وجاهروا بعلامات ورايات تسلموها من اسلافهم لهذه الغاية . فخربت كنيسة سان سلفادور ولم يبق من آثار النصرانية الا تذكار آلام المسيح حفظته امة الكابندا شمالي الكونغو واضافته الى ما عندها من الاعتقادات الوثنية كما وصفه لها القس دنت . ولذلك فهم

يحتفلون بالصلب كل سنة فيأتون برجل يهيئونه للصلب ثم يتقدم « البادونغا » وهو كاهن متنكر بوجه مستعار يتشح برداء مصنوع من ورق الموز او غيره من الشجر وبيده سيف طويل مسلول . فيأمر بالمحكوم عليه فيصلب على جذع شجرة وتدق المسامير في كفيه وقدميه ويسومونه انواع العذاب . ومع ذلك فالكابندا اهل ذكاء ونشاط ولهم اقدام على المشاريع ومهارة في التجارة حتى سموهم « يهود جنوبي افريقيا »



ش ٥٢ : جنازة عند البمبا في الكونغو

وبعد سقوط مملكة الكونغو عادت بعض قبائلها الجنوبية الى الاستقلال مع ما كانوا عليه من العادات الوثنية وما خالطها من الطقوس النصرانية والعادات الافرنجية على ايدي التجار . واهم تلك القبائل « السنهو » في جنوبي الكونغو . وقبيلة « موشي كونغو » تزعم انها نشأت من الاشجار ولها بعض الاصنام العائلية ينصبونها في اكواخهم . لكنهم يؤلهون كل مظاهر الطبيعة تقريباً . فهم فتشيون ويعتقدون بالارواح وكل حادث لم يعرفوا سببه نسبوه الى روح او ساحر . والنساء يقدمن ابكار مواشيهن الى الانصاب (الفتش) فمن ترشحت منهن لكهانة تتدرب من صباها على خدمة تلك الانصاب او القيام بطقوسها من ضرب الطبول والتعزيم والترتيل والاشارات اللازمة ونحو ذلك

البمبا

ومنهم امة البمبا اذا بلغ الرشد منهم غلام دشنوا رجوليته بتجارب شاقة مدة طويلة . ويتألف الشبان البالغون في اثناء ذلك جمهوريات موقتة . يقيمون في الغابات منفردين عن سائر القبيلة يدرسون خصائص الاعشاب والاشجار والحيوانات وتحضير

العقاقير التي قد يحتاجون اليها في التدجيل او دفع الشرور . وملك البمبا متسلسل من اسرة نالت القيادة العامة من ملك الكونغو الاكبر (الامبراطور) . وعندهم الفتش الاكبر في غاب لا يتيسر لاحد من الغرباء الوصول اليه . فيبقى ذلك النصب محجوباً حتى عن عباده أنفسهم . وهم يعتقدون انه يموت لكنهم يجمعون بقاياه فيعود الى الحياة ! كما يعتقد اهل التيبت في كاهنهم الاكبر دالاي لاما انه خالد



ش ٥٣ : وزير من البوشنغو فى الكونغو البلجيكية

ويشبه ذلك اعتقادهم ان كل فرد من افراد القبيلة لا بد له من موت وقتي . يعنون بذلك ان الكاهن اذا حرك قرعته المملوءة بالطلاسم اصاب الشبان غيبوبة كأنهم اموات ولا يزالون في ذلك ثلاثة ايام ثم يعودون الى الحياة . فيقفون حياتهم لخدمة النصب الذي يعتقدون انه احياهم . ومهما قيل في هذه العادة عند البمبا فان السحرة يفعلونها بقوة فيهم لعلها من قبيل المانيتزم . فمن لم يوفق الى المرور في عالم الاموات بضعة ايام احتقر ولم يؤذن له بحضور الاحتفالات

بونا

وقد قص بعضهم قصصاً عن امة يقال لها « بونا » في جنوبي نهر كوانزا يظن انهم جاؤا من الشمال الشرقي في اواسط القرن السادس عشر وكان اسلافهم متوحشين يأكلون لحوم البشر لا يفترون عن مناوأة القبائل المجاورة للحصول على لحوم الادميين

فاذا لم يكن لهم عدو يأكلونه اكلوا بعضهم بعضاً. فاصبحت تلك الامة في خطر الانقراض – قالوا فتألفت جمعية سرية سموها «جمعية صادة الجواميس» تعاهد اعضاؤها ان لا يأكلوا الالحوم الحيوانات التي يصطادونها من الغابات. وجعلوا علامتهم المميزة ذنب جاموس يعصبون به رؤوسهم واساور من اوتار تصنع من امعاء الحيوانات حول معاصمهم واذرعتهم وارجلهم. فنمت هذه الجمعية بتوالي الاعوام وجاهرت بمناهضة اكلة لحوم البشر – وهم المحافظون – ففاز هؤلاء فاضطر الاحرار الى الفرار فقطعوا كوانزا العليا نحو الغرب حتى نزلوا ارض « البيلوند » وما جاورها. وهناك تعلموا الزراعة وصادقوا البورتغاليين

وهم مؤلفون من شراذم يزيد عددهم على ٣٠٠٠٠ مقاتل مسلحين بالقوس والنشاب. حاربوا مع البورتغاليين في « الحروب السوداء » القديمة التي انتهت بدخول « انقولا » وتوابعها في حوزة البورتغاليين

اما المحافظون على اكل البشر الذين بقوا في مواطنهم فقد اصبحوا عاجزين عن حفظ جنسيتهم فاندمجوا في جيرانهم. وانت ترى ان « صادة الجواميس » اتوا عملاً يدلُّ على صدق نظر وعلو همة – اتته تلك الامة من عند نفسها قبل ان تحتك بالافرنج او غيرهم من الاجانب

البنغلا

وفي داخلية بلاد البانتو امم كثيرة اشدُّها بطشاً « البنغلا » على نهر كوانغو. وقد اقتبسوا بعض طقوسهم ومعتقداتهم من كاثوليكي مملكة الكونغو. ويؤيد ذلك وجود كلمة « سانتو » عندهم وهي بورتغالية ومعناها « قديس » والبنغليون يطلقونها على بعض الارواح غير المنظورة. ويمتازون باحترامهم للميت ولا سيما اذا كان اميراً فيقضون في جنازته عدة ايام يذبحون الذبائح ويضربون الطبول ليلاً ونهاراً. ويخرجون الميت كل مساء بعد الغروب الى باب الكوخ على مقعد ليرى احتفاء القوم به. فاذا طلعت الشمس اعادوه الى الداخل. ثم يستشيرون الاطباء في الدفن ولا يخرجون في ذلك عن امر الرؤساء. ويجري الاطباء اموراً يطول بنا ذكرها وفي جملتها انهم يجلسون لمخاطبة الميت عن سبب موته. وبعد شرح طويل يستغرق ثلاث ساعات يتفق الحضور مما يفهمونه من القرائن ان الميت لم يقتله الساحر وحده ولا الروح وحده بل تعاونا على القتل فيؤمر بدفنه. ومن الغريب ان هذه الامة مع كونها من ارقى امم البانتو لا تزال تجهل حقيقة الموت وانه من طبيعة الحياة

٤ — البانتو الجنوبيون

في جنوبي نهر الزمبيزي امم من البانتو كثيرة ترجع الى ثلاثة مجاميع :

١ الزولو : في الجنوب الشرقي

٢ البكوانا والباسوتو : في الوسط

٣ الاوفاهريرو والافامبو : في الغرب وهاك اخبارها :

الزولو
zulu

فالزولو قسمان احدهما في ناتال والاخر في مستعمرة الكاب. ويعرفون جميعاً باسم « الكفار » جمع كافر وهي تسمية عربية اطلقها المسلمون على سواهم من سكان شرقي افريقيا. وهؤلاء الكفار اشد امم البانتو بطشاً واقدم على الحرب واسبق الى الآداب الاجتماعية وارقى في المدارك. وهم حديثو العهد في تلك البلاد بالنظر الى سائر



ش ٥٤ : زوليون بثياب العيد

سكانها — جاؤها منذ خمسمائة سنة وفيها البوشمان والهوتنتوت الآتي ذكرهما فاخرجوهما منها. واتسعت مساحة هذه البلاد في اثناء حروبها مع الانكليز سنة ١٨١١ — ١٨٧٧ ثم تناقصت. ولكن الانكليز استعاضوا عنها بغيرها من البلاد التي نقصت بعد انشاء القوة العسكرية الزولية بقيادة « دنجسوايو » وشاكا (١٧٩٣ — ١٨٢٨) اذ تجند الزولو بنظام وزحفوا شمالا الى بحيرة تنجنيقة. وحيثما نزلوا انشأوا حكومة على مثال

الحكومة الاستبدادية في بلادهم . فتشكلت الحكومات وراء لمبوبو وبلاد المتابيل سنة ١٨٣٨ على يد امزيليكاتسي والد لوبنغولا الذي هلك في جهاده العنيف ضد الانكليز سنة ١٨٩٤ وكذلك بلاد الغازا التي خلع البورتغاليون اميرها غنغنهانا سنة ١٨٩٦ وقس على ذلك



ش ٥٥ : رجال من الزولو محاربون بالبسة الحرب

فعاد الزولو الى السكينة يشتغلون بالزراعة وتخلصوا من العمل الشاق فانصرفوا في ساعات الفراغ الى المنازعات العائلية شأن الانسان حيثما كان . ولكل عائلة عندهم شيخ يدبر شؤونها وامرأته تهتم بما يحتاجون اليه من طعام اوشراب . وهم يتناولون طعامهم من القدور رأساً . واما الرجال الاشداء فلا يزالون يتحدثون بمجدهم السالف ويتقلدون الاسلحة ويخطرون بها كما كان يفعل ابطالهم القدماء ويقضي القوم ساعات عديدة من يومهم بالاحاديث بجانب الآبار والعيون حيث تجتمع حملة الماء من الشبان والشابات يضحكون لاقل سبب ويقضون بعض النهار بالالعاب والضرب على الآلات الموسيقية او بمجالسة المبصرين وغيرهم .

ولهم عناية كبرى في حفظ الانساب بل هم اكثر تلك الامم عناية بها فيرجع كل منهم بنسبه الى رجل حقيقي او خرافي يزعم انه مؤسس القبيلة . فامة الشاكا يزعمون انهم من نسل زعيم اسمه « زولو » وقس عليه . ولكل قبيلة حكومة يتولاها رجل تسلسلت فيه السيادة من جده الاول فيحكم قومه مستقلاً عن سواه ويسيطر عليه مجلس من اعيان القبيلة ولهم قانون يعملون به مما لا مثيل لهم في سواهم من امم البانتو

وهودليل على ارتقاء الزولو في سلم البشرية وان لم يستطيعوا النجاة من بعض الخرافات الموروثة . على ان انتظام ملامحهم وتناسب اعضائهم يؤيد ارتقاءهم ويظهر ذلك خصوصاً في اعتدال انوفهم . شعورهم سوداء قصيرة مع ميل الى الجعودة والوانهم يغلب فيها الاسمرار الصافي . قاماتهم يبلغ طولها ستة اقدام مع انتظام وتناسب وجمال جاذب

البكوانا

Bechuana

اما البكوانا فمواطنهم تمتد من نهر الاورانج الى زمبيزي فتشمل ارض الباسوتو ومستعمرة اورانج ومعظم بلاد الترنسفال . وفيهم شعوب طوتمية يستعيضون عن تفاخر الزولو بابطالهم واسلافهم البواسل بالانتساب الى القرود اوالاسماك او الافيال او التماسيح او غيرها من الحيوانات — تلك هي انساب البارولنغ والباكوينا والبامنغوتو والباروتسي وغيرهم من امم البكوانا . وهناك بطن من بطون قبيلة الباروتسي او الماروتسي هو اقدم فروعها هاجر في اوئل القرن التاسع عشر الى زمبيزي فوق شلالات فيكتوريا فاسسوا هناك مملكة الباروتسي . واميرها اليوم « ليوانيكا » كان في جملة الذين شهدوا تتويج ادوارد السابع رحمه الله ودخل في حماية انكلترا

وخلف دولة الباروتسي دولة « ماكولولو » زعيمها سبتوان جاء زمبيزي من ارض الباسوتو سنة ١٨٣٥ لكن الباروتسي تمردوا سنة ١٨٧٠ فافنوا الماكولولو كلهم واعادوا السلطة لانفسهم باقوى مما كانت عليه . وحكم الماكولولو ٣٥ سنة (١٨٣٥— ١٨٧٠) نشروا فيها لغتهم ثم ذهبوا هم وبقيت هي شائعة في اواسط زمبيزي . وانتشرت النصرانية قليلاً بين الباسوتو والبامنغوتو تحت امارة « خاما » . واكثر البكوانا اهملوا العادات الوثنية الوحشية وعكف كثير منهم على الاشتغال بالزراعة

الاوفاهريرو والاوفامبو

Ova-harero & Ova-mpo

وفي القسم الشمالي من افريقيا الجنوبية الغربية الالمانية قبيلتان متقاربتان اسماً ونسباً نعني « الاوفاهريرو» و« الاوفامبو» من البانتو . ومواطنهم من نهر كونين على حدود املاك البورتغاليين الى بوغاز ولفش حيث يلتقون باعدائهم القدماء النامآ والهوتنتوت . لكنهم لما احسوا بثقل النير الالماني على اعناقهم اتحد الهريرو والهوتنتوت على عدوهم الاجنبي . والهريرو معناها في لسانهم الشعب المسرور وقد يخطئ بعضهم

بتسميتهم دمارا

والهيريرو لايطلبون الملح ولامواشيهم تطلبه . ولعل السبب في ذلك ما في جوهم من دقائق الملح المحمولة بالبخار الى الشواطيء . وهم امة حسنة التكوين طوال القامة ممتلئو البدن متناسبو الملامح مع اشراق وذكاء ويصدق ذلك خصوصاً على « الافامبو » وقد بلغ من رقيهم الاجتماعي انهم خلعوا ملوكهم وجعلوا حكومتهم جمهورية . يلبسون ثوباً وطنيا يسمونه كاروس يتخذونه من جلد الاسد او النمر او الماعز . حوله منطقة من سير جلدي طوله عشرات من الامتار . يلفه لاوفامبي على الوركين ويحمل على كتفه كيساً يتدلى على الظهر . لايغسلون آنية الطعام وانما ينظفها كلابهم باللحس لاعتقادهم ان بقرهم تجف البانها اذا غسلوا هذه الانية بغير هذه الطريقة !

ويدفنون موتاهم الامراء باحتفال شائق بعد ان يكسروا الجثة بحجر ويطووها من الراس الى الركبة ثم تلف بجلد ثور يذبح لهذه الغاية ويضعونها في القبر ووجهها نحو الشمال تذكاراً للارض التي اتت منها وتعلق اسلحة الميت وثيابه بعمود او غصن شجرة بحيث تظلل القبر . واذا كان الميت امراة فقيرة دفنوا اولادها الصغار معها ليخلصوهم من عذاب اليتم

البوشمان والهوتنتوت

Bushmen & Hotentots

هما امتان منحصرتان الان في بقعة من بلاد بكوانا وافريقيا الالمانية الجنوبية الغربية ومستعمرة الكاب . ولكنهما كانتا تمتدان قديماً نحو الشمال الى بحيرة تجنيقة وربما الى بحيرة فيكتوريا نيانزا . فان في مقاطعة « كواكوكو » غربي جبل كيليمانجارو قوماً يقال لهم « الوسندويين » ليسو من البانتو وفيهم ملامح الهوتنتوت واضحة . يتفاهمون بلغة كثيرة الشبه بلغة البوشمان . وعثر الباحثون في بلاد تجنيقة ونيازا على احجار مستديرة في وسطها ثقب كبير يشبه الاحجار التي يثقل بها البوشمان عيدان الحفر . فاستدلوا من ذلك ومن اشياء اخرى ان البوشمان والهوتنتوت الاصليين كانوا يقيمون في معظم جنوبي افريقيا من زمبيزي الى ناتال وراس الرجاء . اما الان فالهوتنتوت الاصليون موجودون بالاكثر في بلاد الناماكوا شمالي الكاب من الغرب . اما المقيمون منهم في مستعمرة الكاب فهم مولدون من الهوتنتوت والبوير او الهوتنتوت والبانتو

(ش ٥٧) . وقد بطل توارث الامارة في الحكومة عندهم سنة ١٨١٠ اذ ابدل اميرهم الهوتنتوتي بحاكم اوربي . وعددهم في جنوبي نهر الاورانج لا يزيد على ٠٠٠ ١٨٠ نفس معظمهم مولدون يتخذهم البيض خدماً في قضاء حوائجهم



ش٥٦ : عائلة من البوشمان

والاكثرون على ان البوشمان والهوتنتوت متقاربان لغة وشكلاً ولكن البوشمان اعرق في الزنجية . او هم الاصليون ثم ظهر الهوتنتوت وسطاً بينهم وبين البانتو اشباه الزنج . كلاهما صفر اللون يمتازون بذلك عن الزنوج الحقيقيين . وجناتهم كثيرة البروز حتى تجعل الوجه مثلث الشكل . ثم ان الهوتنتوت اطول قامة متوسط طولهم ٥ اقدام و ٨ قراريط . وطول البوشمان ٥ اقدام و ٤ قراريط . وهم خفاف العضل انوفهم عريضة مفلطحة وعيونهم منحرفة غائرة مع تباعد بينهما كثير . اذقانهم مستدقة . واذانهم غليظة وليس لها فص . افواههم كبيرة مع ضخامة الشفة وبروز الفك راسهم مستطيل تجويف الجمجمة ١٢٩٩ سنتيمتراً مكعباً . شعورهم سوداء كثيرة التجعيد وامراة البوشمان كثيرة الشبه بملامحها من ملامح القرود . قال كوفيه « لم ار راساً بشرياً قرب شكلا الى راس القرود من راس هذه المراة »

وتمتاز لغة البوشمان عن سواها من اللغات بالطقطقة وباصوات غير مقطعية يصعب على سواهم التلفظ بها . وهي تسعة احرف او اكثر إقتبس الهوتنتوت اربعة منها ودخل ثلاثة اخرى الى لغة الزولو . وكان الهوتنتوت قبل نزول البيض في بلادهم يتعاطون تربية الماشية على قلة . وكان نظامهم الاهلي ضعيفاً وعندهم طرف من التدين . اما البوشمان فكانوا اهل بداوة وقنص بلا روابط عصبية بين افراد القبيلة او الامة ولا اعتقادات . حتى الروابط العائلية كادت تكون مفقودة عندهم . وهم في احط



ش ٥٧ : رجل من دمارا مولد من الهوتنتوت والبانتو

درجات الاجتماع . لكن بعض الذين درسوا احوالهم مؤخراً ذهبوا الى ان اخلاقهم انحطت بسبب ما اصابهم من الضغط على ايدي البوير والبكوانيين . وضاقت بهم سبل الرزق حتى لم يبق لهم من الاطعمة الا الافاعي والسحالي والجراد والجذور ونحوها . وقد يقضي بعضهم اياماً بلا طعام فاذا عثر جماعة منهم على جثة حمار وحشي تخاطفوها والتقموها بساعة او ساعتين كالوحوش الضارية . اسلحتهم القوس يرمون بها سهاماً مسمومة ويتشحون بالجلود النيئة للحيوانات المفترسة . ويسكنون الكهوف وشقوق الصخور وضرباً من العشش يصنع بجدل الاغصان وليّها كالقنطرة

ومع ذلك فقد شهد الذين عاشروهم باقتدار فيهم على الرسم والاحاديث لما شاهدوه على احجارهم في كهوفهم من رسوم الناس والحيوانات وبينها وقائع حربية ومشاهد

صيد وغيره . اما احاديثهم ففيها كثير من الاقاصيص والخرافات وحكايات عن حيوانات يقلدون اصواتها . وفي مكتبة مدينة الكاب ٨٤ كتاباً خطياً عن آداب البوشمان . وفي هذه الاقاصيص الحيوانية فائدة هامة لانها تدل على طفولية البشر يوم كان الفارق بين الانسان والحيوان لا يزال ضعيفاً ـ حتى حقيقة الموت لم تكن معروفة عندهم . قال احد الباحثين ان البوشمان لا يميز بين الانسان والحيوان ويعتقد ان الجاموس يقدر ان يرمي النبال كما يرميها الانسان لو كان له قوس "

خرافاتهم

وهاك قصة من قصصهم تشرح احوالهم الاجتماعية قالوا :

كان « كغن » اول رجل على الأرض فصنع الشمس والقمر والريح والجبال. واسم امرأته « كوتي » وله ولدان كان اكبرهما رئيساً واسمه « كوقاز » والآخر اسمه « جيوي » . فصار الرؤساء ثلاثة كغن وكوقاز وجيوي وكانوا اقوياء . وكان كغن سيداً على رفيقيه فاخذت كوتي سكين زوجها كغن تبري بها عصا الحفر لتنبش جذراً تأكله . فاضاعت السكين فانتهرها زوجها ولعنها ودعا عليها بالمصائب . وكان لها صغير" من الظباء ربته في الحقول فقالت لزوجها انها لم تكن تعرف اي نوع من الاولاد هو. فاسرع لمشاهدته وامرها ان تستفهم الساحر لعله يعرفه ففعلت فجاء الساحر وعزَّم ثم سأل الحيوان « هل انت ظبي » فاجاب « نعم » فضمه بين ذراعيه ومضى به الى شق في صخر محاط بالتلال رباه فيه . وصنع كغن ايضاً سائر الحيوانات والاشياء لمنفعة الانسان واصطنع الافخاخ والاسلحة وخلق الحجل والجرد والريح . وبرى ثلاثة عيدان رمى الظبي بواحد منها فهرب فدعاه اليه ورماه بسائر العيدان فاخطأه وهو يدعوه اليه كل مرة . ثم مضى الى ابن اخيه ليأخذ منه سماً للسهام فغاب ثلاثة ايام

وفي أثناء غيابه خرج ولداه كوقاز وجيوي مع بعض الشبان للصيد فعثرا بالظبي وكان ابوهما قد خبأه وهما لا يعرفان . فظناه حيواناً جديداً وقرناه لا يزالان في اول نموهما. فاحدقا به ورمياه ففرّ ورجع الى مكانه ونام. فاغتنم جيوي نومه وكان حسن الرماية فاصابه وحملاه الى البيت . وبعد ان قطعاه شاهدا فخ كغن ومصايده نخافا

وفي اليوم الثالث رجع كغن ورأى الدم في الموضع الذي قتلا الظبي فيه فغضب ورجع الى البيت فهدد جيوي بالقصاص لجسارته وعصيانه بان يقطع انفه ويرميه في في النار لكنه قال « لا. لا افعل ذلك » فاعاد اليه انفه وقال « اصلح ما افسدته فانك

اهلكت الظباء التي كنت اربيها لتكون نافعة » وامره ان يضع بعض دم الظبي في القدر ويحركه بقضيب صغير من قضبان البوشمان ففعل فتحول الدم الى افاعي . لكن كغن قال له « لا ينبغي ان تفعل شيئاً فظيعاً مثل هذا » وحرك القدر ثانية فصار المزيج ظباء افريقية فقال كغن « لم اكتف بعد ليس هذا كل ما اريده انت لا تقدر تعمل شيئاً . اطرح الدم بعيداً . وانت يا امراتي كوني نظفي هذه القدر واتي بقليل من الدم وحركيه » ففعلت وبعد حديث طويل استخرج كغن من القدر قطيعاً من الظباء

ويلي ذلك قصة بعض الجبابرة سطوا على كغن واهله يظن انها بقية حديث زحف البانتو على بلاد البوشمان قديماً اي منذ الفين او ثلاثة آلاف سنة . وكانوا من اكلة لحوم البشر . وهناك قصص اخرى تمثل انحطاط افكارهم وقصر مداركهم وقربهم من اوائل عهد الانسان وما كانوا يأتونه من الاعمال الوحشة

النغريتو او البغمة

Negritos or Pygmies

قد تقدم ان البغمة الافريقيين يغلب على الظن انهم رحلوا الى اوربا في اثناء الاعصر الحجرية . وكانوا ايضاً يؤخذون الى مجالس الفراعنة بمصر . اما الآن فقد توطنوا الغابات في ولي وايتوري ورونزوري والكونغو واوغوي . ولذلك فان الوانهم ليست سوداء بل مائلة الى الصفرة او الحمرة مع سمرة . اجسامهم كثيرة الشعر قاماتهم قصيرة من ثلاثة اقدام الى اربعة ونصف بالاكثر . واختلف القدماء في تعريف هذه الامة وتعيين مكانها فذكرها هيرودوتس عرضاً في اثناء كلامه عن شمالي افريقيا وصحراء ليبيا وينابيع النيل على لسان خمسة فتيان من الناسمونة سكان سيرتا قرب خليج قابس اختاروهم بالاقتراع وارسلوهم للبحث عما في بادية ليبيا (الصحراء الافريقية الكبرى) قال هيرودوتس « فالفتيان الخمسة المذكورون ارسلهم اصحابهم وقد زوَّدوهم شيئاً كثيراً من الطعام والماء فدخلوا اولاً بلاداً مأهولة ثم بلاداً فيها الوحوش الضارية بكثرة ثم تقدموا غرباً يتبطنون القفار حتى راوا بعد سير طويل في الرمال بقعة شجراء فدخلوها واكلوا من ثمارها . وبينما هم يأكلون انقضت عليهم جماعة من الناس قصار القامة واخذوهم جبراً وساروا بهم في اماكن كثيرة المناقع . وبعد ان اجتازوها

وصلوا الى بلد كل اهله سود البشرة اجسامهم صغيرة كالاولين وكان يشق البلد نهر كبير فيه تماسيح وهو يجري من الغرب الى الشرق »

ومع هذا الوصف ظل المؤرخون في شك من وجود هذه الامة حتى اخذ اهل الرحلة في ارتياد اواسط افريقيا . واول من درس احوالهم ووصفهم السير هري جونستن على أثر عودته من رحلته الشهيرة وسماهم « اوكابي » . فلم يكتف علماء الانسان بالسماع فاحبوا مشاهدة اولئك الناس عياناً فاستحثوا الكولونل هريسن على ذلك في اثناء رحلته منذ بضعة اعوام فذهب الى غابة من بلاد امبوتي على نهر



ش ٥٨ : البغمة من أمة الاوكابي

الايتوري قضى فيها بضعة اشهر يترقب الفرص حتى تمكن من القبض على اربعة رجال وامرأتين من امة الاوكابي ترى رسمهم (ش ٥٨) ومعهم زنجي هو المترجم بينهم وبين الكولونيل هريسن . ومهما يكن من اختلاف الاسم او الوصف فيغلب على الظن ان الاوكابي بقية تلك الامة التي ذكرها ابو التاريخ

وقد قاسى هريسن مشقات جسيمة في نقل هؤلاء الستة من اواسط افريقيا الى لندن فمروا بالخرطوم ومنها الى القاهرة قضوا في ذلك عدة اسابيع قامت في اثنائها جمعيات الدفاع عن الانسان في انكلترا تعترض على اخراج اولئك الناس من اوطانهم قسراً . فاضطر الكولونيل هريسن ان يبرهن للورد كرومر وللحكومة الانكليزية ان

هؤلاء الاقزام انما صحبوه باختيارهم . ولما وصلوا الى لندن اقدم علماء الانسان على تفحص احوالهم ودرس طبائعهم وهي لا تخرج عما نشره السير هري جونستن سنة ١٩٠٢ وخلاصة ذلك ان قاماتهم معدل طولها في الرجال ٤ اقدام وستة قراريط وفي النساء ٤ اقدام وقيراط . واطول رجل فيهم لا يزيد طوله على خمسة اقدام اي نحو متر ونصف . ووجدوا بين نسائهم من لا يزيد طولها على متر

ويرى الكولونل هريسن ان هذه الامة آخذة في الانقراض لما تقاسيه من عوارض الاقليم . فان الشتاء عندهم ثمانية اشهر يهطل المطر في اثنائها مدراراً حتى تفيض الارض ويصير ترابها وحلاً . ولذلك فان علل الحلق متفشية فيهم لا ينجو منها احد . فكان الطبيعة قد اذنت بانقراضهم — ولكل امة اجل

ومن غريب امر هذه الامة انها لا تتكلم لغة خاصة بها مثل سائر قبائل الزنج في افريقيا وانما يقتبسون الفاظهم من لغات الامم المجاورة فيؤلفون منها لغة شبهها الكولونل هريسن باللغة الهندستانية من حيث تألفها من عدة لغات او لعلها اقرب شبهاً الى اللغة المالطية . واليك امثلة من لفظها . فالماء عندهم يسمى « مائي » وهو لفظ عربي الاصل والقوس اسمها « تزيبا » والجرس « ليكليكلي » وهو حكاية صوت دقه . واسم القرن « ماليدي » والرقص « اوهبلي » والتدخين « مايابا » وقس عليه وترى تفصيل اخبارهم في الهلال صفحة ٤١١ سنة ١٤

الفالبان

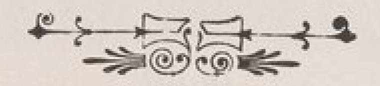
Vaalpens

على ضفاف اللمبوبو بين الترنسفال وجنوبي روديسيا جماعات من الزنج يظهر من اطوارهم انهم من احط البشر . يعدُّهم بعض العلماء من البوشمان لكنهم يختلفون عنهم من اوجه كثيرة . وقد سماهم بعض الكتاب « رجال الارض » اما اسمهم الحقيقي فهو « كاتيا » وان سماهم جيرانهم « ماسروا » اي القوم الارديا . اوالفالبان اي « البطون السنجابية » للون الذي تكتسبه ابدانهم بسحفهم على الاربعة في دخولهم الى منازلهم تحت الارض . اما لونهم الاصلي فهو السواد الزفتي وهم اقزام متوسط طولهم اربعة اقدام ولذلك فهم لا يلتبسون بالبانتو الطوال ولا بالبوشمان او الهوتنتوت الصفر الالوان . واهل الزولو يعدونهم كلاباً او عقباناً وهم بالحقيقة احط الزنوج

الاصليين يأكلون لحوم البشر ويسطون على شيوخهم وضعفائهم فيأكلونهم كما يفعل بعض قبائل الامازون . يسكنون نقراً في الصخور او كهوفاً في الجبال واصطنعوا مؤخراً بعض الاكواخ من الاغصان والطين في اسفل التلال

اما لغتهم فلم يعرف عنها سوى انها مختلفة كل الاختلاف عن لغات البانتو والبوشمان . ليس عندهم صناعة ولا عمل من اي نوع كان ولا اسلحة غير ما يأخذونه بدلاً من ريش النعام او الجلود أو العاج . لكنهم يولدون النار ولذلك استطاعوا ان يطبخوا سقط الذبائح التي يرميها البوير لهم جزاء لمساعدتهم اياهم في سلخ جلود ما يصطادونه

ولا يعرف هل لهم دين اوشبه دين اذ لم يتمكن احد من مخالطتهم ودرس احوالهم . ونظام حكومتهم عبارة عن نظام العائلة . ولم تتألف منهم القبائل . وانما يتغلب عليهم قويُّ البدن شأن الحيوانات العجماء . والحق يقال ان السكاتيا هم احسن مثال للهمجية في احط درجاتها



الطبقة الثانية من البشر

المغول

او الجنس الاصفر

فذلكة عن احوالهم

موطنهم الاصلي : التيبت

هجرتهم قديماً : منغوليا وسيبيريا والصين والهند الصينية ومالايزيا وبين النهرين

مواطنهم اليوم : التيبت واواسط اسيا ومنغوليا وسيبيريا ومنشوريا وكوريا واليابان وفرموزا والصين والهند الصينية وبعض ايران وارمينيا وقوقاسيا ومعظم اسيا الصغرى وبعض روسيا وفنلاند ولابلاند والبلقان وبلاد المجر . ومعظم مالايزيا وفيليبين ومدغسكر

احصاؤهم : يبلغ عدد المغول في العالم كله نحو ٥٩٦ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس تتفرق في الارض على هذه الصورة :

عـــدد	
٤٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	الصين
٥٨ ٠٠٠ ٠٠٠	اليابان
٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	منغوليا ومنشوريا وسيبيريا
٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	اواسط اسيا وغربيها وشرقي اوربا
٤٨ ٠٠٠ ٠٠٠	مالايزيا وفيليبين
٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠	التيبت والهند الصينية
٥٩٦ ٠٠٠ ٠٠٠	الجملة

خصائصهم المشتركة

خصائصهم البدنية

الرؤوس عريضة والوجنات مرتفعة وبارزة بروزاً جانبياً . الفك بارز قليلاً . الانف قصير جداً ومنبسط . الشفاه رقيقة لا تنقلب مطلقاً . الحواجب منخفضة ومقوسة قليلاً . العيون صغيرة سوداء منحرفة وزاويتها الخارجية مرتفعة قليلاً . وفي الماق الداخلي طية عمودية . الاقدام اعتيادية لكن نساءهم يصغرنها بالصناعة . اللون اصفر كدر او اسمر فاتح . الشعر اسود غليظ باهت طويل قليلا ينبت في الشاربين دون الذقون . القامة معدل طولها خمسة اقدام وستة قراريط وقد تطول الى ٥ اقدام وعشرة قراريط في شمالي الصين ومنشوريا

خصائصهم العقلية والادبية

يغلب فيهم التحفظ مع التبسل والعناد وضعف الشعور (في المغول الاصليين) وهم مفطورون على الاقتصاد والاعتدال والجد (في الصين واليابان) والكسل والتراخي (في مالايزيا وسيام وكوريا) والمقامرة . يطلبون العلم قليلاً وهم في الفنون والاداب متوسطون . اما الصناعة ولا سيما في البورسلين والبرونز والعاج والدهان الملون فلا مثيل لهم فيها (في الصين واليابان وكوريا قديماً) لكنهم ضعاف في التصوير والبصريات

لغاتهم

تقسم لغاتهم الى ثلاث عائلات :

١ المغولية التركية : وتسمى « الاورال الطائية » (Ural-altaic) منتشرة من لابلاند في شمالي اسيا الى اليابان . ومن ضفاف لينا في اواسط اسيا وغربي تركستان واسيا الصغرى الى تركيا اوربا و بلاد المجر — الا اللغات اليابانية والكورية . اما لغات المنشو والمغول والاتراك والفينيين او اللابين والمجر فانها من صميم هذه العائلة . وتعرف ايضاً باللغات الطورانية وقد تقدم الكلام عليها

٢ التبتية الهندية الصينية : تمتد من جبال حملايا الغربية الى البحر المحيط . ومن سور الصين العظيم الى الاوقيانوس الهندي . وهي في دور الانحلال اكثرها احادية المقطع وليس ذلك قديماً فيها لكنها صارت اليه بعد الانحطاط

٣ اللغات الملقية البولينيزية : في اوقيانيا وتمتد من مدغسكر فتقطع الاوقيانوسين الى جزيرة ايستر . ومن زيلاندا الجديدة الى هاواي

كيف وصل الانسان الى التيبت

قلنا ان الانسان الاصلي زنجيُّ الملامح والطبائع كان موطنه في الارخبيل الهندي فتفرق منه في الارض وتولدت الاجناس والامم . فكيف وصل الى بلاد التيبت وتنوَّع حتى صار مغولياً ؟

ان انتقال الانسان من جزائر الهند الى بلاد التيبت يظهر لاول وهلة بعيد الوقوع لما بين البلدين من الجبال الشامخة والاودية الوعرة ومنها جبال حملايا المشهورة بعلوها . لكن تلك البلاد كانت في العصر البليوسيني الاخير الذي هاجر فيه الانسان من مهده الاول غير ما هي عليه الآن . ان سهول التيبت وهي اعلى سهول الدنيا اليوم كانت في العصر الطباشيري او الكلسي اي في اواخر الطور الثاني من اطوار الارض لا تزال بحراً يتلاطم بالامواج . ثم اخذت في الارتفاع حتى بلغت ما هي عليه الآن . ففي الطور الثالث اخذت جبال حملايا في الارتفاع مع ما يمتد منها شرقاً وغرباً الى سلاسل جبال سليمان وارخان . ولم تبلغ ارتفاعها الحالي الا في العصر البليستوسيني . فالطريق من الارخبيل الهندي الى اواسط اسيا في العصر البليوسيني الذي اخذ الانسان فيه بالمهاجرة الى تلك القارة كانت مفتوحة . وكان في سهول التيبت كل الاسباب المساعدة على تنوع ذلك الانسان الى المغولية . وتنوع معه كثير من انواع الحيوان كالكلب والذئب والثعلب والفرس فاختلفت عن اخواتها في البلاد الاخرى . وتولدت انواع من الغزلان والماعز الغنم وغيرها خاصة بذلك الاقليم — هذا ما يقوله اصحاب النشوء والارتقاء في تولد الجنس المغولي

مهاجراته القديمة قبل زمن التاريخ

وبعد ان اقام الانسان في هذا المهد ادهاراً تكيف في اثنائها بدناً وعقلاً واكتسب الخصائص التي تقدم ذكرها فصار مغولياً اخذ بالمهاجرة في اثناء العصور الحجرية الى جهات مختلفة من قارة اسيا . وهو يتنوع ويرتقي باختلاف الاقاليم والاحوال فتفرع الى امم عديدة انقرض بعضها في اقدم ازمنة التاريخ كالاكاديين والسومريين الذين عمروا ما بين النهرين . والهيبربوريين . ونشأت امم المغول التتر والصينية الهندية التبتية والمغول الاوقيانية الباقية الى الآن . وانتشر الجنس المغولي في معظم اسيا منذ

العصر البليستوسيني وسمي لذلك بالانسان الاسيوي Homo Asiaticus ولا يراد بذلك طبعاً ان اهل اسيا كلهم من المغول فان فيها من اكثر الاجناس وهذه امثلة من سكانها :



ش ٥٩: تباينات اصناف البشر في اسيا

١ الهندي ٢ الافغاني ٣ البورمي ٤ السيامي ٥ الصيني ٦ التبتي ٧ الياباني
٨ الكوري ٩ الملقي ١٠ الفارسي ١١ العربي ١٢ الارمني

فتفرع المغول الى فروع عديدة بعضها انقرض والبعض الآخر اوشك ان ينقرض ومنها ما هو باق وله تأثير عظيم في المدنية على اختلاف ادوارها . وهاك اهم فروعه :

١ الاكاديون والسومريون : في ما بين النهرين وقد انقرضوا

٢ الهيبربوريون : في شمالي سيبيريا وقد اوشكوا ان ينقرضوا

٣ المغول التتر : وهم قسمان (١) المغول الاصليون ومنهم التتقوس والمنشو والكوريون واليابان (٢) المغول الاتراك ومنهم الياقوت على ضفاف اللينا والكرج والازابكة والتركمان في غربي سبيريا وغربي تركستان . واتراك الاناطول والعثمانيون في اسيا الصغرى وجزيرة البلقان

٤ المغول الاوغروفين : وهم الفين واللاب والساموبون والمورديون والمجر في فينلاد ولابلاند وسبيريا وروسيا وهونغاريا

٥ المغول التيبتيون الصينيون : اهل تيبت والهند الصينية وبورما وسيام وانام والناجا والشان والصين

٦ المغول الملقيون أو الاوقيانيون : في فرموزا ومالايزيا وفيلبين ومداغسكر فلنتكلم عن كل منها على حدة :

١ — الاكاديون والسومريون

Akkado - Sumerians

هم الذين عمروا مابين النهرين واسسوا التمدن البابلي القديم . والغالب في اعتقاد العلماء انهم من المغول . واقوى ادلتهم على ذلك اللغة التي خلفتها تلك الامة منقوشة على اطلال بابل بالحرف المسماري القديم . فانها كثيرة الشبه بلغات الاوغروفينيين من حيث احرفها الصوتية وصيغ الاسماء والارقام والضمائر والافعال مما لا يعقل وقوعه اتفاقاً . فالاكاد (ومعناها الرؤوس السوداء) كانوا يقيمون في الجبال الشمالية من بين النهرين . والسومر في السهول بجوار راس خليج العجم . وكان ذلك الخليج داخلاً نحو مئة ميل شمالاً في العراق . واحتكوا بالاشوريين والاموريين (من الامم السامية) في اقدم ازمنة التاريخ ثم غلبهم الاشوريون واستولوا على بلادهم وتمدنهم . ثم اندمج الاكاديون بالاشوريين وصاروا امة واحدة سامية . وامحى الجنس المغولي بتوالي الاعصر من بين النهرين كانه لم يكن هناك

وفي أثناء ذلك الاختلاط اقتبس الساميون تمدن اولئك المغوليين . فاتخذوا احرفهم المسمارية وآدابهم وعلومهم وعاداتهم وعباداتهم . وهو السبب في تشابه حكاية الخليقة والطوفان وغيرهما عند البابليين وسواهم من الامم الاخرى . فقد عثروا في اكاد على نقوش كتابية مؤداها ان ام سرجون الاول (نحو ٣٨٠٠ قبل الميلاد) كتمت ولادتها اياه فخبأته في سلّ اقفلت عليه بالقار وارسلته في مجرى النهر فانقذه « اكي » السقاء

كما نجا موسى على يد بنت فرعون . ومثلها حكاية كدرلاعومر ملك عيلام وكدر لا قمر الذي حارب الاكاديين [١]

٢ – الهيبربوربونه

Hyperboreans

كان البابليون قبل ان ترتقي ديانتهم ويتولد عندهم المثلث المؤلف من مروداخ وايا وانو (آلهة البحر والبر والجو) يعدون من عبدة الارواح . وقد خصصوا روحاً



ش ٦٠ : جلياك عابد الدب

لكل من اعمال الطبيعة وموجوداتها من الشجر الى الريح والحجارة فالجبال والامطار والانهار والبحار وما فيها . ولا يزال ذلك شأن اقربائهم « الهيبربورية » حتى الآن وهم امم متفرقة اشهرها « الشوكشي » و « اليوكاجير » و « الكورياك و « الجلياك » و « الكمشدال » وغيرهم في شمالي سيبيريا الشرقي

وقد عني بعض اهل الهمة بدرس هذه الامم ووصفوها بما يضيق عنه المقام . فنكتفي بالاشارة الى كتابة اليوكاجير على قشر شجر البتولا فهم يدونون اخبار الصيد

(١) راجع كتابنا تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٠ ج ١

وغيرها على قشر هذا الشجر حفراً بنصال حادة . وفي جملتها مكاتبات غرامية وجدوا بينها رسالة من فتاة الى حبيبها تعاتبه فيها على ذهابه وتركها وحدها تبكي . ورسالة اخرى تعنفه فيها لانه تركها واشتغل بسواها ونحو ذلك كثير . وكان اليوكاجير امة ضخمة تقيم في بلاد واسعة . ومن الاقوال المأثورة ان نيرانهم كانت منتشرة على ضفاف الكوليما (شرقي سبيريا) انتشار الكواكب في السماء . اما الان فلم يبق منهم الا ١٥٠٠ نفس

ويجاورهم امة الشوكش وهي طبقتان : صيادو الاسماك يقيمون في مواطن ثابتة على سواحل البحر الشمالي . واصحاب الرنة (نوع من الغزلان) يطوفون البر ينتقلون من صقع الى صقع حسب الفصول كالبدو الرحل في بلادنا . وقد تنصروا ولكنهم لا يزالون يضحون الحيوانات عن ارواح الانهر والجبال . ويؤمنون بالحياة الاخرى لكن للذين يموتون في ساحة الوغى او غدراً او قتلاً . ولذلك فهم يحتفلون قبل تنفيذ الاعدام بايلام الولائم وشرب المسكرات وقد يكون الجلاد ابن المحكوم عليه او اخاه

و « الكمشدال » هم اليوم روسيون لغة وديناً . لكنهم لا يزالون محافظين على عاداتهم الوثنية سرًّا . فكثيراً ما يضحون الكلاب للارواح لتسهل طرقهم في الصيد. ولهم عناية خصوصية في ترتيب منازلهم ونظافتها اشتهروا بها لكن ابوابها قصيرة لا يدخلها الانسان الا ساجداً

ومن فروع امة التنقوس الآتي ذكرها قبيلة « الجلياك » عبدة الدب في بلاد « الأمور » . ويعتقد الرحالة لندسل انهم احطُّ عقلاً من سائر الامم التي لقيها في سبيريا . وقد بذل المبشرون الروسيون اقصى الجهد في نشر النصرانية بينهم فلم يفلحوا فهم لا يزالون الى الان شامانيين او قدريين . اذا سقط احدهم في النهر لا يقدم رفاقه على انقاذه لان ذلك مقدر عليه . فاذا ارادوا انقاذه عاندوا القضاء . ويعتقدون ان ارواحهم تنتقل بعد الموت الى كلابهم فمن احب كلباً انتقلت روحه اليه بعد موته ولذلك فهم يعنون بغذاء الكلاب لان فيها ارواح اهلهم واصدقائهم . وقد يخرجون الروح من الكلب بالصلاة على يد الشامان ثم يذبحون الكلب على قبر سيده فالروح تنصرف اذ ذاك تحت الارض ولا تزال هناك عائشة كما كانت في الحياة الدنيا ..

ويكتسي الجلياك وجيرانهم بثياب تصنع من جلود السلمون (نوع من السمك) ولذلك فالصينيون يسمونهم بلفظ مركب معناه « الامة المكتسية بجلود الاسماك » وهم ماهرون في اصطناع تلك الاثواب يساخون الجلد وينزعون عنه الحراشف ويعالجونه

حتى يصير ناعماً فيخيطون منه الأثواب ويصنعون منه الاكياس ونحوها . ومن معبوداتهم الدب فاذا اصطادوه في الشتاء احتفظوا به طويلاً فاذا سمن قطعوه واكلوه باحتفال شائق . وقد يعتذرون عن قساوتهم في معاملته بان ذلك افضل له ولهم

٣ — المغول التتر

Mongolo-Tatars

ان هذا النوع من المغول اوسع سائر الفروع انتشاراً . وهو قسمان شرقي يشمل المغوليين الاصليين في منغوليا ومنشوريا واليابان وغيرها . وغربي يشمل الامم التركية من الازابكة والتركمان والعثمانيين وغيرهم . وقد سموا هذه الامم « التتر » خطأ لان لفظ « التتر » جمعٌ مفرده « تاتا » اسم لطائفة مغولية صارت امة على يد جنكيز خان وانتشرت في الغرب لانها كانت تؤلف طلائع الجند المغولي فترتب على ذلك انتقالها بالتدريج الى غربي بلاد المغول واسم هذه الجهة عندهم « تركي » وهي مقرُّ الاتراك فكان ينبغي ان يسمى هذا الفرع من الجنس المغولي « المغولي التركي » او بالاضافة الى منازلهم الجغرافية « الاورال الطائي » Ural-altaic

فيقسم المغول التتر الى فرعين كبيرين المغول الاصليين والمغول الاتراك :

اولاً — المغول الاصليون

يراد بهم الامم التي لا تزال على طبائعها المغولية الاصلية او قريباً منها . وهم طائفتان : سكان منغوليا وما يليها ممن ظلوا على فطرتهم المغولية . والنازحون منها وقد تنوعوا . فالمغول الاصليون الباقون على الفطرة المغولية يقسمون الى ثلاثة فروع تاريخية وهي :

١ الكلموك : في الغرب بزنقاريا وكشغاريا واستراخان

٢ الشراء : في الشرق بمرتفعات جوبي وكوكونور والاشان وانشان

٣ البوريات : على جانبي بحيرة بيقال في سبيريا

واكثر هؤلاء المغول بوذيون في الظاهر لكنهم في الباطن من عبدة الطبيعة وشامانيون يؤلهون القوى الطبيعية ومظاهرها كالجبال والاودية والانهار والبحيرات والجو والمطر والصواعق على ايدي كهانهم الشامان وهم الوسيلة بينهم وبين تلك الارواح . فكل المياه الجارية في منغوليا قد الهها الناس وعبدوها ولكل جبل من

جبالهم خرافة دينية ويلقبون اعلى قممها بالقاب الملوك . وهم يخافون الهاً يسمونه « وجه الماعز » له راس ماعز او راس ثور عليه تاج من جماجم البشر قد اندلع اللهيب من فيه وله ٢٤ يداً قبض بها على اعضاء بشرية وادوات العذاب . يصبغونه بلون ازرق قاتم وامرانه بازرق فاتح والشعب يعرفون بالمغول الزرق لان اللون السماوي من الالوان المقدسة عندهم وهم ارباب الارض



ش ٦١ : ملك من قبيلة السالوت من المغول اقارب الكاموك

ومهما يكن من مجدهم السابق فقد اتفق الباحثون اليوم على انهم في عصر الانحطاط والتقهقر في السياسة وانهم عائدون الى ما كانوا عليه من الوحشية قبل جنكيز خان . وقد استولى عليهم الجبن والضعف فضلاً عن القذارة والنهم . يحتفلون بجنازة رؤسائهم ووجهائهم ويذبحون الذبائح باسمائهم . اما الفقراء فيطرحون جثثهم للكلاب او الوحوش الضارية او النسور . والصينيون يسمون النسور « قبور المغول » . والكلاب اذا رأت جنازة تبعتها لعلها تظفر بجثة الميت

لا يزال اكثرهم بدواً يعيشون على تربية الماشية ويعولون في طعامهم على افراسهم وابلهم وثيرانهم واغنامهم المسمنة . ولا يشربون غير الشاي والقومس وهو لبن الخيل المختمر ولا يذوقون الماء لانهم يعدونه فاسداً ومضراً . وهم صحاح الابدان ممتلئو الاجسام يحتملون الحر والبرد وسائر مصائب الحياة مما لا يقوى المتمدنون على جزء منه . على ان احدهم



ش٦٢: مغولي يحتاب فرسه ليقتات من لبنها (قومس)

قد يقضي ١٥ ساعة على صهوة جواده لا يشكو تعباً . لكنه يشكو من المشي بضع خطوات بعيداً عن خيمته كأنه يخجل أن يراه الناس على قدميه . ومن اقوالهم « اخذنا مملكتنا على ظهور الخيل فيجب ان نقضي حياتنا فوقها » ولذلك فهم يحتقرون الرقص وكل رياضة بدنية على الاقدام . ويبالغون في حب السباق يشترك فيه الشبان والشيوخ عشرات او مئات . وذكروا سباقاً اشترك فيه ٤٠٠٠ فارس بجائزة فرضت على اسم بوذا مغولي عظيم

وهاك امم المغول الاصليين الاخرى وهي اربع التنقوس والمنشو والكوريون واليابان — اليك تفصيلها :

١ — التنقوس
Tungus

يقيمون في شرقي بلاد المغول الاصليين وشماليها في بقعة تشتمل على ضفاف الامور ومعظم شرقي سبيريا . واهم فروعهم التاريخية اسرة المنشو التي حكمت الصين بضعة قرون . اما التنقوس الاصليون فانهم منتشرون على قلة في مساحة نحو مليون ميل مربع . بعضهم يتعاطون صيد الاسماك عند البحر الشمالي وآخرون يصطادون الدبابات في شرقي سبيريا . لكن معظمهم من اهل الزراعة وتربية الماشية في اودية امور الخصبة

وقد ذكرنا ملامح المغول المشتركة ولكن هؤلاء يظهر في وجوههم واخلاقهم شيء ارقى من اوصاف المغول لانهم امتزجوا بدم قوقاسي جاءهم من اوربا في أثناء العصر الحجري . قال ركلوس « ان التنقوسي نشيط مندفع لايبرح منبسط النفس في اي حال

يحترم نفسه والاخرين . حسن الآداب والاسلوب لطيف بلا تذلل وفيه انفة بلا كبرياء يكره الغش لا فرق عنده بين العذاب والموت . وبالجملة فان مزاج التنقوسيين من امزجة الابطال العظام »

(الشامانية)

Shamanism

وهم يدينون بالبوذية وغيرها لكن الشامانية اكثر انتشاراً عندهم من سواها حتى ان لفظ «شامان» اصله تنقوسي . والشامان كما تقدم كهنة يتوسطون بين الشعب والارواح لكنهم ايضاً اطباء يشفون بالتعزيم والسحر . او عرافون ينطقون بالمعجزات او يطاردون الشياطين وغير ذلك . والشامانية اشكال تختلف من حيث التعاليم والاداب ولا تزال شائعة في اهل سيبريا الاصليين غير المتمدنين وفي هنود شمالي اميركا . وليس لها نظام بحيث يتألف من كهنتها طغمة معينة كما نراه في سائر الاديان اذ تكون الكهانة في بعضها وراثية او تختص بها طبقة من الناس . وانما هي عند التنقوس تؤخذ بالاجتهاد على قدر المواهب والقوى . فنشأ التحاسد بسبب ذلك وانقسم الشامان او الكهنة الى حزبين البيض والسود . فالبيض يتوسطون لدى الارواح الصالحة والسود بالعكس . وكثيراً ما اشتد النزاع بينهما حتى سفكت فيه الدماء وكل منهما يدعي الكرامة واتيان المعجزة ويبذل جهده في التسلط على اذهان العامة بالشعوذات ونحوها التماساً للرزق على ايديهم

٢ — المنشو

Manchu

اما المنشو فيرجع تاريخهم الى القرن الثاني عشر للميلاد . وكانوا قبل ذلك قبيلة رحالة جاء ذكرها في تاريخ الصين قبل الميلاد بغير هذا الاسم . ويؤخذ من اخبارهم هناك انهم كانوا في غاية الهمجية يؤدون الجزية الى دولة الصين سهاماً حجرية ونحوها من الادوات الخشنة . وعرفوا في القرن العاشر للميلاد باسم كيتان وقد تحضروا واشتد ساعدهم ففتحوا مملكة بوهاي ودخلوا حدود الصين . وانشأوا في شماليها دولة عرفت بالدولة الحديدية . ولم يطل مقامها هناك فغلبها بعد قرنين فاتح منشوي ايضاً اسس دولة سماها الدولة الذهبية وقال « ان الحديد يصدأ ويخشى عليه اما الذهب فلايزال نظيفاً نقيا » ومن ذلك سميت دولته دولة « كين » ومعناها الذهبي

وبعد قرن ظهر جنكيز خان المتقدم ذكره فاكتسح ابنه قبلاي خان اعالي الصين واخرج دولة الكين منها . لكن السيادة عادت الى هؤلاء بعد يسير باعجوبة ذكرها الصينيون وهم يعتقدون صحتها قالوا انها وقعت في جبال شانالين — زعموا ان ثلاث عذارى كن يغتسلن في بحيرة تحت جبل شانالين فمرّ بهن طائر العقعق فرمى اليهن ثمراً احمر ناضجاً فاكلته احداهن فحملت ووضعت غلاماً سمته « ايسين جورو » ومعناه ايضاً الذهبي . فانتخبوه زعيماً على ثلاث قبائل وهو غلام . فانشأ دولة في اوتول قرب ذلك الجبل . وهو الذي سمى قومه « منشو » أي الطاهرين ولم يطل حكمه فخالف عليه رجاله وقتلوه وقتلوا ابناءه الا اصغرهم « فنشا » فحكم وتوالى الحكم في اعقابه ولم يعرف عنهم ما يستحق الذكر الى اوائل القرن السابع عشر للميلاد اذ نبغ منهم امير اسمه « نورهاتشي » كان زعيماً لبطن من بطونهم وله طمع في الفتح فاغتنم ضعف زملائه وحاربهم فاخضعهم واحداً بعد واحد . حتى استولى على منشوريا وكوريا ومنغوليا واصبح ملكاً كبيراً على مملكة واسعة وسمى نفسه « الباسل الشهير » وحمل على الصين وقد استضعفها . وبعد اخذ ورد وجه الى الصينيين مما يلي حدود بلاده تهماً تذرع بها الى الحرب فجرد سنة ١٦١٧ جنداً هدد به الصينيين فقابلوه بالمثل وكانت الغلبة للمنشو . وما زالوا هم قياصرة الصين حتى نهض الصينيون بالامس وخلعوهم باسم الحرية واسسوا جمهورية صينية سنة ١٩١٢

ولغة المنشو لغة مدونة وفيها علم وادب وتكتب بحروف « اوغورية » اوتركية اصلها سرياني ادخلها المبشرون النساطرة في القرن السابع للميلاد . حروفها متواصلة تكتب في اعمدة تصفُّ قائمة من الشمال الى اليمين فتأتي الاحرف مقلوبة كما ترى في الشكل ٦٣ وهذا الترتيب يرجع الى تأثير الكتابة الصينية عليها

واللغة المنشوية من اللغات الطورانية مثل التركية وقد ذكرنا مميزات هذه الطائفة من اللغات في كلامنا عن لغات العالم من هذا الكتاب

ش ٦٣: الكتابة المنشوية

٣ – الكوريون

Koreans

هم سكان شبه جزيرة كوريا واذا تأملت وجوههم وجدت الملامح القوقاسية اظهر فيهم مما في التنقوسيين . ففي الوانهم ميل الى البياض . والعيون براقة والانوف كبيرة والشعر كستنائي واللحى كثيثة والقامات طويلة ولاسيما في الطبقات العالية بالجنوب . ويظهر مما عثروا عليه من الاثار البنائية والمصنوعات الحجرية هناك ان القوقاسيين جاؤا تلك الجزيرة من الغرب الاقصى في العصر الحجري الحديث . واسم الكوريين مشتق من دولة « كوريو » حكمت هناك من سنة ٩١٨ - ١٣٩٢ م وهي اعظم دولهم .



ش ٦٤ : امبرطور كوريا

بلغت كوريا في عهدهم احسن ايامها قضوا نحو خمسة قرون وهم سادة الشرق الشمالي الاسيوي في التجارة والصناعة . واليابانيون اتقنوا صناعة البروسلين والبرونز في كوريا ثم فاقوا بهما سائر الامم . وبعد سقوط دولة الكوريو اخذ الكوريون في التقهقر رغم ما هم فيه من الاستعداد الطبيعي للتقدم . وجرهم فساد الاحكام الى الهمجية ولم ينهضوا من تلك الحالة بعد

وكانت كوريا قبل الاصلاحات التي ادخلها اليابان اليها بعد حرب الصين سنة

١٨٩٦ طعمة لموظفيها فانغمس رجال الدولة في الترف والشطط والفساد وانتشرت اللصوصية وعمت البلوي . وفي كوريا عدة عبادات كبرى كما في الصين : عبادة الاسلاف والبوذية والكونفوشية واللاوتسية وسيأتي الكلام عليها . ولكن العبادات الاصلية القديمة لا تزال شائعة فهم يقدمون القرابين لارواح الغابات والجبال . وللموت عندهم اسباب متصلة بعوامل غير منظورة من الارواح ونحوها

٤ — اليابانيون

Japanese

يدخل في تركيب ابدان اليابانيين ثلاثة عناصر (١) القوقاسي وقد اتاهم من امة بينهم يقال لها « ايسو » او « عينو » هم سكان هوندو من جزائر اليابان (٢) العنصر المغولي اتاهم من اسيا عن طريق منشوريا وكوريا (٣) الملقي جاءهم من ملايزيا عن طريق فيلبين وفرموزا . فمن اختلاط هذه العناصر على توالي الاجيال نشأ هذا الشعب



ش ٦٥ : ثلاثة من قبيلة العينو في اليابان وهم قوقاسيون

الذي ادهش العالم بذكائه واقدامه وتعقله . ويؤخذ من التقاليد المتوارثة عندهم ان هذا التمازج يبدأ في القرن الثامن قبل الميلاد . ويقولون ان الميكادو الامبراطور الحالي هو الامبراطور المئة والحادي والعشرون من سلالة « جيموتنو » مؤسس هذه الدولة

النشيط وقد نبغ سنة ٦٦٠ قبل الميلاد . ويعتقدون انه العقب الخامس من سلالة « اماتراسو » الهة الشمس اكبر معبودات الشنتوية ديانة اليابان الوطنية



ش ٦٦ : الماركيز ايتو السياسي الياباني

على ان الملامح المغولية اكثر ظهوراً في اليابانيين من سواها . يدلُّ عليها قصر القامة (متوسطها ٥ اقدام و ٤ قراريط) وصغر الانف مع غياب جذره . وبروز الوجنات ولون البشرة الاسمر المصفر ولو قليلاً . عيونهم اقل انحرافاً من عيون الصينيين . شعورهم سوداء وخفيفة . اما الدم القوقاسي فانه ظاهر بالاكثر في قوامهم العاقلة واشراق لون بشرتهم او هي بيضاء في ما يكتسي من ابدانهم . ولم يكن العلماء يلاحظون ذلك من قبل حتى كتبه الدكتور غويلمار في كتاب بعث به الى صديقه الدكتور كين يقول « زرت اليابان مرتين رايت في اثنائهما مئات من اليابانيين عراة الابدان فاستلفت انتباهي على الخصوص بياض بشرتهم فانها ابيض من بشرة رجال انكلترا حتى ونسائها » والباحث في الاثار يجد بقايا السكان القوقاسيين من الابنية الحجرية وغيرها في الكهوف والحفر الخاصة بهم

ولليابانيين قواعد اجتماعية وطنية لكنها ارقى مما لسائر الشعوب المغولية بلا استثناء وهم يشبهون ارقى الامم الاوربية في الذكاء والاقدام . اما البسالة العجيبة فلا

تجاريهم بها امة من الامم المعروفة . والغريب من امر هذه الامة انها قضت ادهاراً تحت طي الخفاء مقيدة بالتقاليد فما لبثت ان كسرت تلك القيود حتى بلغت في ثلاثين او اربعين سنة قمة المدنية العصرية وجارت اعظم دول اوربا في كل شيء

ديانتهم

اليابان والصين متقاربتان لغة وخلقاً وادباً . ولكن اليابانيين اقل تديناً من الصينيين واضعف اعتقاداً بالغيب او تعلقاً بما لا يقع تحت الحواس . والديانة اليابانية الاصلية يقال لها « الشنتوية » من شنتو في الصينية ومعناها « طريق الالهة » ويعبرون عن هذا المعنى باليابانية بقولهم « كامي نوميتشي » . والشنتوية قديمة في اليابان وقد تخلفت من عبادة الاسلاف لانهم كانوا يؤلهون الاباء ويبنون لهم الهياكل ويقدمون لهم الذبائح . بل كانوا يؤلهون الحيوان والنبات والانهر والصخور والرياح والنار والاجرام السماوية وما زالوا على ذلك الى زمن غير بعيد . وقد الهوا بعض آباء الميكادو وشبهوه بالشمس وبنوا له هيكلاً جعلوا اخته كاهنة له واصبح بناء الهياكل للاباء سنة عند اليابانيين من ذلك الحين . ولكل هيكل كهنة وسدنة يغلب ان يكونوا من اعقاب ذلك المعبود او بعض اعوانه ولا يزال ذلك شأنهم الى هذا اليوم

فعبادة الاباء من القواعد الاساسية في ديانة اليابان ولا يخلو بيت من بيوتهم من مذبح عليه تماثيل بعض الاسلاف تقدم لهم العبادة كما تقدم لايقونات بودا وغيره . واشهر تلك المعبودات عندهم ما مثلوا به آباء امبراطورهم الميكادو ولذلك فقد اختلطت اخبار ملوكهم ووقائع دولتهم بالاقاصيص الخرافية ويصعب تمييز التاريخ عندهم من الخرافات

يعتقد اليابانيون انهم صفوة الخلق وانهم اول الخلائق وليس في حوادث الخليقة عندهم ذكر للامم الاخرى . وعندهم انه كان في بدء الخلق ثلاثة الهة تولد منهم بتوالي الازمان ازواج من الالهة الصغرى كل زوج منها اصل لصنف من المخلوقات وآخر تلك الازواج « ايساناجي » و « ايسانامي » ومنهما نشأت الارض والشمس والقمر والمخلوقات الحية . ومن الالهة اله يعبر عنه بالشمس تولدت منه العائلة الحاكمة في اليابان واول ملوكها « جيموتنو » متسلسل من « اما تراسو » الهة الشمس كما تقدم . ولذلك فالملك يسمى عندهم « تيوشي » اي ابن السماء . ويعتقدون ان الشمس لما ولت « تجو » سلمت اليه « طريق الالهة » وعاهدته على بقاء السلطة في نسله ما بقيت الشمس والقمر . والقت اليه ثلاثة مواد مقدسة وهي المرآة والسيف والحجر

وقالت له « انظر الى هذه المرآة نظرك الى روحي واحفظها معك واعبدها كما تعبدني »
وترى تفصيل هذه الديانة في صفحة ٣٦٨ من الهلال سنة ١٢

اما البوذية فدخلت اليابان في اواسط القرن السادس للميلاد وانتشرت فيها حتى كادت تزاحم الشنتوية ودخلتها ايضاً شريعة كونفوشيوس وسنعود اليها

واللغة اليابانية اخت الكورية وكلاهما من العائلة الاورال الطائية لكنهما فصلتا عنها من عهد بعيد فبعدت المشابهة بينهما . وفلاسفة اللغة في شك من حيث القرابة ويذهب بعضهم الى ان اليابانية والكورية من اصل مستقل عن تلك اللغات ولم يتفقوا على قرار بعد

ثانياً — المغول الاتراك

هم احد فرعي طائفة المغول التتر وعلماء الانسان يرون حدًّا واضحاً بين المغول الاتراك وهم الغربيون وبين الفرع الاخر المغول الشرقيين الذي تقدم ذكره . وقد



ش ٦٧ : جماعة من عامة المجر

نشأ كلاهما من الاصل المغولي في التيبت مهد ذلك العنصر . ولكن الشرقيين منهما (الا اليابان وكوريا) حافظوا على الاخلاق الاصلية . اما الغربيون وهم الاتراك فقد كثر اختلاطهم بالامم القوقاسية حتى اصبح اصلهم المغولي يظهر في تركيب لغتهم الطوراني اكثر مما في ابدانهم او اخلاقهم . من يتصور ان المجر وهم من اجمل امم

اوربا خلقة وخلقاً كانوا منذ الف سنة امة غليظة الملامح خشنة الاداب؟ وانما دلّ على ذلك لسانهم التركي الفيني. وهكذا يقال في الفنلانديين انفسهم والعثمانيين والاناطوليين والبلغاريين — وهؤلاء يعدون الان من السلاف الاريين لانهم اضاعوا لسانهم الفنلاندي فذهبت جنسيتهم بذهابه

والباحث في طبائع البشر يدهشه التشابه بين الاتراك والاوربيين بالملامح والاخلاق. وقد لاحظ احد العلماء في اثناء سياحته باواسط اسيا تغير الشكل المغولي تدريجاً كلما تقدم نحو الغرب. يبرح منغوليا وملامح اهلها مغولية محضة ثم يرى الرأس يستطيل ويضيق فاذا وصل افغانستان رأى الملامح المغولية كادت تضيع. فاذا انتهى الى اوربا اصبح التركي كالافرنجي. والسبب في ذلك انما هو الاختلاط بالمزاوجة وطول الاقامة

والمشهور ان الاتراك منشأهم الاصلي جبال الالطاي ثم جاؤا اوربا زمراً في طلب الرزق او الغزو قبل الميلاد المسيحي. لان اسمهم « تركي » ذكره بومبونيوس ميلا وبلينيوس. وكانوا يومئذ على ضفاف تنايس (دون) ثم جاء ذكرهم في سفارة حملها زيمارخوس من امبراطور القسطنطينية سنة ٥٦٩ م الى الخان الاعظم في الالطاي. وقد وصف الاتراك هناك انهم بدو يقيمون في خيم مضروبة على المركبات ويحرقون موتاهم وينصبون لهم التماثيل ويضعون فوق قبور الظافرين احجاراً خاصة

ثم ظهرت امة «الاوغور» وانقسمت الى فرعين « الاونوغور» (عشرة اوغور) في الجنوب و« الطقوز اوغور » (التسعة اغور) في الشمال. ثم اندمج الاونوغور في الفينيين عند الفولغا وظل الطقوز اوغور. لكنهم عرفوا في التاريخ باسم « اوغور » فقط وكان بعضهم يقيمون في « طرفان » باسفل جبال تيانشان وهو المكان الذي بلغ اليه الرحالة فون ليكوك سنة ١٩٠٦ ودرسه ونقب عن آثاره وحمل منه كتباً خطية في عشر لغات مختلفة. واكتشفوا ايضاً جثثاً بوذية لا تزال بالبسة الرهبان وكان قد قتلهم الاوغور المسلمون في حرب انتشبت بينهما

وكان يقيم بجوار الاوغور قبيلة تسمى الاوغوز (بالزاي) ومنهم بقية في بخارا وما يجاورها وهم الازابكة. ويعرفون في غربي تركستان بالتركمان وفي اسيا الصغرى بالعثمانيين نسبة الى جدهم عثمان كما هو معلوم. وهي الامة التي بقيت من امم الاتراك وحفظت اسمهم ورفعت شأنهم. ولما تأيدت دولتهم قطعوا البوسفور الى اوربا واقاموا في البلقان ويسمون انفسهم العثمانيين. اما اهل اسيا الصغرى فيفتخرون باللقب التركي

وكان العلماء يتوقعون زوال هذه الامة لما بلغت اليه دولتهم من الفساد فلما

قلبوا الحكومة وصارت الدولة دستورية سنة ١٩٠٨ انتعشت الآمال بتجديد شبابها

واما في اسيا الصغرى فتختلف احوال الاتراك لانهم هنا اقرب الى اواسط اسيا فيأتونها من هناك وبعضهم لا يزال على بداوته كقبيلة اليوروك ويعرفون بقبيلة الخروف الاسود فانهم لايزالون على بداوتهم يقيمون في خيم يحملونها معهم حيثما رحلوا بماشيتهم . بين مصايفهم ومشاتيهم . ومنهم المقيمون يعيشون غالباً في خيم من شعر الماعز او في اكواخ مصنوعة من اغصان الشجر لا تخلو من الدخان وهم مسلمون بالاسم . ونساؤهم يخرجن حاسرات لا يحتشمن من مشاهدة الغرباء وقد يحيين المارة بهز الرأس



ش ٦٨ : عبد الاحد امير بخارا تحت رعاية الروس

ومن اقدم الاتراك النازحين الى اسيا الصغرى الزيابكة جاؤا من جبال ميسوغي ولهم ميل خاص الى اقتناء الاسلحة المتقنة . وهم يفاخرون باجدادهم ويعتقدون ان الارض كلها حق لهم وقد تعبت الحكومة عبثاً في اخضاعهم

والاتراك على الاجمال لطفاء في معاشرتهم كرماء في منازلهم لا يتزوجون الا واحدة والمرأة سيدة منزلها يحبها زوجها ويحترمها

اتراك سبيريا

اما الاتراك في سبيريا فمنهم أمة الياقوت وهم مسيحيون بالاسم يقيمون على ضفاف اللينا . والكرج مسلمون في الجبال الغربية . فالياقوت عددهم نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس وهم ارقى سكان تلك الديار الاصليين واسبقهم الى اسباب المدنية . وفيهم نشاط واقدام وسعي في ذلك الوطن القديم . يعدو ابناؤهم عراة على الجليد والحرارة تحت الصفر وكل شيء متجمد ولا يبالون . وهم من الطائفة الارثوذكسية لكنهم بالحقيقة لا تزال الشامانية في قلوبهم يحترمون القوى الطبيعية ولا يعبدون الهاً عظيما ولا يعرفون شيئاً عنه . ونظراً لاشتغالهم بالتجارة فقد اصبحت لغتهم وسيلة التفاهم في شرقي سبيريا من حدود الصين الى الاوقيانوس المتجمد



ش ٦٩ : رجل وامرأة من أمة الياقوت في سبيريا

ويقسم الكرج الى طائفتين « قارا كرغيز » اي الكرج السود في بامير وجبال تيانشان . و « كرغيزقزاق » الكرج الفرسان في غربي سبيريا . وهما متشابهان بالطبائع البدنية . وجوههم مربعة الشكل مسطحة مثل وجوه المغول تماماً . عيونهم منحرفة افواههم كبيرة وكذلك ايديهم واقدامهم . الوانهم سمراء مصفرة قاماتهم قصيرة. اصل اسمهم الوطني « قزاق » اي الفرسان وقد اطلق هذا الاسم بعدئذ على فرسان البادية وهم القوزاق الروس المشهورون

ويقسم القزاق الى اربع قبائل تاريخية : العظمى والمتوسطة والصغرى والداخلية . تمتد ارضهم من بحيرة بلخش الى حول بحر قزوين الى فولغا السفلى . وهم مسلمون قليلو

التمسك بالاسلام . ليس لهم مساجد ولا مشائخ (ملاّ) وانما يقتصر اسلامهم غالباً على بعض الصلوات والمعاملات يمازجها كثير من الاعتقادات الشامانية القديمة . ويعتقدون ان لكل منهم روحين تهتمان بشؤونه احداهما ملاك يرف على كتفه اليمنى يوحي اليه الافكار الصالحة . والأخرى شيطان فوق كتفه اليسرى يحسن له السيئات . فاذا اطاع الاول اثيب او الثاني عوقب . وهم يتعاطون تربية الماشية ويرتزقون بنتاجها ويقيمون في خيم كبيرة مستديرة لا اثاث فيها . شرابهم العام « القومس » لبن الخيل المختمر يحفظونه في اكياس من الجلد بمقادير كبيرة ويعتقدون انه مضاد لامراض الصدر

دخل الاتراك في حوزة الروس سنة ١٨٨١ وكانوا قبل ذلك بدواً غزاة يعرفون بالتركمان . ويمتازون عن سواهم من الاسيويين بنظر حاد نافذ يزداد حدة اذا هاجهم الغضب او التمسوا الغزو . وجرت عادتهم ان يسطوا على قوافل الفرس يأخذون منها ما تحمله من متاع او غلة . وكانوا يسطون على قرى الفرس او بلادهم للنهب او الغزو . والفرس في ابان تمدنهم والتركمان بدو كما رايت . ولذلك كانوا يسمون بلاد ايران « ارض النور » وبلادهم طوران او تركستان « ارض الظلمة »

٤ — المغول الاغروفين

Ugro-finns

كان الفنلانديون الاصليون في اقدم ازمانهم يقيمون على جبال الالطاي بجوار اخوانهم الاتراك ثم نزحوا من ازمان بعيدة في نهري ارتش والاوبي الى جبال اورال اقاموا هناك دهراً اكتسبوا في اثنائه شيئاً من العلم والصناعة ولا سيما في المعادن الكريمة وغيرها وقد جاء ذكر ذلك في اغانيهم . واصبحت جبال الاورال وطناً ثانياً لهم وعرفوا بالأغروفين اي الاغريون الفينيون . وتفرقوا من هناك بالمهاجرة شمالا الى الاوقيانوس الشمالي وجنوباً في نهر كاما الى نهر فولغا . ومن هناك غرباً وجنوباً الى الدانوب واستقروا على ضفافه وغيرها . وهم البلغار والاوار والمجر . ونزح آخرون شمالاً غربياً الى بلاد البلطيك وهم الكارليان والتاوستيان والكوان في فنلاند واللاّب والليفونيان وغيرهم

هكذا تفرقت بطون الفين او الفنلانديين في قسم كبير من شرقي اوربا وغربي

سيبريا منذ الفي سنة . لكن فروعاً كثيرة منها ضاعت في اثناء هذا الزمن الطويل باندماجها في قبائل الكرج والترك في اسيا والسلاف في اوربا . والباقون منها وهم سكان فنلاند وبلغاريا والمجر كيفوا احوالهم على الاساليب الاوربية من حيث الدين والاجتماع والمظاهر البدنية . والبلغاريون قلدوهم باللغة ايضاً

اما عادات الفينين القديمة وتقاليدهم واعتقاداتهم فما زالت باقية عند الساموبين واللاب والفوتياك والموردو والشرمس وغيرهم من اهالي الفولغا — وان تظاهر



ش ٧٠ . فيني بلباسه الوطني

اكثرهم هنا بالديانة النصرانيــة . فالساموبون مع اعتناقهم الارثوذكسية الروسية لا يزالون على وثنيتهم ـ اذا كانت امورهم موفقة ظلوا على النصرانية فاذا مات لاحدهم ظبي عاد الى الهه القديم « نوم » او « شدّي » يصلي له ليلاً وسرًّا . وقد ينصبون الصليب فوق قبورهم لكنهم يضعون معه مركبة زحافة لينتقل الميت بهـا الى العالم الاخر . وقد ابطلوا الذبائح لالههم « شدي » لكن بعضهم في نوفايا زملا ضحى له فتاة منذ بضع سنين

هذه الاعتقادات شائعة ايضاً في فينيي الفولغا . ومن الهتهم « كيرمت » روح شريرة تسبب الجوع و « إنمار » اله السموات يضحون له الحيوانات والناس اذا استطاعوا

ذلك سرًا . وليست هذه الاعتقادات قاصرة على الفولغا فان امماً كثيرة من الروس الارثوذكس لا يزالون على اعتقادهم القديم يعملون بمشورة الارواح اعمالاً فظيعة . يحكى ان فلاحاً من قرية « سوسويف » قرب ليادي اسمه ميخايلوف كان له غلام ذكاؤه خارق العادة . فذاع صيته وكان بين جيرانه رجل غني يسمونه « القديس » كانه يرم ان يدعي النبوة . فحسد الغلام على شهرته فاشاع انه المسيح الدجال اذا عاش جلب الشؤم على الفلاحين . ففي يوليو سنة ١٩٠٧ دعا ذلك الغني ثلاثين من كبار الفلاحين عقد معهم اجتماعاً افهمهم فيه ان قتل ذلك الغلام يسعدهم ويرقي قريتهم حتى تصير كرسي الولاية . فوافقوه على تضحية الغلام . فاصدر هذا القديس امره بتنفيذ ذلك وحمل الايقونة بيده وفرق الشموع المضيئة بين اتباعه وتراس الاحتفال الى بيت الغلام وطلب الى والديه ان يسلماه اليه ليصلي معه . فسلماه اليه فغسله وهو يتلو الصلوات ثم خنقه دوساً على عنقه ووالداه ينظران . وامر ذلك الوالد الشقي ان يساعده في تقطيع الغلام فابى فقطع الجثة بالفاس ووضعها في سلة شدها الى ذيل فرس بيضاء ركبها القديس وساقها وهو يقول « ان الاله اراد ان يدفن الغلام في المكان الذي تقف فيه الفرس والفلاحون ماشون حولها بشموعهم حتى وقفت في مكان دفنوا تلك البقايا فيه ومعها الفاس والسلة . شهد الوالد هذا العمل آسفاً لكنه اعتقد صدق القديس . واحتجت الحكومة على هذا العمل وقبضت على نحو ٢٨ متهماً وحاكمتهم



ش ٧١ : لابلندي

وقد تغيرت الملامح المغولية في الفينيين بذلك الانتقال ولم تبق ظاهرة الا في اللابلنديين المقسومة بلادهم بين روسيا واسوج ونروج . فلا تزال جماجمهم مستديرة قصيرة ووجناتهم مسطحة وقاماتهم قصيرة . ولكن الوانهم صارت بيضاء . وتحول شعرهم من السواد الى الاسمرار . اما الاخلاق فلا تزال اسيوية ولا يزالون يشتغلون بصيد الاسماك والدببات ويعرفون هناك بالفنلانديين وانما يخصون باسم اللاب او اللابلندي من كان منهم في اسوج او روسيا

٥ — المغول التيبتيون الصينيون

التيبت

التيبت مهد الانسان الاسيوي او المغولي كما تقدم واهلها يقسمون الى ثلاثة عناصر

١ البودبا . وهم الطبقة المتحضرة وعندهم علم . يقيمون في الولايات الجنوبية الخصبة وعاصمتها « لاصا » يحرثون الارض ويسكنون المدن

٢ الدروبا : وهم بدو مقيمون . يسكنون الخيم في اواسط التيبت بجبال تعلو ١٤٠٠٠ — ١٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر

٣ التنجوت : وهم بدو رحل يتنقلون في الشمال الشرقي على الحدود بين صيدم من مقاطعة كوكونور والصين



ش ٧٢ : الكهنة اللاما في التيبت بملابسهم الرسمية

وكلهم تيبتيون حقيقيون يتكلمون لغة التيبت ويتدينون باحدى الديانتين الشائعتين هناك البونية والبوذية . لكن الملامح التيبتية لا تزال محفوظة على اصلها في الدروبا لقلة اختلاطهم بسواهم . متوسط طولهم خمسة اقدام واربعة قراريط رؤسهم مستديرة وشعورهم مرسلة . عيونهم سمراء بندقية وجناتهم بارزة قليلاً انوفهم غليظة ومنضغطة ضيقة عند اصلها . والمناخر واسعة . اذانهم كبيرة واكتافهم عريضة واقدامهم وايديهم كبيرة . الوانهم سمراء جلودهم خشنة لونها يشبه لون هنود اميركا

اما قواهم العاقلة واخلاقهم فاختلفت الاقوال فيها . اتهمهم البعض بالغدر والكذب والغش والقسوة والجبن وقال آخرون انهم لطفاء ارقاء شفيقون . اما هم فتغلب فيهم الدعة لا يعجبون بانفسهم ولا يدّعون اصلاً يفخرون به . يعتقدون ان جدهم ملك القرود ورثوا منه الحنو والذكاء والاخلاص . وجدتهم الغول اورثتهم القساوة والشهوة وروح التجارة او الجندية واكل اللحوم . وعندهم طغمة من الكهنة يغلب فيهم الرياء والدهاء مع غشاء من الديانة البوذية تحته خرافات الوثنية وشيء من اللامية وهي كهانة خاصة بالتيبت قبض اصحابها على اعناق الناس بيد من حديد (ش ٧٢)

وقد عرف العرب بلاد التيبت ووصفوها ووصفوا اهلها (١)



ش ٧٣ : تاجر تيبتي

واكثر اشتغال التيبتيين في التجارة . والحكومة تساعدهم على ذلك وتعين من جندها من يرافق قوافلهم للخفارة . ويسمى هؤلاء الخفراء « كربون » ولا وسيلة عندهم للنقل غير القوافل المؤلفة من البقر او الهجن المزدوجة السنام وهي كثيرة هناك . واعظم اسواق التجارة عندهم في ديكارشي واللاصا فتصل القوافل اليها في دسمبر وينابر من الصين ومنغوليا ودوخام وتسي شوان وبوتان وسكيم ونيبال وقشمير ولداك

ومن اشهر محصولات تيبت المسك ومسكها مشهور بجودته يفرزه غزال يسمى غزال المسك . وعاصمة التيبت « لاصا » ومعناها في لسانهم ارض الاله وهي مدينة

(١) راجع معجم البلدان مادة « تبت »

عامرة واقعة في سهل ارتفاعه عن سطح البحر نحو ١٢٠٠٠ قدم تحيط به الجبال من كل ناحية . وهي مستديرة الشكل قطرها نحو ميل كان حولها سور بنوه في القرن السابع عشر ثم تهدم لما احتلها الصينيون سنة ١٧٢٢ شوارعها الكبرى واسعة نظيفة واما الصغرى فانها في غاية القذارة . ابنيتها في الغالب من الطوب المجفف بالشمس الا منازل الامراء فيدخلها شيء من الحجر . واللاصا مركز ديانة اهل تيبت واليها يحجون لكثرة ما فيها من الاديار وبيوت العبادة البوذية . فيؤمها الحجاج من اقصى البلاد حتى حملايا ومنشوريا . واكثرهم يجيئون يلتمسون غفران خطاياهم « من بوذا الحي » ويتوسلون اليه ان يعدَّ لهم تقمصاً سعيداً . ثم يعودون الى بلادهم بالآثار المقدسة والذخائر المباركة كالسبحات والاصنام الصغيرة ونحوها . ولذلك كثر باعة هذه الاحجار هناك يخدعون البسطاء بانها من بقايا بوذا او من اظافره او عظامه او من عصاه او بيته . ويكثر الاختلاط في ابان الحج وتتعدد اشكال الوجوه وضروب اللغات ولكن الغالب عليها كلها المغول بوجوههم العريضة وعيونهم الضيقة

الهنود الصينيون

Indo—chineses

خرج الانسان المغولي من بلاد التيبت قبل زمن التاريخ . جعلوا طريق هجرتهم في الانهر الثلاثة اروادي وسلوين وميخونغ الى الهند الصينية . واقاموا هناك على حالهم من الوحشية لم يختلطوا بسواهم من الامم الاخرى . واكثرهم على ذلك حتى الان ويعرفون باهل الهند الصينية الاصليين . منهم قبائل المشمي والابور والكوكي واللوشاي والشين والنجا والكاخيان والكارن والخاس والموي ظلوا على همجيتهم الاولى وهم منفردون عن سواهم

ومنهم اقوام اندمجوا بغيرهم تحت سيطرة البراهمة والصينيين فارتقوا وتألفوا شعوباً وامماً وانشأوا دولاً وممالك اشهرها بورما دخلت الان في سيطرة انكلترا . وسيام لا تزال مستقلة . وكمبوجا وكوشنشين وانام وتونكين كلها تحت سيطرة فرنسا

ومن يدرس احوال القبائل الباقية على وحشيتها يتبين اموراً كثيرة من فلسفة الانسان الاول وآرائه في الخليقة والوجود . فالكوكي واللوشاي يذهبون في اصل الخليقة ان وجه الارض كان مغطى ببحر تسبح فيه دودة هائلة . نخطا الخالق فوقها يوماً وقبض قبضة من التراب الدلغاني وقال « ساصنع الارض وسكانها من هذا »

فقالت له الدودة » اتقدر ان تصنع ارضاً مأهولة من هذه القطعة الصغيرة من التراب ؟ انظر ! اني ابتلعها » لكن هذه الكتلة خرجت من جسمها ونمت حتى صارت العالم الذي نحن فيه . ثم خرج الانسان من الارض بارادة الالهة وهم ثلاثة « لامبرا » الخالق الذي لا يتم شيء الا بارادته و« قولاري » اله الموت و « دودوقال » اله الخير وامراته «فايتة» . وتزعم بعض تلك القبائل انهم كانوا اهل بطش وسلطان لكنهم تضعضعوا لمحاولتهم اخضاع الشمس



ش ٧٤ : سيامية انامية كمبوجية

ويعتقدون باله اعظم او هو شيطان يذبحون له الذبائح ولا يتوقعون منه خيراً غير النجاة من الاوبئة والقحط . اما موضوع عبادتهم الحقيقي فهو ارواح يسمونها « نات » بعضها خاص بالبيوت وبعضها للعائلة واخرى للقبيلة او للحقل او للهواء أوالغابات او التلال . فهذه لا تصنع غير الشر لكنها تكف عنه بواسطة القرابين التي تقدم لها . فاذا جاءهم طاعون او كوليرا اوغيرهما من الاوبئة نسبوها الى تلك الارواح . ويعتقدون ايضاً بالعين الشريرة ويرون في بعضها سحراً حقيقياً يؤذي بمجرد النظر

ينتقل الموتى عندهم الى مكان يسمونه « بلد الموتى » مقسوم الى اماكن يسعد فيها من يموت حتف انفه . ولا يزال المقتول شقياً فيها حتى ينتقم له فيسعد . والذين يقتلون في طلب الثأر يصيرون عبيداً للقاتلين . لا يسعد الانسان بخير عمله في العالم ولا يشقى بشرّ اتاه ولكنه كلما كثر عدد الذين قتلهم في حياته يكثر عدد عبيده وخدمه بعد مماته . والدار الاخرة عندهم مثل هذه الدنيا

البورميون

Burmeses

البورميون اليوم بوذيون لكنهم لا يزالون محافظين على خرافاتهم القديمة . ومن جملتها خرافة جرت منذ الفي سنة خلاصتها ان الارض امتلأت بوحوش غريبة الخلقة هائلة الحجم لا تزال تسمى الى الآن « الاعداء الخمسة » وهي : نمر مفترس وخنزير بري كاسر وتنين طائر وطير يأكل الآدميين ويقطينة هائلة اوشكت ان تبتلع الارض . ولكن الناس نجوا من هذه الاخطار . والبورميون وسط في الطبائع بين الصينيين والملقيين . ملامحهم الطف من كليهما مع لون اسمر مصفر او زيتوني . والشعر اسود خفيف بلا لحى . الانف صغير مستقيم . الاطراف ضعيفة . معدل الطول خمسة اقدام



ش ٧٥ : بورميون يرقصون رقصة الحرب

وخمسة قراريط . وهم اذكياء لطاف المزاج كرام الاخلاق حسنو الضيافة وفيهم نزوع الى الديموقراطية والاستقلال والمساواة بين طبقات الناس . فالكهنة عندهم لا يمتازون عن سائر الطبقات كما يمتازون في سائر البلاد . لان كل بورمي يمر بطريق الكهنوت في أثناء حياته اذ يدخلون ابناءهم الاديار وهم اطفال للتعلم في مدارسها فيتعلمون وينالون رتبة الكهانة على درجات تختلف باختلاف المدة التي يقضونها في الدير — نحو ما هو معروف من درجات الكهنوت عندنا

والمرأة مساوية للرجل عندهم . وهي قوية الخلق لها تأثير في هيأتهم الاجتماعية اكثر من سائر نساء اسيا . تتعاطى اكثر اعمال الرجل من البيع والشراء والصناعة

بصدق وامانة والشاري على ثقة اذا ابتاع من امرأة شيئاً انه غيرمغشوش . والوشم شائع في بورما ومتقن اكثر مما في سائر البلاد ولا سيما الرجال فانهم ينقشون ابدانهم به من الخصر الى الركبتين بصور الحيوانات ونحوها بالابر والنيلة او السناج

الطاي او الشان واللاو

Tai, or Shan & Loa

بين البورميين في الغرب والانامين في الشرق امة اسيوية تسمى « طاي » اي الاشراف او الاحرار ويسميها البورميون « شان » والسياميون « لاو » والصينيون « باي » ويقول البرنس هنري اورليان ان قبائل الباي منتشرة في كل الطريق من الهند الصينية الى الصين . ولكن موطنها الاصلي في الصين نفسها . ويظن آخرون انها من العناصر الرئيسية لامة الصين لكنها اختلطت بامة الطاي الاصلية في اثناء هبوطها جنوباً فتنوعت لغتها وآدابها . ودخل لغة الصين الحديثة نحو ٣٠ في المئة من الالفاظ الطائية — جرى ذلك الاختلاط في ادهار متطاولة مع الصينيين الجنوبيين ومع القوقاسيين الاصليين الذين نزلوا شرقي اسيا الجنوبية في العصر الحجري . ولا يزال شرذمات منهم في الجبال بين التيبت وكوشنشين الى الآن . والطائيون الطف بنية من السياميين والملقيين في الجنوب ومن الصينيين في الشمال . الوانهم اكثر اشراقاً وملامحهم اكثر انتظاماً وتناسباً وظواهرهم اكثر ذكاء وخصوصاً الشان البورميون فانهم انبل من الصينيين والعيون تكاد تكون افقية والانف مستقيم وسائر الملامح قريبة من الملامح القوقاسية

السياميون

Siameses

لم يفز بانشاء دولة تستحق الذكر من امم الطاي غير السياميين ومنهم يتألف معظم سكان مينام . ويظهر ان الكمبوجيين القوقاسيين سبقوهم الى هناك فاخذ السياميون الآداب الهندية عنهم وليس من الهند راساً . ويشير السياميون الى ذلك في عرض قصة خرافية عن بطل من ابطالهم اسمه « فراروانغ » انه خلع النير الكمبوجي واعلن الدولة السيامية ومنها تسميتهم بالطاي اي الاحرار — وان كان الاسترقاق عندهم ضارباً اطنابه من عهد لا يدرك اوله . وكانت عاصمتهم الوطنية « مدينة ايوثيا » شمالي بنكوك الحالية وقد خربت الآن لكن فيها نشأت الروح الوطنية وتعاون السياميون وانتشروا حتى غطوا كمبوجيا وبجو وتنسريم وشبه جزيرة ملقا . وامتدت فتوحاتهم الى جاوى .

ولايزال بعض ملقا في سلطانهم الى الآن

والاسترقاق كان شاملاً طبقات الناس من اعلاها الى ادناها فكل واحد معرض للدخول في الرق . حتى البوذية التي دخلتها سنة ٦٣٨م لم تكن لتنقذها من ذلك القيد كما انقذت اهل بورما . بل بالعكس فانها زادت تلك القيود ثقلاً وقيدت الانفس فضلاً عن الاجسام . واصبح الناس لا يعملون عملاً الا لخدمة الاديار ومن فيها لا يؤذن لهم بالحرث او الفلاحة ولا ان يغلوا الرز على النار لتقتل جرثومته ولا ان يأكلوا الحنطة ولا يتسلقوا شجرة لئلا يكسروا غصناً منها . ولا ينيروا شمعة حرصاً على الوقود من الضياع ولايطفئوها لانها دليل الموت . وبالجملة لا يعرفون ماذا يفعلون



ش ٧٦ : ملك انام

وعبادة الشياطين والارواح لا تزال سائدة عندهم مع البوذية . وفي بعض الاماكن لا يعرفون غير عبادة الارواح يبنون لها الهياكل وفيها آلهة البر والبحر والاحراج والجبال والمنازل وادواتها . وينسبون اليها كل شر وانهم لمنع هذا الشر من دخول جثث الموتى لا يخرجون الجثث من الباب او النافذة كما يفعل سواهم بل من ثقب في الحائط ثم يسدونه . والناس ينفقون الاموال الطائلة على القرابين لهذه الارواح وعلى انشاء الابنية للبوذية

الاناميون

Anameses

تختلف الاحوال في انام وتونكين عما في سيام بل هي فيهما خير مما فيها . لأن الاداب الهندية في انام ابدلها الاناميون باداب صينية كونفوشية فاستهزات الطبقة الراقية بالتعاليم الدينية وتولتهم الشكوك وشاعت الحرية الشخصية بينهم . واما العامة فما



ش ٧٧ : صيني مغلول العنق

زالوا على عبادة الاسلاف . والاب عندهم كاهن العائلة بل هو حاكمها المطلق . وعندهم فضلاً عن عبادة الاسلاف وتعاليم كونفوشيوس نوع من البوذية الوطنية وبعضهم يجمع بين هذه الديانات الثلاث معاً كما يفعل الصينيون . لكن الجمهور اكثر تعلقاً بعبادة

الاسلاف المتوارثة من اجدادهم . ويذعنون للعرافين والسحرة او هم الشامانيون بصورة اخرى . ومع احتقارهم لهياكل البوذية وكهانها فانهم يقدمون القرابين لمعبودات الزراعة والمياه والنمر والدلفين والسلام والحرب والمرض وغيرها بصور مختلفة . على ان المبشرين الفرنساويين باذلون جهدهم في ترقية هذه الشعوب وتنصيرها فبلغ عدد المتنصرين الى سنة ١٩٠٠ نحو مليون نفس

واهل تونكين وانام وكوشنشين . ثلاثة فروع لعنصر واحد من اصل مغولي يمتازون بجباههم العريضة العالية ووجناتهم المنبسطة وانوفهم الصغيرة وشفاههم الضخمة وشعورهم المسترسلة ولحاهم الخفيفة ورؤوسهم المستديرة والوانهم النحاسية وقاماتهم المتوسطة . ويطعن بعض الباحثين في احوالهم الادبية والعقلية فينسبون اليهم الغطرسة والخداع والبعد عن العواطف الانسانية . اذ قد يغيب صديقهم او قريبهم عنهم اعواماً فاذا عاد قابلوه ببرود كانهم راوه منذ ساعة . لكنهم اكثر ميلاً الى الحرية من السياميين بل هم شديدو التمسك بها . ومن علاماتهم البدنية الخاصة ان ابهام ارجلهم يعارض رفاقه كما لوحظ في الصينيين منذ اجيال . وقد اقتبسوا صنائعهم وعلومهم وآدابهم وفلسفتهم من الصينيين

الصينيون

Chineses

ان لفظ الصين يرجع غالباً في اصله الى كلمة صينية « جين » او « زين » ومعناها انسان ثم تحرف فصار « صين » او « شين » . اما الامة الصينية ففي اصلها قولان الاول انها جاءت راساً من التيبت في العصور الحجرية بطريق وادي « هوانغ هو » وانشأوا تمدنهم هناك بالتدريج من عند انفسهم بلا دخل لامة اخرى فيه . والثاني انهم اتوا من بين النهرين . وهذا القول يقتضي انهم جاؤا الصين وعندهم علم وتمدن اقتبسوهما من الاكاديين والسومريين سكان بابل القدماء . ودليلهم على ذلك ما بين آداب الصينيين واسلافهم الاكاديين من المشابهة الشديدة فضلاً عن المشابهة بين لغتيهم فانهما اختان . فالقول باصلهم البابلي معقول لكنه لا يزال يفتقر الى اثبات

وان لم يكن تمدن الصينيين بابلياً فهو الآن اقدم تمدن في العالم صبر على تقلبات الزمان نحو اربعة آلاف وخمسمئة سنة وقد ذهب كل ما عاصره من المدنيات القديمة . ويظن الدكتور كين ان هذا البقاء ليس ناتجاً عن شعور وطني عام ولا عن اتحاد القوم لغة وادباً فان في الصين لغات شتى . وانما طال بقاؤه بقوة الاستمرار مع الجمود

لان الصينيين مع كثرة العوامل التي طرأت عليهم من الداخل والخارج ما زالوا على حالهم حتى انتشبت الحرب بينهم وبين اليابان منذ بضع سنين فحركت نفوسهم ونبهتهم



ش ٧٨ : صينيون مسلمون في زنقاري

الى مجاراة التمدن الحديث فانشأوا السكك الحديدية والتلغراف وغيرها. ثم قلبوا حكومتهم من الملكية المطلقة الى الجمهورية في اوائل هذا العام (١٩١٢) مما لم يسبق له مثيل فاذا ثبتت هذه الجمهورية كانت من غرائب الطبيعة

ديانة الصينيين

عند الصينيين عدة اديان اشهرها ثلاثة البوذية والتاوية والكونفوشية :

١ البوذية : سميت بذلك نسبة الى بوذا مؤسسها وقد شك بعض العلماء في حقيقته فحسبوه شخصاً وهمياً ولكن كتبه وتعاليمه تثبت حقيقته . ولد في اوائل القرن الخامس قبل الميلاد في نيبال من بلاد الهند بين جبال حملايا الصغرى واواسط نهر رابتي في الشرق الشمالي من بلاد الاود وعلى مئة ميل الى الشمال من بنارس عند مصب نهر روحيم في نهر رابتي حيث تكثر الامطار وتتعاظم السيول . وكانت تسمى تلك البقاع بلاد الاقوياء (ساكياس) . وكان والده من كبار الاغنياء اصحاب الاملاك الواسعة ويسمى « سدهودانا » وكان بين نسائه امرأة اسمها مايا ولدت له غلاماً سماه « سدهاتا » وماتت وهو طفل صغير فنشأ قوي البنية فسموه « ساكيا » اي القوي ثم ما لبث ان ظهرت مواهبه العقلية فلقبوه « ساكيا الحكيم » وسمي بعد ذلك



ش ٧٩ : هسي تسي امبراطورة الصين

« بوذا » اي المستنير وتنسك من شبابه وهجر بلاده وطاف البلاد زاهداً متقشفاً . قضى سبع سنوات وهو يتعلم ويتأدب ثم اخذ في نشر دعوته . وكان قيامه من البداية مصلحاً لا شارعاً وكان لقيامه نفع عظيم للبراهمة انفسهم لانهم افاقوا من غفلتهم فاصلحوا ذات بينهم . وباشر بوذا الدعوة في بنارس فدعا اولاً اصحابه النساك الخمسة وعلمهم السبيل المؤدي الى الراحة والمعرفة والنور والسعادة وجعل لذلك السبيل ثمانية منافذ تؤدي اليه وهي صدق الايمان وصدق العزيمة وصدق القول وصدق العمل وصدق التصرف وصدق الاجتهاد وصدق النية وصدق التقشف . وبين لهم مصادر الشقاء في العالم فاذا هي سبعة قال « الولادة شقاء والشيخوخة شقاء والمرض شقاء والموت شقاء ومصاحبة العدو شقاء ومفارقة الصديق شقاء والفشل في التماس ماتتطلبه النفس شقاء » ثم قال لهم « وسرهذه المتاعب كلها رغبتنا في الحياة وسر الراحة اماتة تلك الرغبة » ثم اوضح المنافذ الثمانية المتقدم ذكرها فقال « يجمعها كلها السير في الطهارة » . فآمن به

اولئك النساك فارسلهم يبشرون الناس واوصاهم قائلاً « اني محلول من كل القيود البشرية والالهية فكونوا انتم ايضاً كذلك . سيروا من مكان الى مكان رحمة للناس ونعمة على البائسين وخدمة للالهة لا يقيم اثنان منكم في مكان واحد » فطافوا البلاد الهندية يدعون البراهمة الى نبذ الدخيل من دينهم وتحرير انفسهم من التقاليد.



ش ٨٠ : كونفوشيوس

٢ الكونفوشية : سميت بذلك نسبة الى كونفوشيوس الشارع المصلح الصيني الشهير ظهر في القرن السادس قبل الميلاد وله تعاليم فلسفية هامة اساسها الفضائل الطبيعية التي تؤيدها البراهين الحسية وتعشقها العواطف النفسية . وقد كانت لازمة للامة الصينية بوجه الاجمال من الصعلوك الى الملك . وله من المؤلفات ما لا يحصيه عدٌّ في مواضيع مختلفة فلسفية وتاريخية وتعليمية وتهذيبية . وهو اول من صرح بوجود العناية الوحدانية بالصين وكان الصينيون في ظلمات من الوثنية والوحشية حتى يستحيل ان يقوم من بينهم رجل بمثل ما قام به كونفوشيوس وقد كان فوق كل ذلك هماماً مقداماً لا يبالي بالاخطار والاسفار في سبيل الفضيلة والتعليم . لا يقعده شيء عن بث مبادئه مع ما فيها من المناقضة لتعاليم تلك الايام

ومن تعاليمه قوله محدثاً عن نفسه « علقت المعرفة في الخامسة عشرة من عمري

وهام قلبي بها في الثلاثين وانكشف لي سرها في الاربعين وتعلمت الشريعة في الخمسين ولما بلغت الستين صرت افقه ما اسمع . وفي السبعين تسلطتُ على عواطفي واخضعتها لسلطان العدل »

ومن اقواله « الفقر لا يستلزم التعاسة . والغنى بلا فضيلة ظل زائل . لا تحزن لجهل الناس بك ولكن احزن لجهلك بهم . لا تعاملوا الناس بغير ما تريدون ان يعاملوكم به » وغير ذلك من الاقوال التي لم يأت الفلاسفة بافضل منها على اختلاف الازمان



ش ٨١ : الصينيون يسجدون لاله المطبخ

وقد أحل الصينيون كونفوشيوس مقاماً يليق به فهم يقدمون الذبائح من اجله كما يفعلون للعائلات الملوكية . لان الذبائح في اعتقادهم ثلاث مراتب (١) الذبائح العظمى التي تقدم باسم السماء (تيان) والارض (تي) والهياكل العظمى لسلفائهم وفيها اسماء الامبراطورين المتوفين من العائلة الحاكمة منقوشة على الواح واسم (شي تسي) اله الارض والزرع (٢) الذبائح المتوسطة ويذبحونها باسم التسعة الاتية وهي : الشمس والقمر وارواح المائتين من العائلات التي حكمت قبل العائلة الحاكمة وكونفوشيوس وقدماء اصحاب الفلاحة والحرير والهة الارض والسماء والسنة والدور (٣) الذبائح

الدنيئة وتقدم باسم المتوفين من اهل الاحسان والمصلحين وارباب الشهرة والرياح والامطار والجبال والانهر وغيرها



ش ٨٢ : شيطان ابيض طويل

٣ التاوية : مؤسسها فيلسوف صيني اسمه لاوتسي اي الحكيم القديم او الصبي الشيخ وكان معاصراً لكونفوشيوس ولد في مملكة تشو حيث ولاية هونان اليوم سنة ٦٠٤ قبل الميلاد . وكان يسمى « اوره » ويلقب « لي » وكان في حداثته من جملة الكتبة او اصحاب السجل في مجلس الملك تشاوفكان يدون له القصص والتواريخ وفي عهدته المكتبة الملوكية برمتها يطالع فيها ما شاء من الكتب على اختلاف مواضيعها

ولما نضج رايه دوَّن تعاليمه ولم تتخذ شكل الديانة الا في اواسط القرن الثاني للميلاد ثم ضعفت وعادت فظهرت في القرن الخامس وفيها كتب مدونة اهمها كتابان احدهما كتاب « العقاب والثواب » والثاني كتاب « البركات السرية » وقدنمت هذه الديانة بتوالي الاجيال فتعددت فيها الالهة والارواح والشياطين على اختلاف اشكالها واطوالها ويعتقدون بتناسخ الارواح . ومن معتقدات التاوية ان لكل انسان ثلاث انفس : نفس عاقلة مقرها الراس واخرى حاسة مقرها الصدر والثالثة مادية ومقرها المعدة . فاذا مات الانسان مضت نفسه العاقلة الى الالواح الابدية ونزلت الثانية في القبر وظلت الثالثة تائهة تلتمس الدخول في جسم آخر . فاذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة اصبحت تلك النفس عدوة للعائلة . ولذلك فانهم اذا مات احدهم اوقدوا عند ابواب منازلهم عيداناً من الطيب يمنعون بها دخول نفسه او سواها من الارواح الشريرة اليهم

ومن عاداتهم ان يوقدوا في اول كل شهر وفي منتصفه شموعاً لاله المطبخ ويقدمون له ذبائح وقرابين من اللحوم وغيرها (٨١ ش) وهم يعتقدون ان اله المطبخ هذا يصعد الى الاله الاعظم ويطلعه على ما ارتكبته العائلة في اثناء هذه الحياة

ومنها انه اذا مرض احدهم واشتد مرضه حتى فارقته روحه ظلت على زعمهم حائمة حوله فيأمرهم كاهنهم بارجاعها بواسطة ثوب المريض . وذلك انهم يعلقون الثوب من طوقه بقصبة من الغاب الفارسي لها اوراق خضراء يحملها احد اقارب المريض . وقد يعلقون بطرفها ديكاً ابيض فيطوف الرجل ويقول عبارات يلقنه اياها الكاهن مآلها اقناع الروح ان ترجع الى صاحبها . فاذا رأوا القصبة تدور على نفسها استبشروا بنيل المرام

وعندهم نوعان من الشياطين البيضاء والسوداء وهما تمثالان من خشب يزعمون انهما يتسلطان على الامراض الوافدة احدهما شيطان ابيض طويل (ش ٨٢) والاخر شيطان اسود قصير يصنعان من الخشب مجوفين يمكث في كل منهما رجل يطوف به في الشوارع في اوقات معلومة لدفع بعض الامراض الوافدة

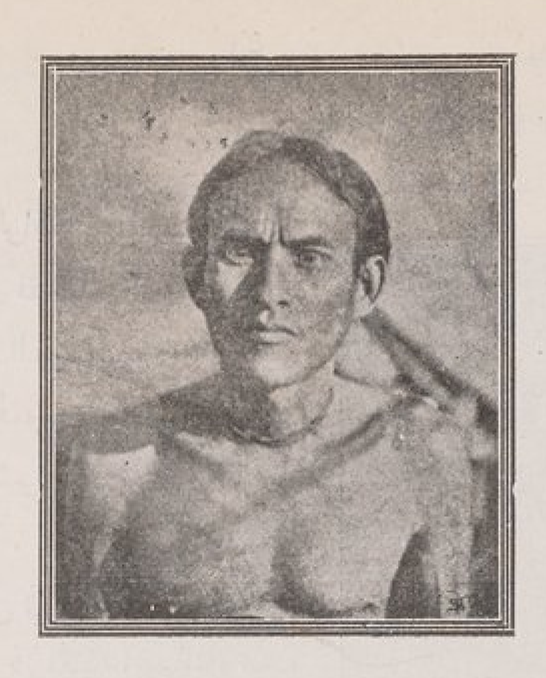
٦ — المغول الاوقيانيون

او الملقيون

وصل المغول في نزوحهم من مواطنهم الاصلية نحو الجنوب الى جزائر المحيط في اوقيانيا . ويسمون الملقيين او الملايو وهم منتشرون في جزائر البحر المحيط من مدغسكر الى ملايزيا الى فرموسا . لكنهم موجودون بالاكثر في شبه جزيرة ملقا وفي سومطرا وجاوى وبورنيو وسيليب وبالي ولمبوك وبيلنون وبنكا ونياس وجزائر السبايس وفيلبين . وقد اختلطوا بعناصر اخرى مختلفة وكالنغريتو في شبه جزيرة ملقا وفيليبين والبابوان في فلورس وغيرها من شمالي جزائر لمبوك . وبالقوقاسيين الهنديين في اكثر جزر ملايزيا وبالزنوج او البانتو في مداغسكر . ولذلك فالدم المغولي النقي قليل في تلك البلاد الا في جاوى . على ان تسمية هذا العنصر بالملقي



ش ٨٣ : احد الملقيين الاصليين



ش ٨٤ : رجل من سومطرا

والملايو لا يخلو من التساهل لان الملايو في اصل التسمية امة صغيرة نهضت منذ الف سنة في منانكا بو بسومطرا وانتشرت بسرعة حتى عمت الارخبيل الشرقي كله ويسمون انفسهم هنا « اورانغ مالايان » اي الرجال الملقيين فاكتسبوا نفوذاً اجتماعياً مدهشاً على تلك الاصقاع خصوصاً بعد دخولهم الاسلام في زمن السلطان محمود شاه نحو سنة ١٢٥٠ م واصبحت لغتهم وسيلة التفاهم والتخاطب في كل ملايزيا وهي من اللغات الملقية البولينية

الملقيون الراقون

اما سائر الملقيين الخلاسيين وهم اشباه المغول فلا يسمون انفسهم ملقيين ويقسمون الى قسمين كبيرين (١) « اورانغ بنوا » اي رجال الارض او التراب وهم امم باقية على فطرتها الاصلية في داخلية اكثر الجزائر الكبرى هناك (٢) الوطنيون الراقون او الطبقة الراقية من القوم واصلهم من الهنود البراهمة والبوذية ثم اخذوا من القرن الخامس عشر يدخلون في النصرانية والاسلام الا في « بالي » و« لمبوك » حيث لا تزال البرهمية متغلبة . وهؤلاء الملقيون الراقون لهم تاريخ مجيد من حيث ادابهم المدونة من الف سنة فضلاً عن الصنائع والفنون . يتكلمون لغة راقية من اللغات الملقية البولينية وقد دونها دعاة البرهمية قديماً وهي محفوظة اكثر من رفيقاتها الحديثة كالسندانية والمادورية والجاوية الخاصة وغيرها في سائر الجزائر وفي فيلبين اومدغسكر وهي تختلف بعضها عن بعض كما تختلف اللغات الجرمانية مع وحدة اصلها

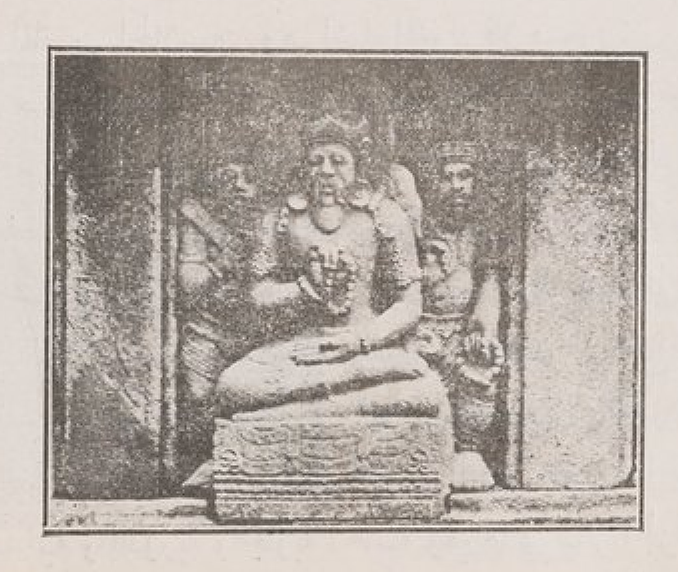
الجاويون

Javaneses

هم ارقى الامم الراقية من الجنس المغولي في الارخبيل الهندي فقد بلغوا درجة حسنة من التمدن يوم كان السومطريون لا يزالون في اقصى دركات الهمجية يعيشون بالقنص ويأكلون لحوم البشر مثل جيرانهم البتّا والبورنيين والدياك . والجاويون الان على الاجمال مسلمون لكن في بعضهم شيئاً من روح البرهميـة رسخت في معتقداتهم منذ نيف وعشرين قرناً فانشأوا لها الهياكل والتماثيل والانصاب مثل هيكل بوروبودور الفخيم فانه لايزال باقياً الى الان من اعاجيب ابنية العالم . وقد اتقنوا الفنون السلمية والحربية احسن اتقان واشتهر اهل جاوى في الشرق كله بالموسيقى وصناعة الذهب والحديد والنحاس وفاقوا فيها سواهم



ش ٨٥ : امرأة من جزيرة السيليب



ش ٨٦ : صنم في برمبان في جاوى

ومن غرائب بقايا عصور الجاهلية القديمة عندهم عبادة الاحجار والاشجار ولا تزال الى اليوم داخلة في البرهمية . ومع تفاخرهم بالاسلام وترددهم الى المساجد فان بعضهم يترددون الى المزارات الوثنية يستخيرون الآلهة البرهمية او بعض الاشجارولا سيما شجرة التين يجتمعون تحت ظلها لعبادة الارض . ويحترمون طير اليمام والقردة على الاغصان فضلاً عن الانصاب



ش ٨٧ : رقاصات جاويات

لما اخرج المسلمون آلهة البراهمة من جاوى لجأت الى « مالي » فاشتد التنازع بينها وبين المعبودات الشيطانية المحلية . ثم استقرت فانشأوا لها المعابد الجديدة ولم يكن هناك جبال فنقلوا اربع تلال من اقرب مكان في جاوى ونصبوها في اربعة احياء في اواسط بالي وخصصوا كلا منها بطبقة من طبقات الآلهة حسب اعتقاداتهم

البورنيون
Borneans

لم تنجح البرهمية ولا الاسلام في بورنيو نجاحاً تاماً فان كثيرين من الدياك وغيرهم من السكان الاصليين لا يزالون في حال الهمجية الاولى من صيد الحيوانات واكل لحوم الناس . ناهيك بتضحية البشر على اسلوب في اقصى حالات الوحشية والغرض من هذه

التضحية عندهم انفاذ الرسائل الى ارواح موتاهم . فيأتون بالضحية السيء الحظ يشدونه الى جذع شجرة . وبعد الغناء والرقص يتقدمون نحوه واحداً واحداً وفي يد كل منهم رمح يغرس سنانه في لحمه قيراطاً اونحوه . وهذا معنى ارسال الرسالة الى موتاهم — كل طعنة برسالة !

والبورنيون غارقون في الخرافات يعدون كل شجرة او صخر او بركة مستقراً لروح من الارواح الشريرة يسمعون صياحها في الاحراج والاودية ... لكن اصطياد البشر اسمى ما يفتخرون به ويعبرون عنه بصيد الرؤوس فان الشاب لا يجسر على خطبة فتاة قبل ان يطرح عند قدميها جمجمة او جمجمتين . ولا يبنون بيتاً ان لم يقدسوه بصف من الجماجم ولا يرجو احدهم خيراً ان لم يضف الى ذلك الصف جمجمة او جمجمتين

ويعتقدون في اصل الخليقة انه لم يكن منها غير السماء والماء ثم سقط صخر كبير من فوق واكتسى بالتراب فنبتت عليه شجرة كبيرة التف حولها كرم واتحدا فولد منها رجل وامراة هما ابوا سكان تلك البلاد و « طوكنغ » ابي الصيادين

وتحت هذا العالم عالم آخر يشبه جحيم اليونان فيه اخدود عظيم تسرح فيه الديدان فوقه جسر من جذع شجرة عظيمة يحرسها الشيطان العظيم « ماليكنغ » ويناضل القادمين عليه فمن لم يأته بحديث عن بسالته أو خبر الرؤوس التي قطعها اهتزت الشجرة من تحته فيسقط في الهوة ويأكله الدود الذي لا يموت

البتا والنياس

Battas & Nias Islanders

بلغت الهمجية اقصى درجاتها في البتا المقيمين في سومطرا . ومن غرائبهم في الاستغاثة اذا انتشبت حرب بينهم وبين سواهم ان يدفنوا غلاماً الى العنق تقدمة لاله الحرب عندهم ويطعمونه مزيجاً من الزنجبيل والفلفل والملح ونحوها من المواد الحريفة المعطشة حتى يكاد يموت من الظمأ ثم ياتونه بقليل من الماء ولا يملكونه من الشرب حتى يقسم لهم بنصرة قبيلتهم في العالم الآخر . فاذا اقسم صبوا في حلقه رصاصاً ذائباً بدلاً من الماء فيموت وهو على قسمه . وهم وثنيون يأكلون لحوم البشر ومع ذلك فان آراءهم في النفس تدل على ارتقاء تصورهم . فهم يعتقدون بوجود « انا » (E₀o) آخر يسمونه « تندي » يتردد الى الجسد في حال الحياة ويصير عند

الموت روحاً ترفّ على الارض يسمونها « بيجو » او الهاً سابحاً في الهواء يسمونه « ديباتا » وقد يجتمع من هذا « التندي » سبعة يتحول احدها بعد الموت الى نفس او يصير ريحاً تندمج في الهواء الجوي وهو روح العالم العام . والتندي ليس خاصاً بالانسان بل قد يكون ايضاً للحيوان والنبات . وللارز بنوع خاص تندي هو الهة لها دخل كبير في حكاية الخليقة . صنعت الانسان وخلقت قوى الكون فهي ام الطبيعة — ولعل هذه التعابير او الاعتقادات مستعارة من تعاليم الهنود القديمة



ش ٨٨ : صنم من اصنام جزائر البحر الجنوبي

اما جيرانهم سكان جزائر نياس فانهم من عبدة الانصاب والارواح الشريرة . ولكن لا صورة عندهم للروح المستقلة عن الجسم . ينصبون انصاباً صغيرة من الحجر او الخشب تقيهم من المرض والمصائب . واسم الاله الاعظم عندهم « لوبو لانجي » يقيم

في الهواء او هو شجرة باسقة تنثر في الفضاء اثماراً اذا ظلت في الهواء صارت ارواحاً واذا سقطت على الارض صارت اناساً . وهو بالحقيقة اصل كل شيء ولا يأتي منه الا الخير . وعندهم ارواح شريرة تسبب البلايا والمصائب فاذا مرض احدهم استقدم العراف ليتنسم رائحة الروح الذي سبب ذلك الاذى . فاذا لم يستطع التخلص منه ذبح طيراً واقفل الابواب الا واحداً يطرد الروح منه بالصياح والضوضاء وقرع القدور والعصي

وفي جنوبي نياس جزائر « منتاوي » اهلها مبتلون بالارواح الشريرة ويعتقد بعضهم انهم يذهبون بعد الموت الى جزيرة الشيطان لان كل الارواح هناك تصير شياطين . ليس عندهم صلوات ولا طقوس غير مراقبة حركات الطير يستطلعون بها الغيب ويكشفون المستقبل . ولكنهم يرقصون ايضاً في بعض الاحوال وينسبون الزلازل والمد والجزر والخسوف والكسوف وغيرها من الحوادث الطبيعية الى اعمال الشيطان . حتى قوس القزح فانه عندهم شباك طرحت لصيد الناس . والمذنبات نجوم لها اذناب يتعلق بها الشياطين يطوفون العالم ليرجموه بالشرور

الملقبون الاصليون
Malays Proper

هم سكان شبه جزيرة ملقا . لم تدخلها الديانة البرهمية وانما جاءها الاسلام وهي في عباداتها الوثنية الاصلية فتغلب عليها وانتشر فيها . ولا تزال هذه العبادات تظهر احياناً في الطقوس الدينية الاسلامية مما يغاير تعاليم الاسلام وفيه رائحة عبادة الشياطين . فهم لا يزالون حتى الآن يذبحون الجواميس قرب المساجد في بعض الاحوال الدينية او في الولادات او الطهور او الزواج او حلق الرؤوس . واشهر اثار الوثنية اعتقادهم بخرافة الذئب وتعرف بخرافة النمر — وذلك ان في بورنيو اصناماً تمثل الانمار، تستقر فيها الارواح من قبيل الديانة الفتشية . اما في ملقا فيعبدون النمر نفسه ويعتقدون ان الانسان يتقمص فيه ليلاً . وكذلك السحر والارواح الشريرة والتعزيم والغناء ونحوها من ظواهر الوثنية فانها شائعة عندهم

ومن طرقهم في استطلاع الغيب بالسحر ان يجتمع الساحر بروح رجل مقتول وهم يحتفلون على قبره يوم الثلاثاء والقمر بدر . فاذا اجتمع به يطرح عليه اسئلته ويتلقى اجوبتها وعليها المعول

والملقون من حيث مظاهرهم البدنية مغول اصابهم تغيير من تأثير اقاليم تلك الجزائر الاوقيانية فمالت الوانهم الى السمرة بدل الصفرة مع استدارة رؤوسهم وبروز

الفك والوجنات قليلاً وصغر الانف واعتداله وسعة المناخر . عيونهم سوداء قليلة الانحراف جداً اوهي مستوية وفيها الطية المغولية . وشفاههم صغيرة مائلة الى الضخامة اطرافهم دقيقة وقاماتهم قصيرة ـ طولها من خمسة اقدام الى خمسة وخمسة قراريط . اظهر طبائعهم الهدوء والتحفظ والصمت . واذا اهيجوا اشتد غضبهم حتى يخرجوا عن طور التعقل . وهم اذكياء لطفاء وفيهم نشاط وهمة بلا تبصر يحبون الموسيقى ولا يشعرون كثيراً باوجاع الآخرين . وقد تقدم الكلام عن البابوان الملقيين

والملقي كثير الشغف بتدخين الافيون والمقامرة لكنه معتدل في نفقاته وسائر احوال حياته . والمطاعم في ملقا تقوم مقام الاندية العمومية والقهوات عندنا . يتمتع فيها الناس بالراحة بعد الطعام . وطعامهم قاصر في الغالب على الارز والفليفلة (الفلفل) ونتف من اللحم والسمك والخضر المطبوخة وبعض الحلوى

الفيليبيون

Philippine

كانت جزائر فيلبين في حوزة اسبانيا فصارت سنة ١٨٩٨ الى اميركا . سكانها الاصليون يعرفونها بالنغريتو او الاقزام الذين تقدم ذكرهم في كلامنا عن العنصر الزنجي . ثم جاءهم الملقيون او الملايو وطاردوهم وتغلبوا عليهم حتى كادوا يفنونهم . والفيلبيون المتحضرون معظمهم كاثوليكيون الا « مندانو » فان معظم سكانها ولا سيما التغالة والبشاية ونحوهم فانهم مسلمون او وثنيون . وكان الكاثوليكيون قبل دخول الاميركان يتقاضون الى الكهنة اكثر مما الى الحكومة . واشتهروا بالحيلة والمكر وبعكس ذلك ايضاً . كتب احد القسس الذين عاشروهم « ان الفيلبي الاصلي لا يمكن ادراك حقيقته ولا الاطلاع على كنه طبائعه . قد يخدم سيده اعواماً بكل امانة ثم يتواطأ مع شرذمة من اللصوص على قتله ونهب بيته . وليس بين الوطنيين وحكامهم تقارب البتة . يغرسون في اذهان اطفالهم ان الجنس الابيض من الابالسة . والحكومة تقسم السكان الى ثلاث طبقات : الانديو والانفيال والمورو . اما الانديو فيريدون بهم المسيحيين المقيمين في المدن يتكلمون عدة لغات ملقية بولينية وعددهم نحو ٥٥٠٠٠٠٠ نفس . ويعنون بالانفيال السكان الاصليين الذين ليسو مسيحيين ولا مورو اي وثنيين . وهم غالباً متوحشون يحبون الحرب والنهب والغش والخداع لكنهم مع ذلك دمثو الخلق قليلو الاذى وفيهم طائفة من الملقيين الاصليين ومزيج من القوقاسيين الهنديين وعددهم نحو ٢٥٠٠٠٠ نفس . اما المورو فيريدون بهم

المسلمين في مندانو وفلوان وارخبيل السولو . وبعضهم لا يزالون مستقلين والبعض الآخر بعيدون عن المدنية وعددهم نحو ٥٠٠ ٠٠٠ نفس . وبعض ابناء السولو يتنصرون لكنهم لا يزالون على اعتقاداتهم الوثنية . واذا سئلوا كم اله تعبدون قالوا اربعة : الاقانيم الثلاثة والله . ولهم سلطان عاهد الاميركان على الصلح بعد استيلائهم على فيلبين



ش ٨٩ : نغريتو من الفيلبين

والمسلمون في مندانو لا يختلطون بالمسيحيين وانما هم يحتكون بالوثنيين القدماء . وينتسب بعض الحكام المسلمين الى بعض قبائل العرب . ويزعم البعض منهم انه من سلالة الحور في الجنة ويدعى غيره انه من سلالة اميرة وطنية وجدت في ساق قناة هندية ــ قالوا انهم قطعوا بعض القنا الهندي (البامبو) ليبتنوا به كوخاً . هم يفعلون ذلك خرجت فتاة مجروحة البنان من الفاس وهم يضربون اسفل القناة . ومنها جاءت دولة البويان . ذكر الدكتور نجيب صليبي صاحب تاريخ المورو انهم يعتقدون ايضاً بخفاش يطير في الليل عظيم الهامة يسمونه بلبل اصله انسان تقمص الى طير يقتات بالموتى لكنه لا يأكل الاحياء كما يفعل الخفاش الافرنجي

الفورموزيون

Formosans

هم سكان جزيرة فورموزا في البحر الصيني ويختلفون عن الفيلبيين . ففي فورموزا عدد كبير من الصينيين يقيمون في غربيها اما الملقيون الاصليون والاندونسيون فيقيمون في اواسطها وشرقيها على الجبال وهم ثلاث طبقات

١ البيوهوان : ويسمون البرابرة وهم هادئون ومرتقون مثل جيرانهم الصينيين . حسان الوجوه طوال القامات مذهبهم الفتشية . وان كانت طقوسهم السرية يتولاها النساء

٢ السخوان : ومعناها المتوحشون المتطبعون هم نصف متمدنين يشتغلون بالزراعة ويمتازون عن سائر مواطنيهم بطول اسنانهم وبروزها وكبر اشداقهم وضخامة شفاههم واشراق الوانهم

٣ الشينهوان : او البرابرة الخضر وهم متوحشون للغاية ويشبهون اليابانيين بمظاهر خلقتهم . فلو ارتدى احدهم ثوباً يابانيا لاتشك انه ياباني . ولكن بعضهم متهمون باكل لحوم الادميين وصيد الناس . وقد بنوا تلك التهمة على كرههم حكامهم الصينيين القدماء ففرضوا على كل من اراد ان يتسم على بدنه او يتحلى بسوار او نحوه ان يحمل راساً صينياً مقطوعاً او راسين . وهم يحتفظون بهذه الرؤوس كادوات الزينة او علامات الظفر . ولما انتقلت حكومتهم الى اليابانيين سنة ١٨٩٥ عاهدوهم وآخوهم واقسموا على السلام

الهوفا والملقاش

Hova & Malagazy

التقى في مدغسكر الجنسان الزنجي الافريقي والمغولي الملقي . فالزنوج من البانتو اوغيرهم نزحوا اليها من جنوبي افريقيا والملقيون جاؤها من جزائر الهند . واختلط العنصران وصار القوم يتفاهمون بلغات متفرعة من لغة ملقية بولينية واحدة . فكيف اتفق ذلك وكيف نسي البانتو لغاتهم الافريقية واتخذوا لسان اولئك الدخلاء بدلاً منها ؟ تلك اسئلة لا يمكن الاجابة عليها ولكنها حقيقة لا ريب فيها . وقد ايدها الدرس والبحث . ففي القسم المتوسط الشمالي من مدغسكر امة « الهوفا » هي المتغلبة هناك . وفيهم كثير من الدم الملقي ولكن الملامح الزنجية باقية فيهم . وهم

يزعمون انهم متمدنون وقد تمذهبوا بالديانة الانجيلية يقيمون في مدن مبنية على النمط الافرنجي الحديث . وقد تعلموا الزراعة على الطرق الحديثة وتثقفوا وتمكنوا من اللغة الانكليزية حتى أصدروا بها المجلات والجرائد



ش ٩٠ : جماعة من الهوفا في مدغسكر

وهناك امة اخرى تعرف بامة الملقاش اكثر اهلها لا يزالون على الوثنية والمسيحيون فيها قليلون ولم يبعدوا عن الوحشية الا قليلاً . وهم طوال القامة متوسطهم ستة اقدام . ولهم انف مسلطح وشفاه غليظة . وعظام عليها عضل ضخم .



ش ٩١ : كيف يحملون النساء في مدغسكر

آدابهم سماعية وفيها قصص وخرافات ونكت واغان ولهم مباسطات ومحادثات تشبه ما هو عند الامم المتمدنة

جزائر القمر

Comores



ش ٩٢: السلطان محمد سلطان الهنزوان من جزائر القمر

وبجوار مدغسكر عدة جزائر عند مدخل قناة موزنبيق بين راس العنبر من جزيرة مدغسكر وساحل افريقيا. وهي اربع: الهنزوان ومايوتة والقمر الكبيرة وموحيلي. مجموع مساحتها نحو ٢٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها نحو ٨٥٠٠٠ نفس اكثرهم مولدون من العرب والزنج والملقاش والهوفا. يتكلمون العربية والسواحلية. وجميعهم مسلمون لهم مدارس وجوامع يكتبون اللسان السواحلي ويترجمون اليه من العربية. ولهذه البلاد تاريخ طويل نشرناه في السنة ١٢ من الهلال ج ٥ و ٦ بقلم روحي بك الخالدي مفصلاً مع وصف الاقاليم والاخلاق كل جزيرة على حدة مما يضيق عنه هذا المختصر



الطبقة الثالثة من البشر

هنود اميركا

او الجنس الاحمر

لما وصل كولمبس الى العالم الجديد ظن نفسه قطع محيط الارض ووصل الى الهند من طريق الغرب فدعا ذلك العالم « الهند » واهلها « الهنود » . فلما ظهر خطأه خافوا الالتباس فسموا اهل اميركا الاصليين « هنود اميركا » ثم نحتوا من اسمهم الافرنجي لفظ امرند Amerind ثم اطلقوا عليهم اسم الاميركان الاصليين وهم المراد من بحثنا في هذا الباب

اصل هذه الطبقة ومهدها

قد تقدم اننا عوّلنا في تعيين اصول السلالات البشرية على القائلين ان مهد الانسان الاول في اوستراليا او الارخبيل الهندي او الشرقي ومنه انتشر في اطراف العالم . فهنود اميركا لا يصح انهم انتقلوا الى اميركا من اوستراليا لتعذر ذلك عليهم في اول عهدهم بما بين القارتين من البحار الواسعة واميركا جزيرة يحيط بها الماء من كل ناحية . فالارجح ان الانسان نزح اليها من نصف الكرة الشرقي قديماً في العصر الجليدي او قبله

والناظر في طبائع اولئك الهنود وخصائصهم البدنية والعقلية يتبين المشابهة العامة فيهم لكنه يرى اختلافاً في بعض التفاصيل . فيجد بين اشكال رؤوسهم المستطيل والمستدير وفي قاماتهم الطويلة والقصيرة . وفي الوانهم الاسمر المحمر او المصفر . مما يبعث على القول بازدواج اصلهم اي انهم يرجعون في انسابهم القديمة الى اصلين امتزجا فتولد منهما الجنس الهندي الاميركي

عثروا في باتاغونيا باقصى اميركا الجنوبية سنة ١٩٠٤ على مدافن من العصر الحجري القديم فيها هياكل انسانية من العصر البليستوسيني بعضها مستطيل الراس كأن اصحابها جاؤوا من الشمال الشرقي (من اوربا) وهياكل راسها مستدير كأن اصحابها جاؤوا من الشمال الغربي (من اسيا) . فوجود هذين الصنفين هنا لا يفسر الا بان

المستطيلي الرؤوس هم من سكان اوربا في العصر الحجري القديم نزحوا الى اميركا على يبس كان في ذلك العهد موصلاً بين بريطانيا واوركني وشتلاند وفارو وايسلاند وغرينلاند . وان اصحاب الرؤوس المستديرة من سكان اسيا (المغول) في العصر الحجري الحديث جاؤها بطريق بوغاز بيرين وكان شاطئاه يومئذ اكثر تقارباً مما هما عليه الان . فالنازحون من اوربا وصلوا اولاً ثم جاء الاسيويون . والغالب ان هؤلاء جاؤها جماهير كبيرة وهو السبب في تغلب اصحاب الرؤوس المستديرة والقامات القصيرة على شواطى اميركا الغربية من الاسكا الى شيلي . لكن الامتزاج لم يكن منه بدٌّ فتولد منه الجنس الهندي الاحمر الذي نحن في صدده وقد جمع بين ملامح مغولي اسيا وقوقاسي اوربا

فنتج عن هذا المزج الطبائع المتغلبة في هنود اميركا اليوم نعني : (١) الشعر الاسود الطويل المرسل بما يشبه ذيل الفرس ورثوه من آبائهم المغوليين (٢) الانف الكبير الاعقف تسلسل اليهم من اصولهم القوقاسية (٣) لغاتهم الممتازة عن سواها بتركيب الالفاظ من جمل . وقد تم تكونها في اميركا من جراثيم اصلها من العصر البايستوسيني وسنعود الى ذكرها في ما يلي

مجمل احوالهم

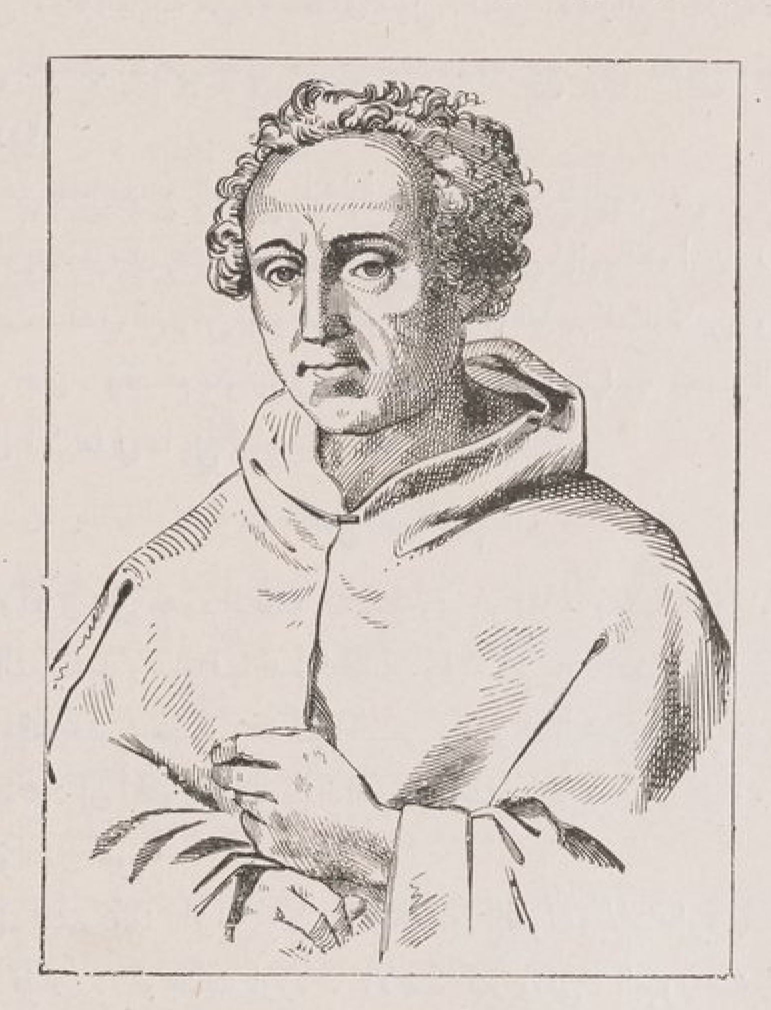
مقرهم الآن على حدود المنطقة الشمالية وفي غرينلاند والاسكا وفي اماكن كثيرة من اميركا الشمالية لم ترسخ فيها قدم الجالية . وفي اكثر بلاد المكسيك واميركا الجنوبية والوسطى وقد تحضر بعضهم وساكنوا البيض ولا يزال البعض الاخر على حاله

احصاؤهم : ان الهنود الاصليين الباقين على فطرتهم لا يزيدون على ١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس . والمولدون نحو ٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠

صفاتهم المشتركة : الراس يختلف شكله بين الطول والاستدارة كما تقدم . الفك غليظ بارز قليلاً . الوجنات بارزة . الانف كبير واقنى . العيون صغيرة مستديرة سوداء مستوية وتندر فيها الطية المغولية . القامة طولها من خمسة اقدام وثمانية قراريط الى ستة اقدام او ستة واربعة قراريط (في الباتاغونيين) وفيهم امم لا تزيد قامتها على خمسة اقدام الى خمسة و٤ قراريط ويقال بالاجمال ان الطول يغلب في سكان السهول والقصر في سكان الجبال . الوانهم الاصلية حمراء او نحاسية لكنها تتفاوت من الاسمر القاتم الى الاصفر (في الامازون) . الشعر طويل مرسل والوجوه بلا لحى

قواهم العقلية والبدنية : يغلب فيهم التحفظ والشراسة والسكوت والحذر مع

الحزم وسرعة النفور من الغرباء . والبشاشة والسرور في مواطنهم . ولهم صبر على احتمال الاوجاع البدنية مع اعتقاد المروءة في انفسهم وان تخللها احياناً شيء من الخيال . واما المدنية فدرجاتها متفاوتة عندهم بين قبائل لا تزال في اقصى دركات الهمجية كما في الفوبجيين الى امم تعدُّ في مصاف المتمدنين كالازتك والمايا واهل بيرو والديمارا ونحوهم . صناعة البناء والهندسة والتقويم راقية عندهم . وليس في ادابهم اليومية غير الاحاديث والخرافات وشيء من التاريخ . والخط تصويري رمزي



ش٩٣ : خريستوفورس كولمبوس مكتشف اميركا

اللغة : لغاتهم كثيرة تقسم الى عائلات وربما زاد عددها على مجموع لغات سائر العالم لكنها ترجع كلها الى ضرب من التركيب هو خاص بلغات اميركا ويعرف بالاصطلاح العلمي باسم بوليسنثتك Polysynthetic اوهولوفراستيك Holophrastic ومزيتها ضم الالفاظ المترابطة في الجملة الى كلمة واحدة . وقد تكون تلك الالفاظ عديدة فتأتي

الكلمة طويلة جداً ولذلك لم يكن عندهم الفاظ مستقلة او مجردة اسماءً ولا افعالاً. فلا تقدر أن تقول « ضرب » وحدها بل تقول « ضرب كثيراً » او « ضرب قليلاً » ولا ان تتكلم عن غلام او رجل مجرداً . اي لا تقدر ان تقول « رجل » بل تقول « رجل طويل » و « غلام صغير » . ولا تقطع الجملة فتلفظ كل كلمة مستقلة كما نفعل نحن بل تلفظ الجملة كلها كأنها كلمة واحدة . فبدلاً من قولنا « ضرب الرجل الغلام » يقولون « الطويل الرجل ضرب الصغير الغلام ضرباً عنيفاً » ويسردون هذه الجملة متواصلة كأنها لفظ واحد

ويختلف هذا التركيب شكلاً باختلاف الامم والبلاد من الاسكيمو في اقصى الشمال الى الاروكان في اقصى الجنوب — ففي اميركا الشمالية نحو ستين لغة اصلية بهذا الترتيب . بعضها منتشر في بقاع واسعة تتكلمها امم كبرى كالاسكيمو والاتابسكان والسيوان والايروكوان وغيرهم . والباقية متجمعة بالاكثر على شواطىء المحيط واميركا الوسطى والجنوبية . وقد تجد مئة لغة محصورة في بقعة ضيقة وكانت قديماً ممتدة على بلاد واسعة

الدين : ان الديانة او التقاليد الشامانية شائعة في هنود اميركا الشمالية . واكثر شيوعاً منها ديانة الآلهة الهوائية التي تدعم اربعة اركان السماء . وعبادة الحيوانات « الدب والذئب والغراب والنمر » والعبادة الطوتمية كما هي عند الاوستراليين . وفي « بيرو » يعبدون الشمس . اما الطبقة الراقية في المكسيك وهم الازتك والمايا والزابوتك وغيرهم فقد ارتقت دياناتهم وتعددت آلهتها وفيها سفكة الدماء وقتلة البشر . وعندهم طبقة من الكهنة للتصدر في الاحتفالات الدينية والطقوس الدموية . ولا يزال نساء الازتك يلقين اطفالهن في المستنقعات المكسيكية يستعطفن بها « تلالوك » اله المطر

فروعهم

يقسم هنود اميركا الى قبائل وامم كثيرة تدخل في ثلاثة مجاميع على هذه الصورة :

١ الامم الشمالية : وهي الاسكيمو والاتابسكان والجنكويان والايروكوان والسيوان والمسخوجيان والساليش والشوشون والبوني والبوبلو

٢ الامم المتوسطة : وهي الاوباتابيا والنهوان والمايا كيشة والزابوتك والمكستك واللنكان والبريبي والكونا

٣ الامم الجنوبية : الشبشا والشوكو والكويشوا والايمارا والانتيسويو والجيفارو والزبارو والبانو والتيكونا والشنشو والكريب والارواك والوارو والشيكيتو والبورورو والبوتوكودو والتوبيكواراني والبياجو والمتاكو والتوبا والاروكان والبولكي والباتاغونيان والفويجيان

هل آدابهم مستقلة او مقتبسة

قد رأيت ان سكان اميركا الاصليين نزحوا اليها في العصر الحجري والانسان في اوائل عمرانه . فيترتب على ذلك ان ما لديهم من الصنائع والفنون والاداب نشأ عندهم مستقلاً عن سواهم . وقد تناقش العلماء بهذا الشان بين من يقول هذا القول ومن يزعم ان تمدنهم اسيوي حملوه معهم من الشرق . والقائلون بذلك علماء الشرقيات المغرمون بارجاع كل فضل في المدنية الى الشرق او اسيا — حتى علم التقويم في اميركا الوسطى والاهرام التي بناها المكسيكيون والشامانية الشائعة في الشمال وعبادة الشمس في الجنوب كلها عندهم مقتبسة من الاسويين اهل الشمال الشرقي من اسيا

على ان فون همبلت العالم الطبيعي قال « تقرر عندي ان علم التوقيت ونظام الفلك وكثيراً من الخرافات الوطنية الاميركية كثيرة الشبه بما يقابلها في شرقي اسيا » وعلى هذا القول بنى بعضهم نسبة آداب هؤلاء الهنود الى مغول اسيا . ولكن غيره من الباحثين لا يرون مشابهة بين التقويم الاميركي والتقاويم المغولية او التيبتية . ولا بين الاهرام المصرية والاهرام المكسيكية لان هذه ليست اهراماً بالمعنى المفهوم بمصر

وهناك رواية خرافية عن سفن صينية او يابانية كانت ترسو قديماً عند ارض اميركية يسميها الصينيون «فوسنغ» فاتخذ بعضهم ذلك دليلاً على تأثير آداب الصينيين او اليابانيين على آداب اولئك الهنود . ولكن هذه الرواية ان صحت لا يكون لها تاثير على آداب الامم الداخلية بعد ان تكونت . وتردد تلك السفن انما يدل على ان الهنود لم يكن عندهم سفن من هذا النوع وقيل نحو ذلك عن سفن فينيقية او مصرية

لم يكن في اميركا قبل اكتشافها حيوانات داجنة كالغنم والماعز والدجاج والخنازير والماشية والخيل . ولا من الحبوب كالقمح والشعير والارز والدخن وانما كان عندهم الذرة . ولم يكونوا يعرفون الحرير ولا الشاى او القهوة او الحديد ولا المصابيح (غيرما اقتبسه الاسكيمو من سواهم) . ولكن هذه كلها كانت في اسيا من اقدم ازمنة التاريخ فكيف يعقل ان يجيء هؤلاء المهاجرون المتمدنون على سفنهم الى اميركا بلا شيء منها

وهم لا يستغنون عنها فهاجروا كأنهم في العصر الحجري . حتى الملامح والطبائع المختصة بتلك الامم الغريبة انك لا تجد لها اثراً في هنود اميركا — اين آثار الفينقيين او المصريين او الملقيين او الصينيين او غيرهم من الامم القديمة التي يظن انها حملت تمدنها الى تلك القارة . بل اين الآثار اللغوية او الالفاظ المقتبسة بل اين الهيروغليف المصري او الصيني او الحرف المسماري الاشوري او الابجدية الفينيقية او اي نوع من انواع الخطوط الشرقية ؟ انهم لم يعثروا على شيء يربط تمدن العالم القديم بتمدن العالم الحديث . ولذلك ذهب بويل الى « ان هنود اميركا لم يقتبسوا شيئاً من صنائعهم عن سواهم . غير الادوات الحجرية الباقية من العصر البليستوسيني فقد وجدوا كثيراً منها في الاودية والسهول باميركا . اما الصناعات الفنية الاميركية فقد ولدت في اميركا .



ش ٩٤ : رئيس قبيلة كودكني بلباس الرقص

وان سكانها الاصليين غادروا العالم القديم وهم لا يحسنون صناعة السكاكين او الحراب او كانوا في اول عهدهم بها . فالهنود الاميركان مقيمون في اميركا منذ اختراع النصال والمطارق الصوانية »

واذا نظرنا في الخرافات المتوارثة عن الاسلاف نصل الى مثل هذه النتيجة فيرى بويل « ان الاميركي الاصلي لم يقتبس خرافاته عن العالم القديم بل هي ولدت عنده في اميركا » . ويصح هذا القول الى حد معين . فان المستر بوغوراس الرحالة نشر

خمسماية حكاية او خرافة نقلها بالسماع عن امم الشوكشي والكورياك وغيرهم من اهل الشمال الشرقي من اسيا اي من اسفل ضفاف نهر كوليما الى خليج غيشيكا. ظهر منها ان هذه الخرافات المتوارثة ومن جملتها حكاية الخليقة والطوفان وغيرهما تكاد تكون واحدة على جانبي بوغاز بيرين — تمتد في اسيا الى خليج كوليما وفي اميركا الى كولمبيا البريطانية

الشامانية في اميركا

ان الشامانية ضرب من الكهانة قد ذكرناها في ما تقدم . وهي في اميركا نحوما هي في شمالي اسيا لكن الاميركان لايسمون صاحبها « شامان » ويختلف اسمه حسب الاماكن ففي الاسكا يسمونه طنجاق وفي غيرها يعرف باسماء اخرى . وهو احط من رفيقه الاسيوي في سلم الكهانة او هو اشبه بمشعوذ او راقي او هو مثل المتجسس بالشم في افريقيا ونحوه . وقد يعمل عمل الوسيط بين الارواح والناس ولكن المظنون ان الاميركان لا يعترفون له بهذه الوساطة . اما على الشواطىء الشمالية الغربية من اميركا فيعتقدون فيه القدرة على التفريج بالتعزيم ونحوه . وقد يستخدمونه في اخراج الشياطين من المرضى وفي تسميم المحكوم عليهم ونزع فروة الراس من القتيل في الحرب ونقل نص الحكم بالاعدام ونحو ذلك

الهة الاميركان

ليست مجاميع الالهة (بانثيون) عندالاميركان الاصليين عديدة . وما برح العلماء منذ اكتشاف العالم الجديد يبحثون في هل المجموع منها يرأسه اله مثل زفس او غيره كما في آلهة العالم القديم . وقد وجد الدكتور شلهاس عند المايا نحو خمسة عشر الهاً بشكل الادميين ونحو نصف هذا العدد باشكال حيوانية . وفي جملتها آلهة الموت والقمر والليل والشمس والحرب والافعى والماء والزوابع . ولكنه لم يجد لها رئيساً . ويقال نحو ذلك ايضاً في الازتك . على انهم يعتقدون بما يشبه « ملك الملوك » او « اله الالهة » ويسمونه « توناكا تيكوتلي » كانهم يريدون به الاله الاعظم ولا يقدمون له القرابين لانه في غنى عنها . ولكن المظنون ان هذا الاعتقاد مقتبس من النصرانية

وعند الداكوتيين معبود اسمه « واكندا » يعدونه رئيساً لالهتهم لكن البحاثة ماكجي برهن انهم لا يريدون به الهاً مستقلا بل هو يقابل ما يسميه البولينيون « مانا » يحل في بعض الاجسام فيكسبها القدرة على الخير والشر . فكل انسان يقدر

ان يصير « واكندا » ولا سيما الشامان والفتش وسائر الاشياء الاحتفالية وادوات الزينة والحيوانات كالفرس وغيرها

اما في الجنوب الاقصى من اميركا فرئيس المعبودات عندهم « الشمس » يعبدها البيرويون من امة الانكاس . ويروى ان احدهم ابدى شكه في تأليه الشمس وقال انها رمز عن الاله الحقيقي كما يقول الزرداشتيون . ولهم اله سري يسمونه « الاله المجهول » يعبدونه باسم « باشا كماك » ولعله يشبه « تونا كاتيكوتلي » المتقدم ذكره عند الازتك . اما جيرانهم الاروكان في اقصى الجنوب (في شيلي) فينكرون سلطة ما هو فوق الطبيعة . وان كان عندهم مبداان اوليان هما سبب الخير والشر يسويان شؤون العالم لكن احترامهم للآباء والاسلاف جرهم الى الاعتقاد بان اباءهم ينقلون بعد الموت الى المجرة ويشرفون منها على احوال ابنائهم واعمالهم . ولهذا الاعتقاد تأثير كبير في تصرفهم لانهم يجتنبون كل رذيلة احتراماً لاولئك الاباء . فاغناهم ذلك عما في الديانات الاخرى من الثواب والعقاب او الترغيب والارهاب

بعد الموت

وما تقدم من الاعتقادات خاص ببعض الامم كما رايت . اما اعتقادهم العام بما يكون بعد الموت فهو ان الحياة هناك مثل الحياة هنا لكنها خالصة من التعب والعناء . فيعيش الراحل بنعيم كنعيم هذه الدنيا لكنه غير مشوب باكدارها ومخاوفها . ويرافقهم في تلك الحياة كل ما كان معهم في هذه الدنيا مما يحتاجون اليه لتتم سعادتهم

ذلك هو الاعتقاد الاصلي عند تلك الشعوب في احوالها الاولية . لكن ارتقاء بعضها في المدارك والاخلاق وتمييزهم بين الخير والشر زاد عليها الثواب والعقاب . وانقسمت الارواح بذلك الى قسمين احدهما للخير يقيم اصحابه في الغيوم والاخر للشر يستقر اهله تحت القبور . فالسابونيون وهم السبوانيون الشرقيون يعتقدون ان الاخيار والاشرار يقودهم بعد الموت حراس اشداء الى طريق عظيم يسافرون فيه معاً مدة طويلة . ثم يتفرع الطريق الى شعبتين احداهما ممهدة والاخرى وعرة وتفصلهم هناك شرارة من البرق فيسير الاخيار الى اليمين والاشرار الى اليسار . والطريق الايمن يؤدي الى ارض دافئة ربيعها دائم واهلها يشرقون كالكواكب . هناك الغزلان والادياك الحبش والبيزن (ثور اميركاني) لا عدد لها وكلها سمينة وجميلة والاشجار تطرح اثماراً شهية طول السنة . اما طريق اليسار الوعرة فتؤدي الى ارض مظلمة شتاؤها زمهرير لا ينكشف الثلج عنها واشجارها لا تحمل ثمراً . فيعذب فيها الاشرار

اعواماً تختلف عدداً باختلاف آثامهم . ثم يرجعون الى هذا العالم لعلهم يتمكنون في المرة الثانية من تحسين سيرهم فينالون جزاء حسناً

طبائع الهنود الاميركيين

يظهر من اعمالهم الصناعية ومعاهدهم الاجتماعية ومبادئهم الادبية انهم بعيدون بقواهم العقلية عن اخوانهم الاسيويين الاوربيين Eurasian اكثر من بعدهم عنهم بملامحهم البدنية . واهل اميركا الشمالية اقرب الى الخشونة من اهل اميركا الوسطى والجنوبية الراقين . اما غير الراقين من هؤلاء فانهم في احط دركات التوحش . والراسخ في اذهان الناس ان هنود اميركا الشمالية ابالسة او وحوش كاسرة لا يوثق بهم ولا يتقاعدون عن سفك الدماء — لكنهم اذا عوملوا بالحسنى كانوا امناء صادقين لا ينكثون عهداً ولا يخفرون ذمة . فان الايروكواز حافظوا على عهدهم مع انكلترا اكثر من قرن وكذلك الديلاوار وغيرهم . وقد قضت شركة بوغاز هدسن مئتي سنة تعامل اهل الشمال ولم يخونوها الا نادراً



اباش كومانش داكوتا ايروكواز

ش ٩٥ : اربعة اصناف من هنود اميركا

وظواهر اخلاقهم الواضحة فيهم من الاسكا في اقصى الشمال الى ارجنتين في اقصى الجنوب السلوك الرزين والتأثر البطيء والكلام القليل وسرعة الانتباه ورباطة الجأش في ساعة الخطر . فمثال الرجولية عندهم رجل رزين هادىء رابط الجأش متيقظ مع التظاهر بعدم الاكتراث . وهم صبورون على المكاره والمشاق التي لا يصبر عليها سواهم

اكل لحوم البشر

ان هذه العادة قليلة الشيوع في هنود الشمال اما في المكسيك فانها لا تجري الا في بعض الاحتفالات الدينية . لكنها في الجنوب وفي جزائر الهند الغربيـة شائعة بين قبائل الكريب وكولمبيا والامازون والبرازيل بلا باعث ديني . فالكاتيو على ضفاف أتراتو في كولمبيا قيل انهم كانوا يسمنون اسراهم للاتجار بهم . والداريون جيرانهم يسرقون نساء اعدائهم ويستولدونهن ويربون اولادهن الى الرابعة عشرة ثم يأكلونهم بلذة ويأكلون النساء . والكوكوما سكان الامازون العليا كانوا يأكلون موتاهم ويطحنون عظامهم ويتناولونها مع اشربتهم المختمرة وحجتهم في ذلك ان الافضل لتلك البقايا ان تحفظ في احشاء الاصدقاء عن ان تبتلعها الارض

وفي الافرنجية لفظ كنيبال (Cannibal) لما هو في لساننا « اكل لحوم البشر» يقال انها محرفة عن لفظ كريبال (Caribal) المشتق من اسم قبيلة الكريب اكلة لحوم البشر في اميركا الوسطى (ش ١٠٦) . وكانت هذه العادة عامة في غرناطة الجديدة باميركا الوسطى فان احشاء الاحياء عندهم كانت قبوراً لموتاهم . وقد شاهدوا الرجل يأكل جثـة امرأته والاخ يأكل اخاه والابن اباه . اما الاسرى فكانوا يشوونهم ويأكلونهم . ولكن قبائل التابويا والبوتوكودو (ش ١٠٤) وغيرهما في شرقي البرازيل وغـيرهم في باراغواي تجاوزوا الحد في الهمجية حتى تحاشى الكاتب ذكر مثال من اعمالهم لفظاعتها . والغالب ان هنود الشمال كانوا يتعاطون هذه الرذيلة اكثر مما يظن وخصوصاً قبيلة العبيد فانهم كثيراً ما اكلوا اولادهم واباءهم ونساءهم

الوامبوم او المناطق الناطقة
Wampum

ليس عند هنود الشمال كتابة يدونون بها اخبارهم او يتبادلون بها العقود والعهود كما يفعل الازتك والمايا لكن لديهم طريقة للتفاهم وتدوين الحوادث وعقد المعاهدات ونحوها لامثيل لها في سواهم . وهي بلا شك من مخترعاتهم الوطنية المحضة نعني ما يعبرون عنه بقولهم « وامبوم » وهو عبارة عن مناطق او عقود تصنع من اسلاك او اوتار ينظمون بها خرزاً من الصدف يختلف لوناً وحجماً وعدداً . توضع معاً افقيا في طرق مختلفة . وكان الباحثون يظنونها حلياً لمجرد الزينة ثم تبين لهم انها وسيلة للتفاهم على اسلوب غريب . يجعلونها طبقات على اشكال مختلفة تستخدم كالعقود او كنصوص

المعاهدات تحفظ ويعمل بها . وبالجملة ان الوامبوم وسيلة لكل خير يريدونه او نفع يرجونه وينسبون اليها تأثيرات سحرية

ولعل المراد الاصلي من الخرز الملون ان تنظم به علامة شخصية اوسمة تدل على صاحب المنطقة كما توضع الارقام او العلامات على مناطق الجنود . وكل علامة تدل على صاحبها وتثبت ملكيته . ثم استخدموه لتثبيت عرى الصداقة بين رجلين بتبادل المناطق فاذا تبادلها اثنان كانهما عقدا عهداً وثيقاً . ثم اكتسبت اهمية كبرى اذ تولد بها نوع من الكتابة يتفاهم به القوم او يتعاقدون عليه ــ وان كانوا حتى الان لم يستطيعوا قراءة ما عثروا عليه من تلك المناطق

وذكر لافيتو حادثة شهدها بنفسه عقدت فيها معاهدة بين فريقين بواسطة هذه المناطق . وذلك انهما جلسا في صفين متقابلين ووقف بينهما زعيم التى خطاباً وبيده منطقة (وامبوم) وعند قدميه ثلاث مناطق اخرى والخامسة امامه اكبر من رفيقاتها لكنها اكثر تشوشاً . فلما فرغ الزعيم من خطابه تبادل الفريقان المناطق ورجع كل منهما بمنطقة تشهد بصورة العقد والوفاق كما يعود اعضاء المؤتمر بعد ان يتم التعاقد بينهم وبيد كل منهم صورة من المعاهدة موقع عليها من الجميع

وذكر الرحالة مورغن عند امة الايروكواز اناساً يتولون الاحتفاظ بتلك المناطق كما يفعل خازن الاوراق الرسمية (Archiviste) في الدول المتمدنة . وحافظ الوامبوم يطلب منه ان يحفظ مؤدى كل منطقة وان يجعل ذلك معروفاً عند الامة . ولذلك فقد عينوا يوماً من السنة تخرج به تلك « السجلات » من خزائنها وتعرض على الجمهور وتتلى عليهم خلاصة كل منها وتاريخها . ولا يزالون على هذه العادة الى اليوم

وقد يدونون اخبارهم بعقود بسيطة هي سلك ينظم الخرز فيه بدون ان يصنع بشكل المنطقة او الوامبوم . فاذا تولاهم رئيس جديد قدموا له عشرة عقود بيضاء يعبرون بها عن قبولهم توليته واذا توفي لبسوا عشرة عقود سوداء حزناً عليه

لغة الاشارات

ومن طرق التفاهم عند الهنود غير الوامبوم الاشارات وهي شائعة عندهم ويختلف ارتقاؤها باختلاف الامم فهي ارقى عند هنود الشمال مما عند الامم التي لم يتم ارتقاؤها . ولا شك ان لغة الاشارات ولغة الكلام نشأتا معاً اذ لا فرق بينهما سوى ان احداهما تنتقل بالسمع والاخرى بالبصر . فالانسان كان يعبر عن افكاره في اقدم ازمانه بالاشارات وبالالفاظ . ولما تكاملت لغة النطق استخفها واهمل تلك فلم تبق الا



ش ٩٦ : هندي من قبيلة السيوكس (السيوان)

عند بعض الامم المتوحشة . ولكنها في كثير من الاحوال تغني عن الكلام . وهي تمتاز عن لغة التكلم انها اسهل تناولاً من لغة النطق يفهمها كل انسان ولا يشترط في فهمها ان يتعلمها من الصغر كما نفعل في حفظ لغات الكلام . وقد قدمنا امثلة من ذلك في كلامنا عن اللغة قبل زمن التاريخ

المساكن

المساكن عند هنود الشمال ضربان المساكن الخصوصية يقيم فيها الرجل او العائلة الواحدة والعمومية يقيم فيها الجماعة او الطائفة . وقد تكون مساحة المسكن العمومي ٥٠ قدماً الى مئة قدم طولاً و١٦ الى ١٨ قدماً عرضاً يقيمونها على اعمدة فوقها سقوف من العيدان وقشور الشجر ويحدق بها جدران من الاغصان . ويقسمون المنزل من الداخل الى شقق ويجعلون في السقف منفذاً يخرج منه الدخان . ومن المساكن العمومية ما يجعلونه مستديراً قطره ٤٠ قدماً قائماً على صفين من الاعمدة وسقفه محدب كالقبة وقد يكون على اشكال اخرى تختلف باختلاف القبائل بين مخروطي ومربع ومستدير . وفيهم من يأوي الى الكهوف والمغر كما كان الانسان في اقدم ازمانه

وقد يبنون المنازل بالحجارة لكنهم يحتفلون لبنائها احتفالاً خاصاً . واتقن ابنية

الهنود في بلاد المكسيك وخصوصاً في بلاد المايا (يوكاتان) لا يضارعهم احد في ذلك غير اهل بيرو . ان في المكسيك مدناً خربة يستدل من انقاضها انها من صنع قوم نالوا قسطاً حسناً من هندسة البناء وفي جملتها اهرام « شلولا » و « تيوتيهواكان » يقول الازتك ان اسلافهم التولتك بنوها لاغراض خاصة . واما يوكاتان فتكاد تكون ارضها مكسوة بالاطلال والخرائب من الهياكل والتماثيل على اشكال مختلفة

وهرم شلولا اقدم اهرام العالم الجديد قائم قرب بوبلا شرقي مدينة مكسيكو ارتفاعه ١٧٧ قدماً يشغل ارضاً مساحتها ٤٤ قصبة او ١٤٢٣ قدماً عند القاعدة . وهو الان كالجبل المسطح تكسوه الاعشاب والحشائش . وفي اعلاه برج كنيسة مزدوج من الطرز الاميركي الاسباني وكان في موضع هذه الكنيسة معبد وثني كانت تقام فيه القرابين والضحايا قديماً وتجري فيه الطقوس الدينية

وفي تيوتيهواكان هرمان احدهما للشمس والاخر للقمر على ثلاثين ميلاً شمالي مدينة مكسيكو . يقال انهما بنيا في القرن التاسع للميلاد . وهرم الشمس مساحة قاعدته ٦٨٢ قدماً مربعاً وعلوه ١٨٠ قدماً . وهرم القمر اقل من ذلك قليلاً . وبين الهرمين ممرٌ يقال له طريق الاموات كانوا يحتفلون فيه بالمحكوم عليهم ليكونوا ذبيحة للالهة او بالاموات المحمولين الى مدافنهم . وهناك ملايين من الجماجم الصغيرة مصنوعة بالدلغان طول الواحدة منها قيراطان الى ثلاثة على اشكال مختلفة من ملامح البشر . وقد تحير علماء الانسان بالمراد منها ووجدوا بينها اشباه الزنوج والهنود والقوقاس وادوات من العصر الحجري . اما بقايا امـة المايا وفيها القصور والهياكل والقلاع والاديار فانها منتشرة في يوكاتان وفي هوندوراس وشياباس وما يحيط بها . ومريدا عاصمة يوكاتان قائمة على انقاض « تيهو » العاصمة القديمة ولا يزال كثير من بقايا النقوش عليها

واحسن تلك الخرائب واتمها في « اوكسمال » على اربعين ميلاً جنوبي مريدا تكسو ميلاً مربعاً من الارض قد غشيها النبات . وفيها بناء يسمونه « بيت الحاكم » هو اعظم تلك الابنية . شكله مستطيل متواز طوله ٣٢٢ قدماً مبني من صخر منحوت يحيط به طنف منحوت بين يديه ١١ طرقة تؤدي الى صفين من الغرف ضاعت ابوابها الخشبية . والطنف مزدان بالنقوش من كل جانب وفيه تماثيل المحاربين والملوك والكهنة جالسين على عروشهم فوق مدخل الابواب وعلى رؤوسهم كساء فيه ريش طويل

وعلى ٢٥ ميلاً شرقي مريدا هرم « اكي » كان عليه ٣٦ اسطوانة لايزال باقياً منها ٢٩ نخانة كل منها ٤ اقدام مربعة وطولها ١٤ الى ١٦ قدماً وحول الهرم المركزي

في شيشن ايتزا على الشاطىء الشرقي اعمدة عديدة من هذا النوع وغير ذلك

ولعل اكبر مجموعة للخرائب البنائية قرب بالنك في شياباس شرقي المكسيك اكبرها يسمونه القصر قائم على مصطبة متجهة نحو النهر لعله كان مقر الملك . وعثروا في منشة على مكان يسمونه « مدينة الطيف » وتعرف الان باسم مدنية لوريلار فيها اثار تشبه ما عثروا عليه في بالنك . وفي جملة ذلك نقوش لم يقفوا على مثلها في العالم الجديد فيها تمثال يشبه بوذا جالس الاربعاء ويداه على ركبتيه وحول حاجبه اكليل مرصع فوقه ريش متموج

وليس في جنوب اميركا امثال ابنية أمة المايا هذه الا الابنية المعروفة بقصور البيرو وقلاعها وهياكل الشمس وبقايا امة الشيمو او يونكا . وليس هذان اللفظان الاسم الحقيقي لهذه الامة العجيبة فان اسمها تنوس ولكن آدابها اقدم من آداب البيرويين ولها تاريخ مجيد . وبقايا شيمو العاصمة تمتد من جبل كابانا جنوباً الى ريوموشي ١٥ ميلاً ونحو خمسة اميال شرقاً وغرباً فكأن مساحتها مئة ميل مربع نحو مساحة مدينة لندن شمالي التيمس . والباحث في تلك الانقاض يجد بينها اسواراً ضخمة ومدافن نخيمة وقصوراً ومصارف وخزانات للماء ومخازن للحنطة وكل شيء يدل على قدرة تلك الامة وثروتها . اما اسمها الحقيقي فلا يزال مجهولاً . واعظم تلك الاثار واجملها الاهرام القصيرة او المقطوعة المسماة « هواكاس » قاعدة احدها ٥٨٠ قدماً مربعاً وارتفاعه ١٥٠ قدماً . واعظم منه « هيكل الشمس » في القرية المعروفة اليوم باسم موشي وهو بناء مربع مساحته ٨٠٠ قدم في ٤٧٠ قدماً وعلوه ٢٠٠ قدم فهو يشتمل نحو سبع قصبات

اسم الهنود وخصائصها

ذكرنا في ما تقدم الاوصاف العمومية لهنود اميركا واليك بعض التفصيل حسب الامم التي مر ذكرها

الاسكيمو
Eskimo

هم طائفة من هنود اميركا مقرهم في بلاد تبعد ٥٠٠ ميل عن بحر بيرين على المنطقة المتجمدة الى لابرادور وغرينلاند . وكانوا قديماً يمتدون اكثر من ذلك نحو الجنوب الى نيوفوندلاند ونيو انكلند حيث احتكوا بالنورسيين من اهل اسكندينافيا الذين

ارتادوا الاصقاع الشمالية قديماً الى العالم الجديد . فوصفهم النورسيون انهم قصار القامة سمر الالوان عراض الوجوه يستخدمون زوارق من الجلد وصنانير لا يعرفها سواهم من اهل تلك البلاد ويقتاتون بمخاخ العظام والدم ويحبون اللحم النيء ومنه اسمهم Eskimantsic ومعناها اكلة اللحوم النيئة نحرفها الفرنساويون الى اسكيمو واطلق هذا الاسم عليهم جيرانهم . اما اسمهم عند اهل الاسكا فهو « انويت » اي الرجال وفي غرينلاد « كراليت »



ش ٩٧ : رجل وامراة من قبيلة الاسكيمو

بلغ احصاء الاسكيمو جميعاً لسنة ١٩٠٧ نحو ٢٨٠٠٠ نفس منهم ٢٠٠٠ من الالويت . وهم على اتساع المساحة التي يشغلونها متشابهون باخلاقهم واطوارهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم . ويغلب فيهم قصر القامة وصغر الايدي والاقدام وسعة الوجه وارتفاع الانف مع دقته . عيونهم منحرفة مثل عيون المغول رؤوسهم طويلة تزداد طولاً في الشرق . وهم ميالون الى السكينة والتفريح مع صدق وامانة . واما في الاداب العمومية فانهم منحطون ويكاد لا يكون لهم روابط عائلية . اكثر اشتغالهم في صيد الاسماك والدبابات والطيور صيفاً والفقمة ونحوها شتاء

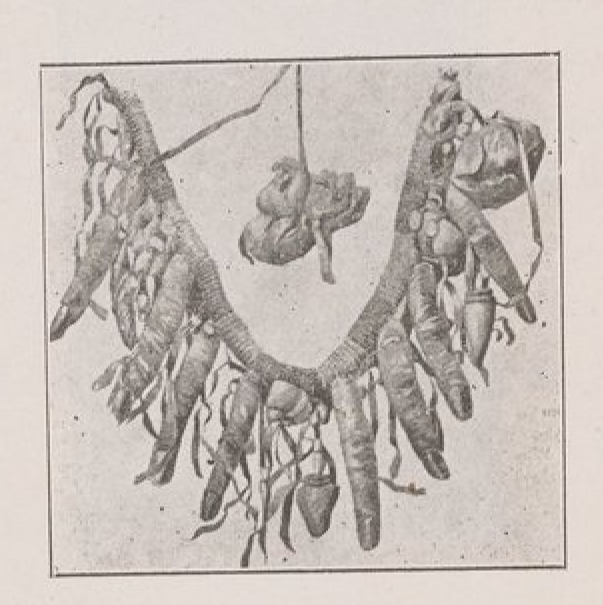
اما منازلهم فتختلف باختلاف الفصول — هي في الصيف خيام مصنوعة من جلد الغزال او الفقمة تنصب على عمود يرحلون بها حيثما شاؤا . وفي الشتاء يبنون بيوتهم من الجليد او من حفر يغطونها بالتراب وحده او مخلوطاً بجذور الاشجار في اطارات من الخشب او العظام بما يشبه مساكن الكوروبوكورو اسلاف العينو في اليابان ولعل بعض الاسكيمو نزلوا الى هناك على شواطيء يازو

وهم يعبدون الارواح ويعتقدون وجودها في الاحياء والجماد . ومع ذلك فان معبودهم الاعظم عجوز تقيم في الاوقيانوس تامر الرياح فتتولد الاعاصير انتقاماً ممن لا يرعون حرمتها او يؤذون من هم تحت حمايتها (تابو) وسبب تسلطها على الاسماك ان حيوانات هذه البحار قطع من اصابعها قطعها ابوها عند اول نزولها البحر

الاتاباسكان

Athapascans

سموا بذلك نسبة الى مياه الاتاباسكان المارة في ارضهم . وهم يسمون انفسهم « دينة » اود تينة » اوبالفاظ اخرى معناها « انسان » لان الامم القديمة الباقية على الفطرة يغلب فيهم ان يسموا انفسهم « اناساً » يقيم الاتاباسكان في بلاد منقسمة بينهم تمتد من حدود الاسكيمو في الشمال الى خليج هدسن او بورت نلسن . ومن هناك غرباً الى ما وراء الجبال الصخرية Rocky mountains وهم يتعاطون التجارة والصيد بالفخ والسياحة في السفن في خدمة شركة خليج هدسن . لكنهم يأكلون



ش ٩٨ : عقد فيه الاصابع يصنعه الاباش من اصابع اعدائهم دلالة على النصر

لحوم البشر ومنهم شرذمات على شواطىء اوريجن الغربية ووشنطون تدل على مهاجرتهم قبل زمن التاريخ نحو الولايات المتحدة والمكسيك . ومنهم هنا طائفة من قطاع الطرق واللصوص يعرفون بالاباش ونافايو

الالغونكويان

Algonquians

يحدُّ بلادهم من الشمال بلاد الاتاباسكان ويمتدون جنوباً بين المسيسيبي والبحر الاتلانتيكي الى جورجيا وكارولينا وتنيسي . ولهذه الامة شان عظيم في تاريخ اميركا الشمالية وهم اكثر قبائلها عدداً يبلغون وحدهم ربع هنود اميركا الان . ويقسمون الى بطون عديدة يبلغ احصاؤها ٩٥٠٠٠ نفس منها ٦٠٠٠٠ في كندا والباقي في الولايات المتحدة . ولفظ الغونكويان في الاصل اسم بطن من بطونهم ثم اطلق عليهم . ولم يبق من البطن الاصلي الاخمسة الاف نفس . ولكن الاوجيبو (الشيبوي) احد بطونها لا يزال منهم ٣٢٠٠٠ حول البحيرات الكبرى (في كندا) وهم اكثر تلك البطون عدداً يليهم « الكري » نحو ١٧٠٠٠ نفس في مانيتوبا وبحيرة ونيبيك ويظهر ان لغة الكرى اقرب لغات الهنود الى امها الاصلية . ولذلك ظنوا مهد الهنود عند تلك البحيرة



ش ٩٩ : شيبوي من قبائل الالغنكويان

وينسبون الى الالغونكويان طائفة من الابنية القديمة التي لايعرف تاريخها . وبعض الاسوار والمدافن الباقية على ضفاف المسيسيبي ولا سيما في وادي اوهايو وهي من جملة بلادهم ولكن الباحثين وجدوا هذه الاثار لغيرهم ويظن بعضهم انها من صنع السمينول قدم سكان فلوريدا لتشابه بين بقاياهم هناك وهنا

الايروكواز

Iroquoians

هم اعداء الالغونكويان وكان المظنون ان القبيلتين كانتا من اهل البادية تعيشان على الصيد والغزو . ولعل بعضهم سيق الى البداوة بمطاردة البيض الذين كانوا يزاحمونهم على شواطىء البحر الاتلانتيكي . ولكن الاكثر كانوا حضراً فلاحين يزرعون الذرة والارز واليقطين والتبغ وكانوا يعرفون انواع الاسمدة من الاسماك والاصداف والرماد يضيفونها الى الارض ليزيد خصبها. وقد اقتبس الاوربيون عن الالغونكويان انواعاً من الاطعمة تدل على تحضرهم . وكان الايروكواز مشهورين بميلهم الى الحروب وعندهم نظام عسكري خاص ولذا سموهم « رومان العالم الجديد » وقد تغلبوا على سائر قبائل الهنود في عصر من العصور واوشكوا ان ينشئوا مملكة بين شواطىء الاتلانتيكي وضفاف المسيسيبي لولم يعترضهم البيض بمطامعهم . والمظنون ان وطنهم الاصلي في بلاد « لورنتيا » انشأوا فيه حزبين عرفا بالوياندوت والايروكواز ـ وهو الحلف المشهور بمحالفة الامم الخمس : الموهاوك والاونيدا والكايوغا والاونونداغ وسينيكا . ثم صاروا الامم الست لما اتحدوا سنة ١٧١٢ مع قبيلة التوسكارورا من شمال كارولينا

ومن الايروكواز قبيلة الشيروكي الجنوبيون لم تشتهر بالتاريخ لكنها اذكى هنود الشمال . نبغ منها رجل اسمه جورج جست اشتهر بالذكاء والعلم فحلل الفاظ لغته سنة ١٨٢٤ ووضع لها علامات وحروفاً وهو لايعرف القراءة ولا الكتابة . وكتابه لايزال عليه المعول في موضوعه يحتوي على ٨٥ مقطعاً اوكلمة مركبة من ١٥ حرفاً ساكناً كل منها يتركب مع ستة احرف علة ـ فمن حرف k مثلاً يتركب ka, ke, ki, ko, ku, ké وعدد الشيروكي ٠٠٠ ٢٧ اما ما بقي من قبائل الايروكواز فلا يزيد عددهم على ٠٠٠ ٢٠ نفس

المسخوجان

Muskhugeans

لما اكتشفت اميركا كانت ولايات الخليج شرقي المسيسيبي (فلوريدا والاباما ومسيسيبي وجورجيا وبعض كارولينا وتنسي) مملوءة بامم اشهرها الكريك والشوكتو والشيكاسو والسمينول وهم يختلفون لغة ومظهراً ولكنهم كانوا مجتمعين في حلف . واهم المتحالفين قبيلة المسخوجان فاطلق هذا الاسم عليهم جميعاً . وهي خطوة هامة نحو المدنية لان ذلك التحالف كان شبيهاً بتحالف المتمدنين وكان عندهم

مدن لكل منها حكومة مستقلة ومجلس خاص كما كان شأن اليونان القدماء .

وفي المدن الكبرى ساحات عمومية في كل منها اربعة ابنية كبيرة متساوية السعة تقسم البناية الى ثلاثة اقسام لرجال الدولة على اختلاف مراتبهم وللكهان والجند . وكانت تلك الامم تجري في احكامها على رأي المجلس الاعلى او هو مجلس النواب يمثل الجماعات والعناصر يجتمع في اوقات معينة واماكن معينة حسب الاقتضاء . ويسمون رئيسه « ميكو » وكانوا يحتفلون بالسباق ونحوه من الاعمال الرياضية يحضرها المشاهدون من الغرباء وغيرهم وعدد المسخوجان سنة ١٩٠٥ نحو ٥٧٠٠٠ نفس

السيوان وداكوتا

Siouans & Dakota

ان « سيوان » مشتقة من Sioux وهو لفظ فرنساوي تحريف نداوسيواج Nadowe-ssi-wag ومعناها « الافاعي » او « الاعداء ». اطلق بويل هذا الاسم على الامة الهندية العظيمة التي اشهر قبائلها « الداكوتا » ومعناها « المحالفون » . مواطنهم اوسع مواطن امم الهند بعد الاتاباسكان والالغونكويان تمتد من السهول غربي مسيسيبي جنوباً الى خليج المكسيك وشرقاً الى الاتلانتيكي . وهم منتشرون في فرجينيا



ش ١٠٠ : رجل من قبيلة السيوان

وكارولينا اي جنوبي مواطنهم الاصلية . وفي هذه البلاد جرى التحالف الموناكي مع السابونيين والكتوبا وغيرهم على ضفاف نهر جيمس فوق شلالات رتشموند . ويتكلمون لغة سيوانية قديمة . ثم اخرجوا من تلك البقاع الى ضفاف المسيسبي فعادوا واتحدوا بالداكوتا بعد ان افترقوا عنهم ١٥٠٠ سنة

والسيوان قبائل شتى كل منها مستقل بنفسه ويختلفون لغة ونظاماً ودينا حتى في الظواهر البدنية مما يبعث على الظن بقدم عهد هذه الامة ولا بد لها من تاريخ طويل . ومن اهم حوادثها التحالف المعروف باسم « النيران السبع » دخل فيه سبع امم كبيرة كل منها محافظة على عاداتها ونظاماتها وسائر احوالها . ويعدُّون في الغالب ارقى بدناً وعقلاً وادباً من سائر امم الهنود الغربية يتفقهون في لغتهم . وقد صدرت بها جرائد وكتب نشرت على ايدي المبشرين

الرؤوس المسطحة والافاعي

يطلق اسم الرؤوس المسطحة على عدة قبائل بين الجبال الصخرية والاوقيانوس المحيط لانهم يسطحون رؤوس اطفالهم عنوة . وهذه العادة غير محصورة في هذه البقاع فهي ممتدة على الشواطىء الغربية من كولمبيا البريطانية الى شيلي وفي بعض الجهات الشرقية . وكانت قديماً تشمل المسخوجان وغيرهم . وهي عادة قديمة كانت منتشرة في كثير من انحاء العالم ثم اختصت باميركا ولكنها بطلت من شماليها الان

اما الافاعي ويسمون ايضاً شوشونيان فكانوا منتشرين قديماً في ما هو الان ولايات مونتانا وايداهو واوريجن الى اوتاه وتكساس وكليفورنيا . ولما جاءهم البيض امتدوا شرقاً الى داكوتا وهم ليسو اهل حرب . ومن الشوشونيان قبائل سود الابدان في سهول كليفورنيا . ومنهم الاوتاه وبهم سميت تلك الولاية ويمتازون بمقدرتهم الفنية على سائر هنود اميركا . فانك لا تجد منزلاً من منازلهم خالياً من صور الناس والحيوانات والخيام وغيرها . يحفظون بها اخبار الحروب وغيرها من الحوادث المهمة بما يقابل الوامبوم في الامم الشرقية

ومنهم ايضا امة النايوني (الجيران) وكانوا قديماً يجاورون الاوتاه من الشرق عند منابع كولورادو ثم امتدوا جنوباً ويسمون ايضاً الكومانش . وهم اخلاط من امم شتى اجتمعوا واتحدوا للغزو والسطو وخطف النساء والاولاد يتخذون منهم ازواجاً وجنداً . وكانوا يقطعون في سبيل هذا الغزو نحو ٥٠٠ الى ٨٠٠ ميل في الصحراء .

وقد حاربوا الاسبان نحو ٢٠٠ سنة وسالموا الانكليز الا اهل تكساس لانهم سلبوهم احسن اراضيهم . لكنهم استقروا من سنة ١٨٧٥ في كيوا وقد تناقص عددهم سنة ١٩٠٤ الى ١٤٠٠ نفس



ش ١٠١ : عادة المندان من هنود اميركا في جمع الجماجم في دائرة

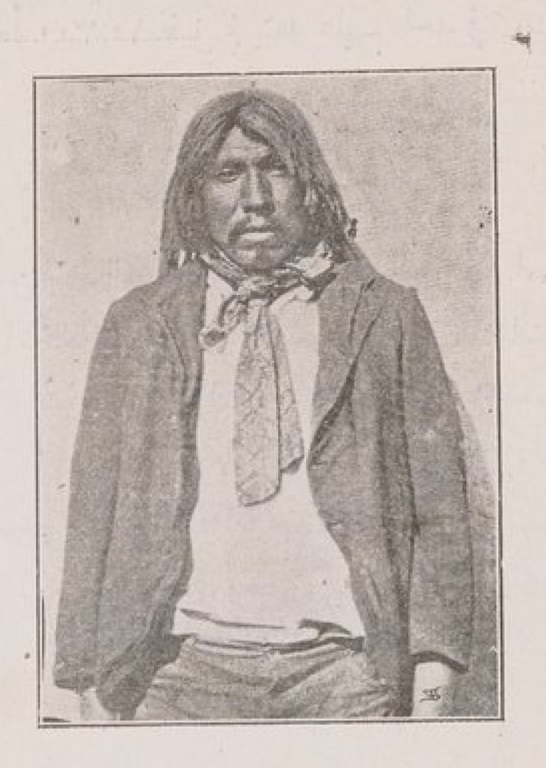
وكانوا في ابان عزهم من اهل الفروسية يقضون اوقاتهم في صيد الجاموس واشتهروا بالبسالة وعزة النفس ثم تبدلت احوالهم وفسدت لغتهم فصارت مزيجاً من الاصل ولغات افرنجية

البوبلو وسكان الهضاب

Pueblo Indians

اذا تجاوزنا الهيداس محبي الفنون في كولمبيا البريطانية بين قبائل الرؤوس المسطحة و الشوشون (الافاعي) في وشنطون واوريجن وكليفورنيا نصل الى مكسيكو الجديدة وارزونا وفيها جماهير من الهنود يعرفون باسم « بوبلو انديان » سموا بذلك من « بوبلو» في اللغة الاسبانية قرية لانهم يقيمون في القرى او المزارع على نسق خاص . وليسو جنساً واحداً ولغة واحدة بل هم لفيف من امم تختلف شكلاً ولغة . ومع ذلك فهم متحدون في العادات والطقوس والتقاليد والمساكن والآداب . فالبوبلو بهذا الاعتبار ارقى من سائر هنود الشمال او هم الحلقة الموصلة بين هنود الشمال وهنود الجنوب وبهم يبدأ التقدم وظهور المواهب . ويأتي بعدهم في الجنوب تمدن الازتك والمايا والبيرويين في اواسط اميركا وجنوبها كما تقدم

وسكان الهضاب يحسبون فرعاً من البوبلو ولهم آثار بنائية خاصة بهم من جملتها « استوفاس او كيواس » وهو عبارة عن غرف مستديرة الشكل مجتمعة في بقعة مربعة هي مقرّ مجالس الشورى او الهياكل التي كانت تجري فيها اعمال الحكومة او الطقوس الدينية . والكيواس في الحقيقة بقايا مساكن الاطباء التي كانت لهنود السهول وهي تشير الى اقامة البوبلو في السهول قديماً . ثم اخرجوا منها الى مساكنهم الجبلية على الهضاب دفعهم اليها قبائل الاباش والنافايو وغيرهما



ش ١٠٢ : هندي من قبيلة يومان اسفل كليفورنيا

ونظامهم الاجتماعي عائلي او حسب القبائل ولقبائلهم اسماء مضحكة كالذرة والعشب والملح والنمل والطير المغرد وهي من قبيل الطوتمية التي تقدم ذكرها . لكن المظنون انها لم توضع في الاصل لهذه الغاية اذ لا يعقل ان يتصور قوم انهم تسلسلوا من العشب او الذرة . ولعل هذه الاسماء كانت شارات تعرف بها تلك القبائل فسميت بها . ويمتاز البوبلو بتعاليم رمزية عالية تظهر في احتفالاتهم السنوية ورقص الثعابين ونحوها. وعبادة الافاعي منتشرة في سهول مسيسبي الى المدن القديمة في المكسيك واميركا الوسطى وبيرو . وهي ظاهرة على بعض ما خلفوه من المحفورات او المصورات . وفي كتابات الازتك والمايا ما يدل على ان البوبلو يعبدون آلهة متعددة تنسب اليها افعال

مختلفة . فهذه الالهة الحيوانية يوقرونها بطقوس راقية . وقد يمثلونها بحيوانات حية واهم معبوداتهم المشار اليها الثعابين والافاعي السامة وخصوصاً الافعى ذات الاجراس ولها دخل كبير في احتفالاتهم ولاسيما في الاستسقاء لانهم كثيرو الجدب في تلك المرتفعات

وعند امة الهوبي رموز ينقشونها على مصنوعاتهم ربما كانت من قبيل الكتابة الصورية الرمزية . وهناك ثلاث امم اخرى من هذه الشعوب هي التنوان والكيرسان والزوني كل منها تتكلم لغة من لغات الهنود المتقدم ذكرها . تتألف من نحو ثلاثين بلداً عدد اهلها جميعاً ١٠٣٠٠ نفس لم يتعد عليهم احد في مساكنهم ولا اخرجوا منها في عهد التاريخ

التاراهومارا

Tarahumaras

وفي الجنوب من بلاد البوبلو جمهورية المكسيك وفيها امم عديدة بعضها نصف متمدنة لا يعرفون الاتحاد السياسي وانما قسموهم حسب اللغات . اهمهم التاراهومارا ولهم شأن خاص بما ابدوه من الثبات في المحافظة على بلادهم وعاداتهم ضد التيار الاجنبي . يقيمون على منحدرات سيرامادري الغربية في ولايات سينالوا وسينورا وسيهواها . ومع اصغاء بعضهم للمبشرين من ثلثمائة سنة حتى سموا انفسهم نصارى فان نصرانيتهم يمازجها شيء من الوثنية وطقوسها الى اليوم . وكانوا يسكنون الكهوف قديماً ولا يزال بعضهم يفعل ذلك الى الان . ولهم شهرة خصوصية في الالعاب والسباق وهم اقدر هنود اميركا فيه . ويقال ان معنى اسمهم الاصلي « الرا كضون » تجتمع القبائل في وقت معين من السنة للسباق ركضاً على جوائز . يقضون في ذلك اياماً والفائزون ينالون جوائز كالتي كان اليونان ينالونها في العابهم . وهم خفاف الاحلام يحبون الاحتفالات والرقص (مع المتهم) فيختلفون بذلك عن سائر هنود اميركا

الازتك والمايا والتولتك

Aztec , Maya & Toltec

اما في اميركا الوسطى فالاهمية الكبرى لمجموعين من الامم (١) الناهواتلان ويعرفون في التاريخ باسم « ازتك » (٢) الهواكستكان وهم المايا . وقد تشابهت احوال هذه الامم واختلط تاريخها فيعسر الكلام في كل منها على حدة . ولكل من هاتين الامتين تمدن قديم احدهما في سهل المكسيك المعروف باسم « النهواك » والاخر في يوكاتان وغواتمالا . لكنهما تتداخلان وتختلطان عند اطرافهما جغرافياً

وتاريخياً حتى تجد بعض قبائل هذا القسم في ارض ذلك وبالعكس

ويروي الازتك في خرافاتهم انهم اتوا من كهوفهم السبعة في اقصى الشمال فلما وصلوا مقرهم الحالي انشأوا مدينة مكسيكو قبل مجيء الاسبان الى هناك بمئتي سنة اي منذ ستمئة سنة . وقد سبقهم الى هناك امة عجيبة اسمها « التولتك » كانت على جانب عظيم من الرقي والصناعة بنوا هرم شلولا وخلفوا اثاراً اخرى هامة . ولكن مدنيتهم انقرضت على ايدي النهواس وهم من قبائل الشمال المتوحشة ويعرفون باسم شيشيمك اي الكلاب

والتولتك (او امة الطولان او الطولا) هم اول من اسس مملكة متمدنة في بلاد الانهواك في القرن السادس او السابع للميلاد . ولما ذهبوا اصبح كل اثر بنائي او صناعي في اميركا الوسطى ينسب اليهم . واختلف العلماء في تحقيق ذلك اختلافاً عظيماً حتى زعم بعضهم انهم قوم خرافيون لا حقيقة لهم . وقال آخرون انهم بعد ذهاب دولتهم في اميركا الوسطى نزحوا الى الجنوب ونشروا تمدنهم في ارض المايا . وذهب غيرهم ان التولتك فرع من النهواس او من المايا وان طولا وشلولا كانتا مساكن للمايا . وبالمقابلة بين المايا والنهواس من حيث نظامهم الديني تتضح لنا افضلية المايا لان الهياكل الباقية الى الان موجودة في ارضهم المايا . واظهر ما فيها من الدلالة على وحدة اصلها ما عليها من الكتابة الصورية والنقوش والتوقيت

ليس في هنود اميركا امة استخدمت الكتابة بالمعنى المراد بها تماماً الا الازتك والمايا . وكانت تصورية اي انها تدل على الصور المعنوية فضلاً عن المحسوسات . وكانت مدوناتها لا تنحصر في النقش او الرسم والتصوير على الاحجار ولكنهم كانوا يدونونها في الكتب على رقوق او ورق . وكانت الحروف اقرب الى الرموز مما الى الصور . ولغة الازتك اكثر صوراً وتصوراً . ولغة المايا تصورية هجائية اي انها كانت سائرة نحو الهجاء او قريبة منه

واعجب من ذلك ضبط الروزنامة عند المايا وقد اقتبسها منهم الازتك . ويقال انها ادق من الروزنامة اليونانية . والروزنامة عند هنود السهول عبارة عن وقائع الشتاء . ويحسبون اقسام الوقت الصغرى بالليالي ويعينون الفصول بالابراق والازهار والاثمار ومهاجرة الحيوانات وغيرها . وليس عندهم قواعد معينة لتحويل الايام الى الاقمار (الاشهر) ولا الاقمار الى سنتين . واما المايا فالسنة عندهم ٣٦٥ يوماً وكانوا يعرفون الكبس . وتختلف اقسام السنة عندهم عما في البقاع الاسيوية كما تختلف اقاليمهما

فهي عندهم ١٨ شهراً والشهر ٢٠ يوماً يضيفون اليها خمسة ايام فيكون المجموع ٣٦٥ يوماً. والشهر عند الازتك ٢٠ يوماً لكل منها علامة وجدوها مصورة على حجر الروزنامة التي وضعها الملك اكسايا كتل سنة ١٤٧٩ وهي الآن موضوعة في جدار برج الكنيسة في مكسيكو. ولما دشنوا هذا الحجر ضحوا الوفاً من الناس ارضاء لآلهة المكسيكيين

الزابوتك
Zapotec

وكان في بلاد المكسيك ايضاً امم اخرى متمدنة منها امة المزتك والزابوتك في ولاية « واياكا » وامتا « التراسكو » والمتلاتزنكا في « متشوا كان » والزوك والميكسة والبوبولوكو في بوبلا وغيرهم. وقد بلغوا درجة من المدنية تظهر على آثار متلا (Mitla) عاصمة الزابوتك التي غزاهـا الازتك سنة ١٤٩٤ واخربوها. فقد اطرى الباحثون ما شاهدوه هناك من اطلال القصور قالوا « لا يشبهها في جمال البناء وفخامته الا ما خلفه اليونان والرومان في عصورهم الذهبية » وتمتاز ابنية متلا بفخامة الحجارة والاساطين وتناسب اوضاعها وجمالها. وهناك اعتاب ضخمة يستغربون نقلها ووضعها في اماكنها كما يستغربون نقل احجار قلعة بعلبك. وعلى الابنية رسوم جميلة مثل التي على آثار بومباي

والزابوتك تسلطوا على قبائل التهوانتبك وكان الملك فيهم وراثياً يساعد الملك على الحكومة رئيس للكهنة بلغ من احترامهم له ان لا تمس قدماه الارض. فكانوا يحملونه على المناكب. فاذا ظهر في الاحتفالات قابله الناس حتى الرؤساء بالسجود ولا يجسر احد ان يرفع بصره اليه. وهو يترأس الاحتفالات الدموية وهي اقل فظاعة من احتفالات الازتك لكن الهتهم لا ترضى عن رعاياها الا بتضحية الناس

وكان الزابوتك يخبئون ثروتهم في مخابىء خاصة. وهم اشداء وفيهم بسالة وقوة. لا يزالون يتخاطبون بلسانهم في منازلهم. وقد اخذوا يتعاطون الاشغال العمومية ونبغ منهم غير واحد من القواد

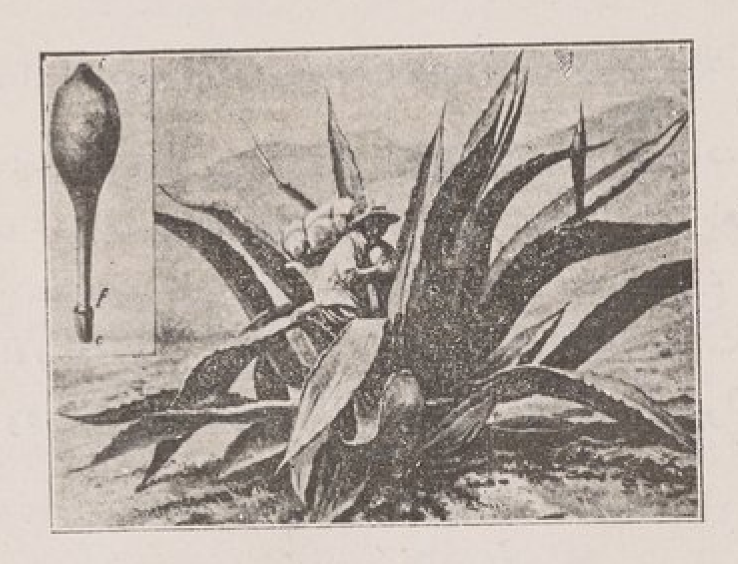
التراكسان : هم من الامم القريبة من المدنية كانت تقيم في مملكة ميشوا كان. ولا تزال اكثر اهلها عدداً. ويسمون الازتك احماءهم ويسمون انفسهم اصهارهم ليس لقرابة شرعية بل لانهم كانوا يطلبون النساء من الخارج ليستولدوهن. وهم كالمايا عندهم كتابة صورية منها بقية الى الآن

هنود المكسيك على الاجمال

لهنود المكسيك خصائص يمتازون بها عن سواهم اهمها نعومة جلودهم فانها مخملية

الملمس غضة يختفي تحتها كل بروز عظمي او ارتفاع وريدي او عضلي . ولا يشف الجلد عما تحته من الدم الا في خدود الفتيات الصغيرات . فيعبرون عن ذلك بقولهم « انها تشرق كالنحاس اضاءته الشمس » ومن مميزاتهم ايضاً اتساع صدورهم وارتفاعها وتقوسها وقوة ارجلهم . اذا استراحوا على الطريق او في منازلهم قرفصوا على اباهم اقدامهم . ولا يظهر عليهم التعب ولو مشوا ساعات متوالية . يمشون في الاسفار صفوفاً كما يصطف الجند وصدورهم تتقدمهم . والنساء يحنين رؤوسهن مطرقة وصدورهن مرتفعة كانهن من تماثيل الفراعنة القدماء

وهم يقتصرون على الطعام النباتي لا يتجاوزونه الى سواه . وهو يتألف من الذرة والموز والفول والبهار ويكثرون من شرب المسكر لكنهم لا يسكرون . ومن مشروباتهم



ش ١٠٣ : استخراج خمر البلكة في المكسيك

الوطنية « خمر البلكة » وهي سائل نباتي يستخرجونه من نبات يفرزه (ش ١٠٣) والامراض قليلة فيهم ومن يتجاوز خطر الطفولية يعمر طويلاً . ومن غرائب الطبيعة ما يستولي من الانقباض على الامم التي توشك ان تنقرض فهم دائماً سكوت قد اخذتهم السويداء مع حقد شديد لا ينفكون عمن ساء اليهم حتى ينتقموا منه

شيريكوي وفراغوا

Chiriqui & Veragua

في الطريق من اميركا الوسطى الى الجنوبية يمرّ المسافر قرب بناما ببلاد اسمها شيريكوي كان فيها معمل كبير لاصطناع الخزف هو اتقن خزف في العالم . وقد كشفت



ش ١٠٤ : رجل وامرأة من قبيلة بوتوكودو والاقراط في الشفاه والاذان

بعض بقاياه مؤخراً فوجدوه من الاتقان والصقل بما يشبه اجود اصناف الخزف القديم . ومعه محفورات على الباسلت . وبجوارهم « كوستاريكة » امتاز اهلها بالصياغة ووجدوا من مصوغاتهم مقادير كبيرة في مدافنهم القديمة قبل التاريخ لانهم كانوا يدفنونها مع الاموات . ومن اطلالهم الخربة كيمان كثيرة مساحة بعضها مئة قدم طولاً و٧٥ عرضاً و١٥ قدماً علواً كان في كثير منها تماثيل رجال ونساء وحيوانات وغيرها

الموسكا والالدرادو

Muyscas & Eldorado

ان ما في بناما من بقايا المدنية يرجع الفضل فيه الى امة الموسكا التي كانت تقيم في سهول كوندينامركا من جمهورية كولمبيا الان . وقد اشتهروا خصوصاً بمعالجة المعادن الثمينة ومعنى الموسكا « الرجل » او « العشرون » . وفي تسمية الرجل عندهم بلفظ العشرين اشارة الى عدد اصابع يديه ورجليه . ولكن جيرانهم يسمونهم « شبشا » . وفي تقاليدهم انهم مدينون بارتقائهم الاجتماعي والسياسي الى كائن خرافي اسمه « بوتشيكا » وسط بين الالهة والبشر جاء من الشرق قديماً فعلمهم كل شيء ثم صار كبير الهتهم فعبدوه باحترام وضحوا له الناس . وفي جملة ما اكتسبوه منه صناعة المعادن الثمينة حتى فاقوا بها سائر الهنود . ويقال انهم كانوا يصنعون من المعادن الثمينة صفائح في متاحف اوربا امثلة منها . وهناك اشكال اخرى من المصنوعات كان الموسكا يقدمونها

الى الههم . وهي كثيرة عندهم اكثرها تمثل القوى الطبيعية. وكانوا يؤلهون كل شيء لاقل سبب — فاذا سمع احدهم صوتاً خارجاً من غابة او جبل اعتقد وجود الروح هناك فيقيم مزاراً على اسمه فتكاثرت تلك المعبودات . وعندهم ان العالم قائم على كتفي رجل عظيم اسمه شبشيكوم اذا تعب من حمله نقله من كتف الى كتف فتحدث الزلازل ـ وليس هذا الاعتقاد خاصاً بهؤلاء

وكان لهم ملكان يتنازعان السيادة فاغتنم الاسبان تنازعهما واستولوا عليهما سنة ١٥٣٧ ثم عثروا على الالدرادو « رجل الذهب » وهو احد المتنازعين كان من عاداته اذا حان احتفال الامة بعيد عمومي غطى بدنه بصفائح الذهب وغطس في بحيرة هناك ثم يخرج ويخلف الذهب في البركة تقدمة لكبير الالهة . ولما مات حنطوا جثته ووضعوها في جذع نخله ثم حنطوا الجذع وكسوا الميت والنخلة بصفائح الذهب المرصعة بالزمرد ـ هذا ما نقلوه عن الالدرادو ولم يسمع عنه شيء بعد فتح الاسبان كولمبيا

البيرويون والايماريون

Peruvians & Aymaras

وفي جنوبي كولمبيا امتان هما « الكونشوا » و « الايمارا » وتسميان معاً « البيرويين » نسبة الى بيرو وهم تحت سيطرة « الانكاس » Incas وبلادهم تمتد من كويتو في الايكوادور نحو ٢٥٠٠ ميل من خط الاستواء جنوباً الى « ريو مولي » في شيلي . وعرضها ٤٠٠ ميل بين الاوقيانوس المحيط وجبال كورديلراس . وهي تشتمل على قسم من الاكوادور وكل بلاد البيرو وبعض بوليفيا وشيلي وارجنتين . ومساحتها بوجه التقريب ١٠٠٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها نحو ١٠٠٠٠٠٠٠ نفس

ولكل من هاتين الامتين تمدن خاص بها . كانت علاقاتهما قديمة لكنها مبهمة لانهما تعاصرتا وتجاورتا دهراً طويلاً حول بحيرة « تيتيكاكا » (بين البيرو وبوليفيا) وعندهم تقاليد عن اصولهم ومناقبهم لا محل لها هنا . وفي تياهواناكو جنوبي البحيرة المذكورة بقايا بنائية هائلة من اثار الايمارا . منها بناء مربع لا تجد مثل احجاره الا في مصر وبعلبك . وبينها قطع ضخمة بعضها منحوت وبعضها غير منحوت . والابنية المشار اليها قائمة على ١٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر لم يتم بناؤها . والايمارا مع ذلك لم يكن عندهم من الادوات الا الصوانية وهذا من جملة مدهشات ذلك التمدن القديم

واما النظام الاجتماعي او السياسي عندهم فهو من قبيل الحكم الثيوقراطي

والاحترام فيه موجه الى « الانكاس » اشد تلك الامم بطشاً . فكانوا يقدمون لهم العبادة فضلاً عن الطاعة باعتبار انهم من سلالة الشمس والمتأمل في نوع حكومتهم يرى انها مزيج من الدين والجندية والاجتماع

ولغة « الانكاس » لم يصلنا منها الا ما صار الى لسان الكويشوان يتكلمه ٢٠٠٠٠٠٠ نفس . وهو الوسيلة الكبرى للمخابرة بين الوطنيين في الاكوادور وجبال بيرو وفي بعض بلاد الامازون . وهي مثل سائر اللغات الهندية من حيث تركيب الالفاظ . ويختلف التلفظ ببعض حروفها حسب الاقاليم . ليس لها كتابة لكن فيها اداباً سماعية راقية دونت بعد الفتح سنة ١٦٠٧ وطبعت مراراً . وفي جملتها ما يشبه الدرام - منها رواية « اولنتاي » واغان

ش ١٠٥ : امرأة من البيرو

وقصص واشعار مدح وغيرها . ومن ادابهم الخاصة بهم طريقة الحساب عندهم وذلك انهم يستخدمون خيطاناً مختلفة الالوان يعقدونها عقداً يدلون باشكالها واقدارها وعددها على ما يريدون تدوينه من الارقام او الاخبار . فهي كالسجلات الرسمية عند حكوماتنا

وكانوا يحنطون موتاهم ويجمعون جثث العائلة الواحدة في ضريح واحد وقد اكتشفوا عدداً عظيماً من هذه الجثث في مدافن انكون وغيرها . ووجدوا مع الجثث ادوات متقنة من الخزف والانسجة في غاية الاتقان . وطريقة التزيين راقية تدل على ارتقاء الاذواق . وهذا الارتقاء ظاهر في زخارف هياكلهم وقصورهم وقلاعهم بما يفوق صناعة « المايا » وكان عندهم طرق للري والسدود . وقد بنوا الجسور المعلقة وغيرها من الاعمال الهندسية المتقنة . ومدّوا الطرق التجارية المنتظمة في طول المملكة وعرضها

وبالجملة فان البيرويين والماياويين ارقى هنود اميركا ذوقاً واقواهم عقلا

كالشاكوي

Calchaqui

وقف الناقبون في شمالي ارجنتين على بقايا تمدن غير مرتبط بتمدن البيرويين يرجع الى امة انقرضت الان تعرف بامة « الكالشاكوي » كانت تمتد من بوليفيا الى مندوزا وتجتمع بالاكثر في ما هو الان ولايات كاتاماركا وتوكومان وسلتا . سطا عليهم الانكاس واخضعوهم سنة ١٤٥٠ فاندمج تمدنهم في تمدن البيرويين . ولكن ما خلفوه من المدافن والاسوار والحصون وغيرها تدل على اتساع سلطانهم وعلى ارتقاء ومهارة في ذوقهم . ظهر من هذه الاثار ان الكالشاكوي كانوا يضغطون رؤوسهم بالصناعة حتى صارت جماجمهم اقصر الجماجم المعروفة في العالم ووجدوا في جملة الانقاض كثيراً من الادوات الخشبية وغيرها تدل على استقلال فنون هذه الامة عن فنون البيرويين

التوبيغواراني والكاريب والارواك والبوتوكودو

Tupi - Guarani , Carib, Arawak & Botocudos

وهناك امم هندية لم تختلط بالاسبان او البورتغاليين بعد . اشهرها التوبيغواراني والكاريب والارواك في جنوبي اميركا واحط منها في سلم المدنية « البوتوكودو » في شرقي البرازيل بل هم من احط الامم . اسمهم مشتق من البوتوك « سداد البرميل » لانهم يعلقون بشفاههم صفيحة مستديرة من الخشب تشبه غطاء البراميل (ش ١٠٤) فضلاً عن سعة آذانهم . وكل ادواتهم وآنيتهم مصنوعة من الخشب او الياف الشجر حتى يصح ان يقال انهم لم يدركوا العصر الحجري بعد . والنساء عندهم عرضة لاشد العذاب والاحتقار . يقيمون في اكواخ من الاغصان لا تعلو اكثر من اربعة اقدام . يطوفون عراة في الاحراج يقتاتون من الجذور والعسل والضفادع والافاعي وما يصطادونه من الحيوان اوالانسان . والانسان اشرف المأكولات عندهم يطبخونه في حلل ضخمة من القصب الفارسي ويصنعون من اسنانه عقوداً يعلقونها في اعناقهم . ولا يقتصر اكلهم لحوم الادميين على قتلى اعدائهم بل قد يأكلون رفاقهم من القبيلة . ويلتهمون كل الاعضاء الا الرؤوس فيغرسونها على اعمدة علامة للظفر يزينون بها منازلهم . وهم ينسبون الاعمال الخيرية الى النهار او الشمس والشرور الى الليل او القمر وهو عندهم علة الصواعق . وفي اثناء الانواء يطلقون الاسهم في الجو يطردون بها



ش ١٠٦ : رجلان من امة الكاريب

الابالسة والتنانين كما يفعل بعض اهل الهند الصينية . لكنهم لا يعرفون الها خالقاً وانما الاله عندهم روح او شيطان

البامبا والكوشو

Pampa & Gaucho

ان اكتساح الامم الافرنجية لتلك القارة ذهب بكثير من اهلها القدماء في الارجنتين وحولها وانما بقيت طائفة من القبائل يجمعها اسم « البامبا » وقد قاوموا الاسبان لما جاؤهم على أثر الاكتشاف وطالت مقاومتهم الى سنة ١٨٧٩ ولهم في ذلك اعمال ترتعد لها الابدان من الغزو والسلب . حتى القوا الرعب في قلوب اولئك المتمدنين الذين جاؤا ليسلبوهم بلادهم

ومثل ذلك يقال عن الكوشو وهم مولدون من البيض والهنود اي الاباء بيض والامهات هنديات ومنهم جماعة لا يزالون على فطرتهم وفيهم خشونة

البتاغونيون

Patagonians

هم امة هندية غريبة الاطوار تقيم في ريو نيغرو ومنها جنوباً الى تيارا دالفوغو وكانت هناك من اجيال عديدة . وقد سماهم ماجلان « بتاغون » اي « القدم الكبيرة »

مع ان اقدامهم صغيرة ولكن هذا الرحالة توهم كبرها فيهم لانهم يلفونها بجلود واسعة فوق نعالهم وهم طوال القامة كبار الهامة لايزيدهم طولاً الا البورورو في البرازيل . عراض المناكب ضخام العضل . عيونهم صغيرة وانوفهم قصيرة ووجوههم مستديرة او بيضية شعورهم سوداء ملامحهم لطيفة ونساؤهم طويلات جداً يكتسون بجلد الكواناكوا



ش ١٠٧ : عائلة بتاغونية

ولما ساح داروين العالم الطبيعي سياحته الكبرى لاثبات مذهبه المشهور لقي هؤلاء القوم وخاطبهم . ثم درس الملازم موستر طباعهم وعاشرهم زمناً طويلاً وشاهد غزواتهم للصيد او السطو . ليسو قوم حرب وانما كثر النزاع بينهم وخصوصاً على الشراب ولكنهم سالموا حكومة الارجنتين دهراً طويلاً وخضعوا لها من عشرات السنين . ولا يزالون على عاداتهم واخلاقهم وعباداتهم . فهم يتمنطقون بمناطق يعلقون بها الجلاجل ويلونون جلودهم بالحمرة او الزرقة للزينة واتقاء البرد وفراراً من البعوض . يسمون انفسهم مسيحيين ولا يزالون متمسكين بخرافاتهم وعباداتهم ويتقلدون التعاويذ للارواح الشريرة . وعندهم ضرب من السحرة او العرافين يشبه الشامان عند اهل الشمال يزعمون انهم يفسرون كل غامض ويحلون كل رمز . وعندهم اعتقاد قديم ان الارواح الشريرة تظهر باجسام نساء عجائز ولذلك جاز لكل منهم ان يقتل العجوز اذا وقفت في طريقه ولولا بعض

العجائز من العرافات لقضي عليهن جميعاً . ومن عاداتهم الغريبة ان الحماة والصهر يتجنب كل منها ان يرى الآخر . واذا تزوج رجل ولم يرزق اولاداً تبنى كلباً واختصه بعدد من الافراس كما يفعل لو كان له غلام . واذا مات الوالد فالقبيلة تعنى بشأن ابنائه ويحافظون على وصية والدهم

والزواج عندهم يتم بين العروسين رأساً بلا وساطة الوالدين ويذبحون افراساً يشربون شيئاً من دمها حال خروجه من الجرح . واذا مات لاحدهم امرأة احرق كل ما له حداداً عليها . ويدفنون الموتى في الكهوف اوتحت رجم من الحجار

الفويجيون

Fuegian

في تيرا دالفوغو بطرف اميركا الجنوبية قوم نزلوهـا من العصر الحجري . ثم توالت عليهم الاحن واخذوا في الانقراض . وتوالى على ذلك البلد ثلاث امم (١) الاوناس في القسم الشرقي وهم فرع من البتاغونيين (٢) اليهقان في الجزائر الوسطى وهم السكان الاصليون على ما يظن (٣) الاكالوف في الغرب يظن انهم بقايا امة دخيلة هناك

وشهد الثقات من اهل الرحلة ان السكان الاصليين يعاملون المرأة معاملة الاماء ولذلك فهم يستكثرون منهن ومن العبيد لتسهيل اسباب العيش . فالرجل لايتزوج اقل من اربع نساء غير الاماء ونظراً لفساد الاقليم وقلة العناية فالوفيات في الاطفال كثيرة جداً . والام تحب ولدها حتى يفطم فتقل محبتها ثم تذهب متى بلغ السابعة . ولا يعرف الفويجيون من ضروب المحبة غير محبة الذات وليس عندهم رباط عائلي صحيح . وشهد آخرون بعكس ذلك تماماً

واليهقان يصح ان يسموا اقزاماً لقصر قاماتهم . معدل طولهم اربعة اقدام وستة قراريط عكس جيرانهم الاوناس . ويختلفون عنهم ايضاً بشكل الراس فانه غير منتظم ولا يناسب ابدانهم والوجه ذو زوايا والجبهة قصيرة ضيقة والعينان سوداوان صغيرتان والانف قصير مضغوط عند جذره ينتهي بمناخر واسعة . والشفتان غليظتان

واتهمهم بعض الباحثين باكل لحوم البشر ثم ظهر انهم بريئون منه . واكثر اكلهم من المحار وذوات الاصداف ويتناولون ما تلفظه البحار من حوت او غيره فيأكلون لحمه ويدفنون العظام في حفرة ينسونها سريعاً . فنسب بعض اهل الرحلة ذلك الى

ضعف القوى العاقلة لان الكلاب اذا خبأت شيئاً لا تنساه . وردَّ اخرون تلك التهمة . ولكنهم متفقون على انحطاطهم في سلم البشرية . على ان لغتهم كثيرة المباني يزيد عدد الفاظها على ٣٠٠٠٠ لفظة

لباسهم الجلود لا يعرفون سواها فيرخونها على الاكتاف ويوجهونها حسب الريح . ولا يظهر عندهم شيء من الاداب المتوارثة كالحكايات او التقاليد وهذا نادر في الامم . ولا يعرفون الهاً عظيماً ولا الهة صغيرة ولا شياطين ومع ذلك فهم يعتقدون بالحياة المستقبلة وانها امتداد هذه الحياة في ارض بعيدة وراء الجبال لكنهم يعرفون الارواح ويذكرونها على الخصوص اذا داهمهم عارض طبيعي غير منتظر فينسبونه الى عمل الروح — كانه دين في اول تكونه . فالفويجيون لذلك احط من البوشمان او لعلهم يساوون التسمانيين . ومن غرائب الاتفاق ان هذه الامم الثلاث يقيم كلها في اقصى الجنوب من القارات الثلاث : افريقيا واميركا واوقيانيا

واصبح الالاكالوف الان قليلين لا يزيد من بقي منهم على مئة وخمسين شخصاً وكانوا امة كبيرة منتشرة في مسافة واسعة على شواطىء مضيق مجلان وكان القدماء يسمونهم بشراي يعيشون على الاسماك والمحار وهم على الاجمال ارقى من اليهقان



الطبقة الرابعة من البشر

القوقاسيون

او الجنس الابيض

احوالهم العامة

مساكنهم الاصلية : في شمالي افريقيا بين البحر المتوسط والسودان

هجرتهم قديماً : الى اوربا والبقاع الاوراسية (اي الاوربية الاسيوية) بين جبال كرباتيا وبامير. واسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وبلاد العرب وما بين النهرين وايران والهند والشمال الشرقي والجنوب الشرقي من اسيا وملايزيا وبولينيزيا

مقرهم الان : في شمالي افريقيا ومعظم اوربا وبعض الجنوب الغربي من اسيا واواسطها . وفي جنوبي افريقيا وبعض سيبريا وايران والهند والهند الصينية ومالايزيا. وفي بولينيزيا واوستراليا وزيلاندا الجديدة وفي اميركا الشمالية والجنوبية

احصاؤهم حسب القارات :

عدد	
٣٥٥ ٠٠٠ ٠٠٠	في اوربا
٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« اسيا (تقريباً)
١١٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« اميركا
٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« افريقيا
١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« اوسترالازيا
٨٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	الجملة (تقريباً)

مجمل خصائصهم البدنية

يقسم القوقاسيون باوربا وما يليها من حيث طبائعهم البدنية الى ثلاثة اقسام :

١ الشماليون او التيوتون : رؤوسهم مستطيلة . فكهم مستقيم مع بروز قليل .

الوجنات صغيرة غير بارزة . الانف كبير ومستقيم . العيون زرقاء او سنجابية طبقتهما الصلبة بيضاء . لون البشرة ابيض او محمر . الشعر طويل سبط او متموج لونه اسمر فاتح او اشقر . اللحى غضة . القامة طويلة معدلها من ٥ اقدام وثمانية قراريط الى ستة اقدام

٢ القوقاسيون المتوسطون او الالبينيون : الراس قصير . الفك والانف كما تقدم في الشماليين . العيون سمراء او بندقية . لون البشرة ابيض باهت ويندر فيه الاحمرار . الشعر اسمر او كستنائي او اسود يغلب فيه القصر مع سباطة او تموج . اللحى قصيرة . القامة متوسطها ٥ اقدام وستة قراريط

٣ الجنوبيون او حول البحر المتوسط : الراس طويل . الفك والوجنات كما تقدم . العيون يغلب فيها السواد والاشراق . الشعر اسود متموج او جعدي . اللون اصفر زيتوني او اسمر . ولا يكون احمر قط . القامة من خمسة اقدام و ٤ قراريط الى ٥ اقدام وستة وقراريط

خصائصهم العقلية

الشماليون يغلب فيهم الهدوء ورباطة الجأش مع التأني وقوة العزيمة والثبات والاقدام على الاعمال الكبرى . واما المتوسطون والجنوبيون فتغلب فيهم الحدة والتقلب مع الذكاء وسرعة الخاطر . والاندفاع والتسرع مع قلة الثبات . وفيهم ميل الى التظاهر اكثر مما الى القيام بالواجب

ويشترك القوقاسيون على الاجمال بسمو الادراك وقوة التصور — ولذلك فهم اكثر سائر الطبقات اشتغالاً بالعلم والصناعة والادب والشعر . وقد ارتقت هذه الفنون عندهم اكثر مما عند سائر الطبقات من اقدم ازمنة التاريخ الى الان . ومنهم اصحاب المدنيات القديمة او واضعو اساسها . ولا سيما المدنيات المصرية والفينيقية والاشورية والفارسية والهندية واليونانية والرومانية والعربية وغيرها

لغاتهم وادبانهم

وهم يتكلمون لغات مختلفة كلها راقية : فمن اللغات الآرية التي تكلمها القوقاسيون السنسكريتية والزندية والفارسية والارمنية واليونانية والسلافية والليثوانية واللاتينية والتيوتونية والقلتية ومعظم لغات اوربا الحديثة . ومن اللغات السامية العربية والحميرية والحبشية والاشورية والسريانية والفينيقية والعبرانية فضلاً عن اللغات الحامية وغيرها

اما اديانهم فالغالب فيهم النصرانية في اوربا ومستعمراتها وفي اميركا . والاسلام في اواسط اسيا وسيبريا وتركيا وبلاد العرب وشمالي افريقيا وغربيها وايران والهند وملايزيا والصين وفي اماكن اخرى من اسيا وافريقيا . والبرهمية في الهند . واليهودية في انحاء مختلفة . على انهم تدينوا قديماً بكثير من الاديان الوثنية ومنهم اليوم جماعات يدينون بالزردشتية والبوذية وغيرهما

طبقاتهم

ويقسم القوقاسيون الى اربع طبقات كبرى قد اصطلحوا على تسميتها كما يأتي :

١ الحاميون : ومنهم المصريون والبجة والعفار او الدناقيل . والصومال والغالا والماساي والتركانا والواهوما في شمالي افريقيا . وخصوصاً بين النيل والبحر الاحمر . والبربر والطوارق والتيبو في الصحراء وبلاد المغرب



ش ١٠٨ : الجمال الشركسي في النساء

٢ الساميون : اشهرهم العرب والاحباش والسوريون واليهود

٣ الآريون : وفيهم الهنود والفرس والافغان والاكراد والارمن والشركس

والكابارد واللسغيان والشيشنز وغيرهم في اسيا واكثر سكان اوربا

٤ البولينيون : في بولينيزيا وهم الماوري والتنقان والتاهيتان والساموان والهوايان والميكرونيان وسنتكلم عن كل من هذه الطبقات لكننا نقدم الكلام في مهد القوقاسيين

مهد القوقاسيين

في شمالي افريقيا

لما اخذ الانسان في الهجرة من مهده الاول في جزائر الهند الشرقية في العصر البليوسيني الثاني او البليستوسيني الاول لم يكن اسهل عليه من النزوح الى شمالي افريقيا بين البحر المتوسط والسودان . اما البلد الذي تكيف فيه حتى صار بشكله القوقاسي فقد اختلف الباحثون في تعيينه لكنه لا يخرج عن البقعة المتقدم ذكرها من افريقيا وهي تشتمل على اكثر الاسباب اللازمة لذلك التكييف . ولم تكن الصحراء الكبرى يومئذ بحراً كما يظنون بل كانت ارضاً خصبة فيها الحيوان والنبات وسائر ما يحتاج اليه الانسان من اسباب الحياة . وكان بينها وبين اوربا صلات برّية من عدة مواضع سيأتي ذكرها . والغالب ان اقليم القسم الشمالي من افريقيا كان في ذلك العهد في غاية الاعتدال واوربا اذ ذاك شديدة البرد يكسوها الجليد اعواماً متوالية

فكانت هذه الصحراء المحرقة اليوم سهولاً خصبة تجري فيها الانهر الكبيرة . وبعض هذه الانهر لا تزال آثارها باقية الى الآن مثل نهر « ماساروا » كان يجري جنوباً الى النيجر . ونهر « يغرغر » كان يجري شمالاً الى البحر المتوسط . وكانت الحيوانات تسرح في تلك الارجاء والارض مكسوة بالاشجار والاعشاب

اما الطرق البرية الموصلة بين افريقيا واوربا في ذلك العصر فاهمها برزخ كان بين مراكش وجبل طارق . واخر بين تونس ومالطة فصقلية فايطاليا . واخر بين برقة على بحر ايجة الى بلاد اليونان . وعلى هذه البرازخ عبرت دبابات افريقيا الى اوربا في ذلك العهد القديم كفرس البحر (الهيبوبوتاموس) ووحيد القرن (رينوسروس) والضبع والمموث والفيل والانواع الافريقية من النمر والاسد . حتى اصبحت اوربا مسرحاً لحيوانات افريقيا . وكذلك الانسان القديم فقد وجدوا من بقاياه ومخلفاته في كهوف اسبانيا وفرنسا وبريطانيا واواسط اوربا مثل الذي وجدوه منها في شمالي افريقيا (المغرب ومصر وبلاد الصومال) . واستدل دي مورغن من ذلك ان الانسان المتمدن ظهر في مصر منذ الاف من السنين . واما الانسان القديم فانه فيها منذ مئات الالوف .

وليس في العالم بلد اسبق الى استخدام الادوات الحجرية من تونس . فقد وجدوا فيها من تلك الادوات تحت طبقة كثيفة من الحجر الكلسي البليستوسيني رسبت من مجار مائية لم يبق لها أثر . ولذلك فالانسان في بلاد المغرب قديم جداً يرجع الى عصر لم يدركه التاريخ ولا الخرافات الميثولوجية

الابنية الافريقية والاورافريقية

على ان توالي الجليد في اوربا شوش مجاري الاحوال البشرية فيها وحال دون ارتقائها . لكنها ظلت في افريقيا جارية بلا مانع فانتقل الانسان فيها من العصر الحجري القديم الى الحديث في مئات الالوف من السنين فتكيفت ملامحه وارتقت



ش ١٠٩ : جمجمة نياندرتال

قواه . ويظهر ذلك الارتقاء بمقابلة جمجمة نياندرتال (صفحة ١٥) من بقايا العصر الحجري القديم بجمجمة الانسان في العصر الحجري الحديث مما يظهر في ملامح الاوربيين حتى الآن . ويدل ذلك على ان اوربا عمرها قوم من اهل العصر الحجري الحديث نزحوا اليها من شمالي افريقيا كما يظهر من آثارهم في سكان غربي اوربا . ويؤيد ذلك ما يشاهد على شواطىء البحر المتوسط الجنوبية من مراكش الى طرابلس الغرب من الابنية الحجرية القديمة المشابهة لامثالها في ايبريا (اسبانيا) وغاليا (فرنسا) وبريطانيا — اي ان تلك الابنية بناها شعب واحد في القارتين قبل زمن التاريخ

على ان تلك الآثار البنائية اكثر عدداً في افريقيا مما في سائر البلاد . فقد

وجدوا منها هناك نحو عشرة آلاف بناء مختلفة الاشكال والاقدار تشبه ما في اوربا من تلك الآثار مما يطول وصفه . فتحققوا بذلك وامثاله ان الانسان بعد ان ارتقى في شمالي افريقيا حتى صار قوقاسياً انتقل بادواته وصناعته الى اوربا فعمرها وخلف أمماً يطلق عليها العلماء اسم « اورافريقان » Eurafrican اي الاوربيون الافريقيون منهم الايبريون والسيلوريون والبكت وغيرهم . انتشروا في اسبانيا الى فرنسا فجزائر بريطانيا فالدنيمارك واسوج . اما الايبريون سكان اسبانيا القدماء فلا تزال ملامحهم



ش ١١٠ : امرأة من الجزائر

ظاهرة في الباسك سكان غربي البيرينة . وقد ظهر الآن ان لغة الباسك غير آرية وفيها مشابهة واضحة للغات الحامية الشائعة عند برابرة المغرب الى الان . لكن بعض اهل البحث من الفرنساويين مع اعترافهم بان اصحاب تلك الآثار البنائية في المغرب هم من نفس العنصر الاوربي يذهبون الى ان الامم القديمة كالبكت الذي عمروا بريطانيا وفرنسا والسيلوريين اهل ويلس قبل القلت لا يزال اصلها مجهولاً . وفي كل حال فقد تقرر الان ان الآثار الحجرية في بريطانيا وغاليا ليست من بناء القلت الاريين الذين نزلوا اوربا عن طريق الدانوب كما سيجيء فان هذه الابنية لا أثر لها في ذلك الطريق . ولكن القلت لما وصلوا اوربا واختلطوا بمن كان فيها قبلهم تولدت سلالات مزيجية



ش ١١١ : ساعي مراكشي

قلدت اسلافها في الابنية المشار اليها . وان هؤلاء الاسلاف نزحوا من افريقيا الى اوربا وليس من اوربا الى افريقيا كما كان يظن بعض العلماء

وعليه فقد اثبت الاستاذ سرجي ان افريقيا هي مهد الشعب القوقاسي الاصلي ومنها نزح شمالاً الى اوربا ولا تزال بقاياه الى الان في جنوبيها ولا سيما في اسبانيا وايطاليا واليونان . ويظن بالاجمال ان نصف سكان اوربا الان اصلهم من الجنس القوقاسي الاورافريقي

طبقات الجنس القوقاسي

باعتبار تقارب لغاته ومواطنه

القوقاسيون امم شتى واكثرها اهل دول وسلطان وتمدن وقد اصطلحوا ان يقسموها باعتبار تقارب لغاتها ومساكنها فضلاً عن الملامح والقوى الى اربع طبقات قد تقدم ذكرها وهي :

١ الحاميون ٢ الساميون ٣ الآريون ٤ البولينيون ولكل منها فروع سيأتي بيانها في ما يلي :

١ – الحاميون

في شمالي افريقيا

انقسم القوقاسيون الاصليون وهم في افريقيا الى فرعين كبيرين : شرقي نزح الى اسيا وعرف بالفرع السامي سيأتي ذكره . وغربي بقي في مكانه وعرف بالفرع الحامي . والاسمان مقتبسان من تعابير التوراة بلا علاقة نسب بينهما . ومن الفرع الحامي عمر شمالي افريقيا – وهو ينقسم الى فرعين :

١ الحاميون الشرقيون : وهم المصريون القدماء وبقاياهم الاقباط . والبجة بين النيل والبحر الاحمر . والدناقيل بين الحبشة وخليج عدن . والصومال والغالا والماساي . والواهوما او وهيمة المنبثون بين البانتو حول خط الاستواء

٢ الحاميون الغربيون : وهم البربر في المغرب المعروفون بالقبائل والشلوح وغيرهم . وبرابرة الصحراء المعروفون بالطوارق والتيبو شرقي بلاد الطوارق والفولا بين قبائل السودان ـ ونتكلم عن كل منهم على حدة

اولاً – الحاميون الشرقيون

المصريون القدماء والاقباط والبجة

المصريون القدماء قوقاسيون اسسوا في وادي النيل اقدم تمدن بعد تمدن البابليين على ما بلغ اليه علم التاريخ . لكنهم انقلوا كاهل الامة بما حملوها من اعباء السخرة في بناء هياكلهم واهرامهم حتى يصح ان يقال في تلك الابنية انها شيدت والصقت احجارها بدماء الناس . ويوءخذ من قراءة آثارهم ان جابي الخراج كان يطوف والعصا بيده لان الفلاح لا يؤدي ما عليه الا قهراً . ومن ادى خراجه بلا ضرب احتقرته النساء

والاقباط خلفاء المصريين القدماء . وهم مشهورون منذ القدم بمقدرتهم في الحساب . وقد تعربوا بعد الاسلام واحتفظوا بنصرانيتهم على مذهب الطبيعة الواحدة لكن ملامحهم لا تزال حتى الآن كثيرة الشبه بملامح المصريين القدماء

اما البجة ومنهم الهدندوة والبشارين والاشراف والعبابدة وغيرهم فيقال انهم قدماء وقد سماهم هيرودوتس ماكروبي (Macrobii) . وهم بدو رحل يطوفون الجبال يحرسون القوافل او يقطعون السابلة من قديم الزمان الى الان . وكثيراً ما استخدمهم الانكليز في حروبهم السودانية الاخيرة . وهم لطاف الشكل ملامحهم



ش ١١٢ : تمثال شيخ البلد وهو مثال المتحضر المصري في ايام الفراعنة

اوربية لونهم برونزي بلون الشكولاته الفاتح . شعورهم جعدة طويلة يقضون اكثر ساعات الفراغ في اصلاحها وتصفيفها ويفتقر ذلك الى مهارة ودقة في تجعيد كل جديلة على حدة بحيث تتناسب الجدائل طولاً وثخانة حسب وضعها . ويدهنونها بدهن الضان ويعطرونها بمساحيق ملونة كقوس قزح وهم يفاخرون جيرانهم بهذه « التوالت »

الدناقيل والصومال والغالا والماساي

Danakil, Somals, Gallas & Masai

واقرب جيران البجة الدناقيل (ش ١١٤) يقيمون بينهم وبين الصومال والغالا في الجنوب وكلاهما من الجنس القوقاسي الاطيف . ولعل ملامح بعض هذه الامم الحامية

قد خالطها شيء من الدم العربي او الزنجي . شعورهم لا تكون صوفية قط لكنهم يجدلونها كما يفعل البجة (ش ١١٣) وقد يرسلون الجدائل بلا تجعيد . الانف مستقيم اعقف قليلاً الجبهة مستديرة العيون كبرة نوعاً مع غور قليل وهم قوقاسيون رغم سواد بشرتهم



ش ١١٣ : رجل صومالي

والغالا اكثر عدداً من سائر الشعوب الحامية الان . ويعدُّهم اهل البحث ارقى عقلا وادباً من الصوماليين والدناقيل . ونسب اليهم بعض الباحثين ديناً توحيديا تخالطه الخرافات . اما الخرافات فلا ريب في وجودها واما التوحيد فيحتاج وجوده الى اثبات . وقد انتشر الاسلام والنصرانية بينهم تغشاهما خرافات الارواح والميثولوجيا وعبادة الاشجار والحيوانات والارواح . ويقال بالاجمال ان عبادتهم مزيج من الاسلام والنصرانية والوثنية

وكذلك الماساي لكن عبادتهم ارقى قليلاً . وهم بدو يتنقلون في الجبال المنبسطة بين بحيرة فيكتوريا نيانزا ووادي الرفت العظيم . ويخالط معتقداتهم اسماء بعض آباء التوراة كقايين وهابيل وابراهيم لعلهم اقتبسوها من جيرانهم الاحباش . وهم مزيج من الدم الحامي والزنجي كانت لهم وطأة شديدة على جيرانهم البانتو الى عهد غير بعيد . نعني سنة ١٨٩١ اذ سطوا على جبال كنيا فاحرقوها وذبحوا من كان فيها من الرجال

والنساء وجمعوا الاطفال في اكواخ اضرموا النار فيها وساقوا الماشية . لكن الانكليز وضعوا حدًّا لهذه الفظائع بانشاء حكومة منظمة في افريقيا الشرقية

ثانياً — الحاميون الغربيون او البربر

البربر او الحاميون الغربيون قسمان رئيسيان : (١) القبائل وغيرها واكثرهم يتعاطون الزراعة في بلاد المغرب (٢) الطوارق في الصحراء واكثرهم بادية رعاة غزاة يجتمعون قبائل متحالفة مثل بني مزاب والازيار والحجّار والكلوي وغيرهم . والطوارق يمتازون باللثام يتقون به الرمال التي تسفيها الرياح وقد اصبح عادة دينية لا ينزعونه ويعدون نزعه عاراً وبدعة (ش ١١٥)



ش ١٤ ١ : رجل من الدناقيل

وطوارق الصحراء حاميون بحت . اما القبائل فقد امتزجوا بالعرب وغيرهم . على ان سكان المدن منهم مزيج من السامية والحامية ولم يعد التفريق بينهما ممكناً . وهذا المزج يكثر بين قبائل مزاب واولاد نائل وغيرهما في حدود الصحراء . والشكل القوقاسي الاصلي يظهر في وجوه اهل طنجة والجزائر وتونس اكثر من ظهوره في الاوربيين

والبربري يميل الى التحضر وله عناية في الزراعة والصناعة . وقد برع البرابرة في

صنع الطرايش والبرانس والجلود التي تعرف بالموروكو وبصناعة الخزف على اشكال تشبه ما كان اسلافهم يصنعونه في العصر الحجري الحديث



ش ١١٥ : الطوارق على جمالهم

ويعتقد الطوارق ان تحت الصحراء طوائف من ارواح شريرة تتسلى باذى المارة من المسافرين فتقبض على خفاف جمالهم وتجذبها نحوها فتغوص الخفاف في الرمال . واذا عطش المسافر ودنا من بئر او نبع سبقته تلك الارواح الى الماء فشربته . وانها تظهر على وجه الارض متنكرة باشكال مختلفة لتخدع الاحياء . وبالجملة فكل ما لا يعرفون سببه ينسبونه الى عوامل غير منظورة كالجان ونحوها

التيبو والفزانيون

Tibus & Fezzanese

ووراء بلاد الطوارق شرقاً بقعة تقطعها جبال تيبستي تقيم فيها امة حامية اسمها « تيبو » هم بقايا القارمنتية القدماء (Garamantes) وكانوا وثنيين واسلموا في القرن الثامن عشر . لكن بعضهم لا يزالون على عاداتهم الوثنية والبعض الاخر باقون على عبادة الههم القديم « عيدو » يقدمون له القرابين وعندهم التعاويذ يعلقونها على ابدانهم يستشفون بها

والفزانيون اقاربهم وقد اختلطوا بالعرب ولهم اعتقاد شديد بكهنة يقال لهم « مارابوت » لهم نفوذ في فزان اكثر مما في سائر المغرب . وهم ضرب من العرافين او السحرة يستخدمونهم لطرد الشياطين او كف اذى الجن . وفي تمبكتو عرافون يسمونهم سانتون هم ضرب من « الشامان » يعزفون بالموسيقى حتى يصابوا بغيبوبة

يجتمعون في اثنائها بارواح الاموات من الاولياء فيتلقون منهم الاوامر عن نوع الحيوان الذي ينبغي تضحيته ليشفى العليل . ويغلب ان تصدر الاوامر حسب استطاعة ذلك المريض . فيامر بذبح دجاجة او غزال او نعامة وتفرق لحوم الذبيحة على اصدقاء السانتون !

٢ – الساميون

في غربي اسيا وشرقي افريقيا

هم الفرع الشرقي من القوقاسيين الاصليين قطعوا البحر الاحمر الى جزيرة العرب والغالب انهم وجدوا تلك الجزيرة خالية . اذ لم يظهر حتى الان ان الانسان سكنها في عصره الحجري القديم . فيكون النازحون اليها من شمالي افريقيا هم سكانها الاصليون اقاموا فيها دهراً فأثر فيهم الاقليم والبيئة وتكيفوا حتى صاروا على الشكل المعروف بالسامي ومنه تفرعت الشعوب السامية . وعلى هذا المذهب يبني بعض العلماء رأيهم في كون بلاد العرب مهد الامم السامية . وهو قول يفتقر في نظرنا الى اثبات لان النازحين من مواطنهم انما ينزحون في طلب المرعى او العيش فهم لذلك يطلبون الانهار والاودية الخصبة . فالاقرب الى العقل ان النازحين من افريقيا طلبوا سهول سوريا وما بين النهرين اولاً وتكيفوا هناك والاسهل عليهم العبور اليها ببرزخ السويس



ش ١١٦ : ملك الحبش يستعرض جنده

لكن اصحاب الراي الاول يقولون ان من بلاد العرب تفرق الساميون في غربي اسيا قبل زمن التاريخ . وعاد بعضهم الى افريقيا وهم الاحباش وغيرهم . وكان الساميون في اول عهدهم بادية – يستدل على ذلك بلفظ « آلو » البابلية معناها « مدينة » واصل معناها « خيمة » ويقولون « انا ذاهب الى الخيمة » بدلاً من قولنا « انا ذاهب الى البيت » وعلى كل حال فان الساميين ما لبثوا ان صاروا اُمماً واستقروا في جزيرة العرب وما بين النهرين واسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والحبشة وقسموا بهذا الاعتبار الى ما يأتي :

١ عرب الجنوب : وهم الحميريون والصابئة والاحباش ولغاتهم قديمة وكتابتهم بالحرف المسند

٢ عرب الشمال : او عرب الحجاز وتسميهم التوراة الاسماعيليين وهم الذين قاموا بالاسلام ونشروا لغتهم في اقطار الارض



ش ١١٧ : ملك اشوري

٣ الاشوريون : كانوا يقيمون قديماً في بابل نحو سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد ثم امتدوا على دجلة الى وراء نينوي . كانوا يتكلمون لغة سامية يكتبونها بالحرف المسماري طبعاً على القراميد . وقد انقرضت هذه الامة في القرن السادس قبل الميلاد

٤ الاراميون والاموريون : في ما بين النهرين وسوريا وبعض فلسطين وارمينيا واسيا الصغرى وشمالي فارس الغربي . وهم متوسطون بين الاشوريين والكنعانيين . يتكلمون لغة سريانية او كلدانية انقرضت من سوريا ولا تزال شائعة عند النساطرة في كردستان وعند بحيرة اورمية . وهي اللغة التي كان اليهود يتفاهمون بها في اثناء سبيهم وقد كتب بها بعض سفر دانيال والتلمود وتكلمها السيد المسيح

٥ الكنعانيون : ومنهم الاسرائيليون او اليهود والموابيون والفلسطينيون والفينيقيون والقرطاجيون وغيرهم . لغاتهم متشابهة احداها محفوظة في اسفار العهد القديم هي العبرانية . وعثروا على آثار منقوشة بلغة اخرى في فينيقية وقرطاجة هي اللغة الفينيقة



ش ١١٨ : عرب اليمن

واللغات السامية من اصبر اللغات على طوارق الحدثان قلما أثر الزمان في جوهرها لفظاً او تركيباً . فالفرق بين الاشورية القديمة واللغة العربية (وبينهما نيف وثلاثة آلاف سنة) اقلُّ من الفرق بين اللغة الانكليزية واصلها الجرماني القديم او القوطي وبينهما اقل من نحو ثلث هذه المدة . وقد ذكرنا خصائص اللغات السامية في المقدمات التمهيدية من هذا الكتاب . واللغة الحميرية ذهبت من بلاد اليمن لكنها باقية في لغة الغيز

وفروعها في تيغرا وامحرا وشوا . اما سائر اللغات السامية فقد تغلبت عليها العربية بعد الاسلام وحلت محلها — وهاك اشهر الامم السامية :



ش ١١٩ : عربي من نجد

العرب

هم الغالبون اليوم من الامم السامية وقد حفظوا الملامح الاصلية خالصة . وهي قوقاسية بحتة تمتاز بانتظامها ووضوحها . الوجه بيضي الشكل والراس مستطيل والانف اعقف غالباً وكبير مضغوط عند جذره . الذقن حادٌّ والجبين مستوٍ قليل الارتفاع . والعيون سوداء لوزية الشكل والشعر اسود فاحم لامع . واللحى غضة غالباً والبشرة بيضاء مصفرة تكتسب لون البرونز بالتعرض للشمس . القامة اقصر من المعدل العام



ش ١٢٠ : عربي مصري مسلم (مصطفى كامل)

باوربا اي من خمسة اقدام و٤ قراريط الى ٥ و٥ قراريط . والطبقة الراقية منهم لا تقل عن ارقى امم اوربا من كل وجه

وللعرب مناقب اشتهروا بها من زمن الجاهلية هي التي اعانتهم على نشر سلطانهم ومدنيتهم بعد الاسلام . اهمها الوفاء والكرم والجوار والشجاعة والاريحية والنجدة واباء الضيم واستقلال الفكر وعلو الهمة ونحوهـا من مناقب البادية فضلاً عن الذكاء وصفاء الذهن . فلما استبحر عمرانهم وانغمسوا في الترف واللهو تنوعت تلك المناقب بينهم . وتقلبت عليهم احوال تختلف باختلاف الاعصر لا محل لذكرها . ويقال بالاجمال ان انتشار العرب واللغة العربية بعد الاسلام ولد امماً عربية جديدة . فبعد ان كان العرب محصورين تقريباً في جزيرة العرب صار اهل العراق والشام ومصر وبلاد المغرب والسودان عرباً . فهم يدخلون في حكم ما تقدم من حيث الملامح والمناقب الا ما يختص به كل اقليم من احوال البيئة اوتأثير الامة الاخرى التي امتزج العرب بها . لكنهم على الاجمال اهل ذكاء حاد وخيال واسع وخاطر سريع



واذا قابلنا بين القوى العاقلة في الساميين على الاجمال والاريين (سكان اروبا) رايناها في الساميين اقل تفنناً او تنوعاً لكنها اكثر قوة وتأثيراً . ويعللون ذلك ببقاء الساميين ادهاراً في وسط قلما يتغير فيه شيء من المناظر الطبيعية او الظواهر الجوية . ولذلك فالساميون قلما اشتغلوا بالفلسفة ولكنهم وضعوا اشهر اديان العالم وخلفوا آثاراً شعرية وقواعد ادبية اخلاقية راقية . وبعبارة اخرى ان الآريين من اخص طبائعهم التوسع والتقدم . واما الساميون فانهم ميالون الى التجمع والبقاء على حال واحدة



امم سوريا

تعرب السوريون بعد الفتح الاسلامي في سوريا وفلسطين ودان اكثرهم بالدين الاسلامي وصاروا عرباً فحكمهم حكم سائر العرب المولدين . الا ما ورثوه عن

ش ١٢١ : عربيان دمشقيان في القرن الماضي

اسلافهم الفينيقيين من الهمة والنشاط والاقدام على التجارة والاسفار . وفي سوريا امم قديمة لا تزال مستقلة بادياتها وعاداتها من عهد بعيد كالموارنة في لبنان فانهم من اثبت الطوائف في طقوسهم لا يزالون يستخدمون اللغة السريانية في الصلوات . ولهم آداب متوارثة . ومثلهم السريان والكلدان فان لهم آداباً باقية اكثرها ديني . ومن الطوائف الخاصة بسوريا الدروز في لبنان وحوران والنصيرية والمتاولة وهم شيعة . والسوريون اليوم نتيجة امتزاج قديم من امم شتى



ش١٢٢ : سوري لبناني ماروني في اواسط القرن الماضي (يوسف بك كرم)

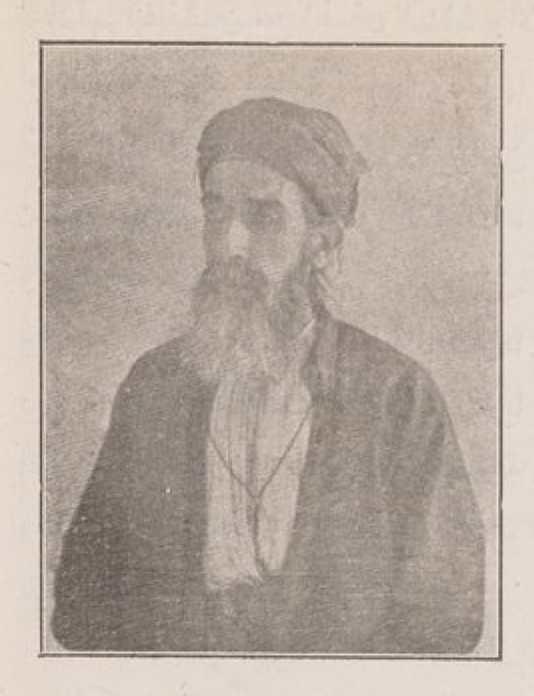
اليهود

اكثر اليهود المقيمين في فلسطين تسلسلوا من اليهود بعد سقوط اورشليم في القرن الاول للميلاد غير ما انضم اليهم بعد ذلك من جالية الاسبان في القرن الخامس عشر وجالية الروس وغيرهم . فاختلفت ظواهرهم البدنية وتولد فيهم جنس اشقر احمر ينسبونه الى امتزاج قديم مع الاموريين (اي الحمر) . وقال بعض الباحثين ان في اليهود اليوم كل الالوان والاشكال من الابيض والاسمر والاسود الطويل والقصير بحيث ضاع العنصر الاسرائيلي وبقيت الطائفة اليهودية . على ان فيهم ملامح مشتركة اهمها الانف الكبير الاعقف والعينان البارزتان اللامعتان . ولهم بروز تحت الذقن . شعرهم خشن جعد — تلك هي خصائصهم العامة . ومنهم طائفة في بلاد المغرب وفلسطين تمتاز بالجمال وقد ذهبت تلك الخصائص منها

ويعرف اليهود بميلهم الى التقلب في احوالهم الاجتماعية . كانوا بادية من زمن الاسرائيليين فصاروا مزارعين في عهد الكنعانيين . ثم نبغوا في الشعر والادب والذكاء في الفلسفة والموسيقى وفي السياسة والاقتصاد . وكان لهم شأن في نهضة اللغة العربية بأثناء التمدن الاسلامي . واضطروا الى هجرة اخرى في الاجيال الاخيرة من روسيا ورومانيا فتفرقوا في الارض وانشأوا لانفسهم المنازل والمتاجر والمصانع في انحاء العالم



ش ١٢٣ : حاخام رباني



ش ١٢٤ : حاخام سامري

المتمدن وغير المتمدن . وقد حاول الانكليز تحويل هجرتهم الى شرقي افريقيا الوسطى

ويقدر اليهود المتفرقون في الارض الى سنة ١٩٠٧ بنحو ٠٠٠ ٥٠٠ ٩ نفس منهم ٠٠٠ ٥٠٠ ٨ في اوربا و ٠٠٠ ٥٠٠ في افريقيا و ٠٠٠ ٣٥٠ في اسيا والباقي في اميركا

النور او الغجر

اختلف علماء الانسان في اصل هذه الطائفة من البشر . وهم على الاجمال جيل من رعاع الناس دابهم التطواف في الارض ومنهم جماعات كبيرة في اسيا واوربا وافريقيا وعيشهم غالباً بالسرقة والتكدي وابصار البخت وصنع المناخل والغرابيل . ولهم اسماء شتى حسب البلاد التي يقيمون بها . فاسمهم في سوريا « نَوَر » وفي مصر « غجر » وفي بلاد فارس وتركستان « زنجاري » وفي روسيا « زيجاني » وفي المانيا « زيجونر » وفي اسبانيا « جيتانوس » وفي ايطاليا « زنجاني » والجيم كلها تلفظ كافاً فارسية . ويظهر ان كل هذه الاسماء تنوعات اصل واحد ربما كان « زنكالي » ويسمون انفسهم به احياناً وهو لفظ هندي قديم ومعناه « سود الهند » او السندوهم بالحقيقة سمر الوجوه . ولكن لهم اسماً عمومياً يعرفون به في اوربا وهو « جبسي » وربما دعوا بهذا الاسم ظناً بانهم مصريون بناء على دعواهم وسمرة الوانهم

ولكن جماعة كبيرة من علماء اوربا بحثوا في اصلهم ومقامهم والفوا فيهم كتباً

عديدة احسنها ما الفه جورج بورو المتوفى سنة ١٨٨١ فقد خالط النوَر وآخاهم ودرس لغتهم وسائر احوالهم والف بضعة كتب فيهم . منها كتاب اسمه « الزنكالي » نشره سنة ١٨٤١ وآخر اسمه « التوراة في اسبانيا » وقاموس جامع للغة النور وغيرها .
ويؤخذ من ابحاث هذا العالم ان اصل هؤلاء القوم من شمالي بلاد الهند يتكلمون لغة واحدة تشبه في اصولها وتركيبها لغة الهنود القديمة (السنسكريتية) . وفيها كثير من الالفاظ الهندية القديمة وهم يسمونها ويسمون جنسهم « رماني » ومعنى « رم » في لغتهم ورماني طائفة الازواج . وقد هاجر النوَر من الهند الى اوربا في اوائل القرن الثاني عشر للميلاد

اما دياناتهم فغير معروفة لكنهم يتظاهرون بديانة القوم الذين يقيمون بينهم ويجرون بعض الطقوس الدينية لموتاهم فينقطعون عن الطعام والشراب والتدخين مدة اكراماً للميت ويحرقون كل ثيابه ويكسرون آنيته

وقد ترجمت التوراة الى لسانهم واسم الجلالة عندهم « ديوُول » ويظن انه مشتق من « ديووس » وهي « دياس » باللغة السنسكريتية ومعناها اليوم . ويحتفلون بزواجهم احتفالاً غريباً . وهم كثيرو الغيرة على نسائهم ويفاخرون بعفتهن . وبين النور علامات سرية يتعارفون بها فيما بينهم

٣ — الآريون

اصلهم واقسامهم

قد تقدم ان اوربا عمرها قديماً قومٌ قوقاسيون نزحوا اليها من شمالي افريقيا في أثناء العصر الحجري ومعهم انواع من حيواناتها . ويسميهم العلماء « اورافريقيين » (Eurafrican) اي الاوربيين الافريقيين . فلم يكد يستقر المقام بهم في اوربا حتى توافدت عليهم امم اخرى قوقاسية جاءتهم من الشرق نعني الآريين نزحوا الى اوربا من السهول الاوراسية (Eurasian) اي الاوربية الاسيوية . توالى نزوحهم والاورافريقيون يتدرجون في اقتباس عاداتهم وآدابهم ولغاتهم . فلم ينقض العصر الحجري الحديث حتى اندمجوا فيهم وصاروا امماً آرية تتكلم السنة آرية ويتناقلون آداباً آرية نحو ما وصل الينا من احوالهم . وقد تم ذلك قبل زمن التاريخ في احوال لا يمكن تعيينها .
واختلف العلماء في من هم الآريون الاصليون وكيف انتقلوا من شمالي افريقيا

مهد القوقاسيين الى شمالي اسيا وتكيفوا حتى صاروا آريين . ولم يصل البحث الى نتيجة ثابتة . ويكفي في هذا المقام ان نوافق شرادر في قوله « ان الآريين نزحوا الى اوربا مراراً متوالية بينها مسافات بعيدة جاؤها من البقاع الاوراسية بين مرتفعات بامير وكرباتيا . وقد اكتسحوا اوربا كلها الا ايبريا (اسبانيا) ونشروا لغتهم وادابهم في الشعب الاورافريقي . ثم اختلطوا بهم بتوالي الاجيال فتكونت منهم الامم الاوربية الحاضرة »

وتقسم الامم الآرية من اقدم ازمانها الى مجاميع لكل امة منها لغة خاصة حملتها معها من موطنها الاصلي . لكن الاحوال السياسية والاختلاطات الاجتماعية نوعتها واقتضت تبادل بعض اللغات فصارت الى غير اهلها . فاصبح المجري وهو من المغول يتكلم لغة آرية قوقاسية وبالعكس . فقلت اهمية اللغة من حيث الدلالة على الاصل . وترى امثال ذلك جارياً بيننا الى هذا العهد فبين المتكلمين بالعربية بمصر الاقباط وفي الشام السريان وهم غير العرب . ويتكلم التركية في آسيا الصغرى جماعة اصلهم من اليونان وقس عليه . لكنهم قسموا امم اوربا الى اقسام حسب اللغات مع اعتبار الاصول على هذه الصورة

تقسم الشعوب الآرية الى فرعين كبيرين : الاوربيين والاسيويين . والآريون الاوربيون يقسمون حسب اصولهم الى ست فرق كبرى :

١ القلت : اشهرهم الايرلنديون والايرسي والغاليون والويلش والبريطان . في بوهيميا وبريطانيا وهلفتسيا وغاليا

٢ الايطاليان الاصليون : وهم اللاتين والاوسكان والاومبريان . في ايطاليا وصقلية وسردينيا وكورسيكا

٣ الهيلينيون : وهم الايوليون والدوريون واليونيون والايبريون . في بلاد اليونان والبانيا والبريا ويونيا

٤ التيوتون : وهم القوط والجرمان السفليون والعلويون والدتش والنورس والانكليز والالزاس والنمسا والسويس . في المانيا وهولندا واسكنديناڤيا وانكلترا

٥ السلاف : وهم الروسيون والبولنديون والبوهيميون والسرب والكروات والبلغار . في روسيا وبولندا وبوهيميا والبلقان

٦ ليتو ليتوان : وهم الليت والليثوان في كورلاند وليفونيا وكوفنو

اما الاريون الاسيويون فانهم في فارس والهند وغيرها وسياتي الكلام عليهم

كلام عام

في الامم الآرية

تلك هي الامم الآرية التي استقرت في اوربا قبل زمن التاريخ . ثم نزح اليها في زمن التاريخ امم من الجنس المغولي في ازمنة مختلفة . اهمها ما حدث على اثر سقوط المملكة الرومانية الغربية في اوائل القرن الخامس للميلاد . اذ اخذ المغول بالنزوح من اسيا الى اوربا . اشهرهم في ذلك العهد أتيلا ورجاله الهونيون وجاء بعدهم الاوار والمجر والبلغار وغيرهم من القبائل الاغروفينية من بلاد الاورال وفولغا . ثم سطا على اوربا بعض القبائل الفينية التركية بقيادة خلفاء جنكيز خان الى الفولغا . ثم حمل الاتراك العثمانيون على شبه جزيرة البلقان . فاوشك شرقي اوربا ان يصير مستعمرة مغولية لو لم تزحف عليهم قبائل السلاف من روسيا وبلاد القوقاس وتركستان الغربية وسبيريا

وازداد انتشار الامم الآرية بعد اكتشاف اميركا وغيرها فنزح اهل غربي اوربا الى العالم الجديد فعمروا اميركا الشمالية والجنوبية واوستراليا وتسمانيا وزيلاندا الجديدة . وشمالي افريقيا وجنوبيها وغيرها . ويبلغ ذلك نحو ثلثي القسم المعمور من الكرة الارضية — فلا خوف عليهم من الجنس المغولي المعبر عنه بالخطر الاصفر لان الآريين اقوى مادة واوسع سلطاناً فيبعد ان يتغلب المغول عليهم

خصائصهم على اختلاف اقاليمهم

فالاوربيون اليوم يغلب فيهم الدم الآري واللغات الآرية . ولذلك فهم يعدون آريين . ونظراً لاختلاف اصولهم اختلفت مظاهرهم وهي ترجع باعتبار الاقاليم الى ثلاث طبقات تقدم ذكرها وشيء من طبائعها صفحة ٢١٨ واليك تتمة ذلك وتفصيله :

١ الشماليون : هم طوال القامة طوال الرؤوس بيض البشرة زرق العيون وهم التيوتون او الجرمان . ويدخل تحتهم القوط والفاندال واللومبارد والدنيمارك والنورس والسكسون مع ما طرأ عليهم من التنويع . ولا يزال الجنس الاصلي موجوداً في اسكنديناڤيا بشمالي المانيا . ومنهم طائفة في انكلترا يسحرون الناس بشعورهم الذهبية وعيونهم الزرقاء وخدودهم الوردية . لما سيق هؤلاء الانجلوسكسون عبيداً الى سوق الرقيق برومية ووقع بصر البابا غريغوريوس العظيم عليهم فقال « لو كان هؤلاء مسيحيين لكانوا Angels (ملائكة) وليس Angles (انكليز) »

٢ المتوسطون : اهل المنطقة الوسطى من اوربا وهم متوسطو القامة مستديرو

الرؤوس في شعورهم سمرة وعيونهم شهلاء او بندقية. معدَّل طولهم خمسة اقدام وستة قراريط . وهم الذين يسميهم الكتاب الفرنساويون « القلت » او « القلت السلاف » ويسميهم غيرهم « البينيين » والمظنون ان بقاياهم اليوم في سويسرا . ومنهم جانب من السلاف

٣ الجنوبيون : اهل شواطىء المتوسط وهم طوال الرؤوس لونهم في الغالب اسمر او زيتوني . قصار القامة متوسطها خمسة اقدام و٤ قراريط . سود العيون مع اشراق ولمعان . ملامحهم لطيفة متناسبة وفيها ذكاء . وهم بقايا القوقاسيين الاصليين النازحين الى اوربا من افريقيا (الاورافريقيين) بعد ان امتزجوا بمن نزح اليهم من الاريين . واكثرهم الان في اسبانيا وايطاليا وجنوبي فرنسا وفي كورسكا وسردينيا وصقلية واليونان . وبعض الكتاب يسمونهم ايبريين وسيلوريين او بكتيين وقد يسمونهم امم البحر المتوسط . وقال آخرون انهم نفس الايبريين والليجوريين والبلاسجة سكان اسبانيا وايطاليا واليونان القدماء

قلنا ان اوربا عمرها اولاً قوقاسيو افريقيا . فاذا صح ذلك اقتضى ان نجد دليلا يؤيده في ما تخلف عنهم من العادات والاخلاق رغم ما خالطها من الاداب والعادات الارية المحمولة من اسيا . والمتأمل يجد كثيراً من العادات والاعتقادات الباقية في اوربا الى الان بعضها اسيوي الاصل والبعض الاخر افريقي . بينها خرافات شائعة في عامة انكلترا والمانيا وفرنسا تجد امثالها في سنار او المغرب مما لا يتسع المقام لتفصيله — ولنعد الى طبائع امم اوربا حسب ترتيبها

اولاً — القلت

Kelts

يغلب على الظن انهم اقدم الامم الارية التي هاجرت من اسيا الى اوربا . ولذلك فهم يقيمون على حدودها في اقصى الغرب على شواطىء الاتلانتيكي . وقد انقسموا من اقدم ازمانهم الى فرعين يمتاز كل منها بحرف من احرف الهجاء غلب في لغته . احدهما يمتاز بالحرف Q (ق) والثاني بالحرف P (ب) فيقال للاول القلت Q وللثاني القلت (P) ومعنى ذلك ان قلت Q يغلب في لغتهم هذا الحرف ويبدل في الاخرى بالحرف P مثال ذلك ان الراس عند القلت (ق) Ken (كن) وعند الاخر Ben او Pen « بن » . وقس عليه لفظ « ماك » (ابن) في الاول هو « ماب » في الثانية



ش ١٢٥ : كاهن درويدي من كهنة القلت

والقلت (ق) نزلوا اوربا اولاً ثم لحق بهم القلت (ب) في نفس الطريق التي اتى بها اولئك على الدانوب الى الالب فايطاليا وفي اواسط اوربا وغربيها الى جزائر بريطانيا . ويظهر ان القلت (ب) لم يصلوا الى ايرلاندا وهي مقرّ القلت (ق) . على ان القلت حيثما وجدوا اختلطوا بالامم الاورافريقية التي كانت قبلهم هناك . فتألف من ذلك الاختلاط الشعب القلتي الايبري او القلتي البكتي الذي عمر بريطانيا قديماً وهو قاعدة الشعوب البريطانية . وكان للقلت ديانة وثنية يعرف كهانها باسم درويد

القلت (ق)

Q-Kelts

ان القلت (ق) حلوا محل الايبريين في ايرلندا ثم خلفهم الانكليز فيها او اندمجوا بالانكليز . وفي سنة ١٩٠١ كان لسانهم لا يزال شائعاً يتفاهم به نحو ٦٤٠ ٠٠٠ نفس في الغرب بين كري ودونيغال . ولذلك فمجموع الامة يصح ان يسموا انكليز ايرلنديين بدلاً من قلت ايبريين . ورغم ما توالى من الاحن على الايرلنديين ما زالوا ممتازين بطبائعهم البدنية والعقلية عن الانكليز . فهم في الغالب كبار القامة كالجبابرة متناسبو الاطراف اقوياء العضل ولهم مميزات اخرى هامة . والمرأة الايرلندية حتى الوسطى جميلة التكوين تفوق جارتها الانجلوسكسونية كثيراً . ورغم ما اصابهم من الضغط والذل فالشجاعة لاتزال غالبة في طباعهم وكرم الاخلاق مع العصبية الايرلندية . وفيهم ميل شديد الى الادب ورثوه عن اسلافهم مع فصاحة وعارضة وحجة قوية ويظهر ذلك جلياً في صحفهم وعلى منابرهم

والجبليون من هؤلاء القلت (ق) هم الاسكوتلنديون . وقد اختلطوا بالبكتيين ثم بالانكليز واكتسبوا لغتهم ولم يبق منهم الى سنة ١٩٠١ الا ٢٣٠ ٠٠٠ نفس يتكلمون اللغة الاصلية . وفيهم كثير من الفضائل الانسانية كالبسالة والوفاء وانكار الذات في نصرة اهل عصبيتهم . وكانوا في اقدم ازمانهم غزاة رعاة . ونبغ فيهم جماعة من انصار الدين مثل كلفن ونوكس وغيرهما

القلت (ب)

P- Kelts

اكثرهم في ويلس ويختلفون عن اولئك بدناً وعقلاً . والسبب في ذلك اختلاط هؤلاء بالسيلوريين وهم الايبريون الذين عمروا ويلس قديماً . ويمتازون بالتحمس الشديد لعلهم ورثوه في الاصل من اسلافهم القدماء في شمالي افريقيا . ويظهر ذلك فيهم اذا صحبت احداً منهم فانه يفاخرك باجداده واذا جادلته اصيب بنوبة عصبية . وهو ذو قريحة شعرية وموسيقية راقية . ولهم لسان يتفاهمون به يعرف باللسان الكِمري يتكلمه نحو ٩٣٠ ٠٠٠ نفس منهم على الاقل

والبريطانيون الاصليون اخوان الويلش (اهل ويلس) يتكلمون لغة القلت (ب) وهم اهل حماسة واحلام وخرافات . صفر الالوان سود العيون او شهلها . سود الشعر



ش ١٢٦ : جون نوكس المصلح الاسكوتلاندي

ضخام الجمجمة . والبريطاني الاصلي كالبربري من قبائل شمالي افريقيا ثابت عنيد مثله . وله غنة في الصوت مثل غنته . وهم تنوعات كثيرة متنافرة يتخاصمون ويتشاتمون . قال ميشليت « البريطانيون لا يشبهون الفرنساويين كثيراً ولكنهم يشبهون الغاليين » وهؤلاء ايضاً من القلت (ب) وفي تعاليمهم الدينية المسيحية كثير من بقايا الوثنية القديمة . يحترمون بعض الاشجار احتراماً دينيا ويجرون كثيراً من الطقوس الوثنية القديمة



ش ١٢٧ : بريطاني اصلي وامرأته

ثانياً — الايطاليون الاصليون

Itali

بينهم وبين القلت القدماء تقارب كلي او هم اقرب نسباً اليهم من غيرهم . جاؤا ايطاليا واختلطوا بالاورافريقيين هناك وهم الليجوريون ثم الاتروسكان الذين كانوا يقيمون في توسكانا . وينقسم الايطاليون الاصليون الى ثلاثة اقسام رئيسية قديمة :

١ الاومبريان في الشمال في مايعرف الان باميليا واومبريا
٢ اللاتين في الوسط (لاتيوم)
٣ الاوسكان في الجنوب (نابولي وصقلية) وكان كل من هذه الامم يتفاهم بفرع



ش ١٢٨ : الشكل الروماني (بومبيوس)

من الايطالية الاصلية . فلما قامت الدولة الرومانية وتسلطت على سائر ايطاليا كانت لغتها اللاتينية فتغلبت على سواها وظلت وحدها . ولا تزال فروعها باقية الى الان في ايطاليا واسبانيا والبورتغال ولغة الاوق في جنوبي فرنسا ولغة الاويل في شماليها . واللغة الرومانية في رومانيا والوالون في البلجيك والرومانش اواللادين والفودوا في سويسرا

فاصبح نحو نصف الاوربيين لاتيني اللغة مع بقائهم على خصائصهم الاصلية بدناً وعقلاً . على ان اللاتينية لم تتمكن كثيراً في بريطانيا لان الرومان لما فتحوها كانت اكثر اقامتهم في الحصون دون المدن كما كان يفعل العرب عند اوائل الفتوح الاسلامية . ثم شغل الرومان عن انكلترا بنزول البرابرة عليهم من الشمال وتفرعت الدولة الرومانية الى دول او شعوب عرفت بالشعوب اللاتينية لكل منها طبائع خاصة وهي :

الشعوب اللاتينية

١ — الفرنساويون

اشهر الشعوب اللاتينية او الامم التي غيرها التمدن الروماني اربع : الفرنساويون والاسبان والبورتغال والايطاليان . واهمهم سياسيًا واجتماعيًا الفرنساويون ولا سيما في القرون الثلاثة الاخيرة . وسبب هذا الامتياز تقهقر الاسبان بعد تحطيم عمارتهم سنة ١٥٨٨ الى فشلهم في تكوين وحدتهم سنة ١٨٧٠ وانضمام المقاطعات الفرنسوية الى مملكة واحدة في القرن الخامس عشر



ش ١٢٩ : امثلة من الشعوب الفرنساوية وازيائها

فالغاليون سكان فرنسا القدماء قوم من القلت (ب) كما تقدم فلما دانوا للرومان اقتبسوا لغتهم اللاتينية وادابها ثم اندمج الفاتحون بالسكان الاصليين وصاروا يعرفون بالغاليين الرومانيين . ودخل في ذلك الاندماج ايضاً عناصر اخرى قديمة . منهم الايبريون في اكيتانيا وبكتونيا ووسكونيا . وكانوا قد اختلطوا بالقلت (ب) قبل الفتح الروماني . ومنهم بطون من التيوتون وا كثرهم من الفرانك والبورغند لم يتجاوزوا السين من الشمال الا قليلاً وبورغنديا من الشرق . واما الفندال والوسيقوط وغيرهم فقد قطعوا جبال البيرينة الى ايبريا (اسبانيا) . فالبورغند لم يبق منهم الا اسم بورغنديا . واما الفرنك فبهم سميت فرنسا . ومع ذلك فالشعب الفرنساوي لم يصر جرمانيًا (تيوتونيًا) بل بقي غاليًا رومانيًا ولا يزالون كذلك الى الان . وهم

فريقان لا يزال بينهما فروق مع توالي الاجيال احدهما يتفاهم بلغة الاويل (اللغة الفرنساوية) يقيم في شمالي فرنسا واواسطها وهو اكثر عدداً وارقى مدنية . والاخر في الجنوب يتكلم لغة الاوق وهو محصور في لنكيدوك



ش ١٣٠ : الشكل الفرنساوي العصري (جول سيمون)

وهذان الفريقان يختلفان بطبائعهم البدنية والعقلية . فالشماليون طوال القامة بيض الالوان زرق العيون او شهلها . سمر الشعر او بيضه . اما الجنوبيون فهم قصار القامة زيتونيو اللون سود العيون والشعر . وكلاهما طوال الرؤوس . على ان المشابهة بينهما اخذت تتقارب في المدن اكثر مما في الارياف . فسكان باريس وليون وبوردو ومرسيليا يتشابهون اكثر من اهل القرى والبلاد القديمة . ومن شاء ان يرى الفرق بين امم فرنسا القديمة فعليه بالبحث عنهم في تلك القرى

واذا نظرنا الى الشعب الفرنساوي على اجماله وجدناه وسطاً في اخلاقه ومناقبه بين سكان الشمال وسكان الجنوب لانه اقل ثباتاً من التيوتوني واكثر اقداماً من الايطالي

واقل استقلالاً في شخصته من البريطاني واكثر تسرعاً منه . وفيهم ميل الى الظواهر اكثر مما الى الحقائق . لكنهم اخذوا بالجنوح الى الحقيقة . وهم من الجهة الاخري ممتازون بسلامة الذوق في الامور الفنية المبنية على الشعور وآداب السلوك . وقواهم العقلية ارقى من الوسط كما يظهر من ثمار قرائحهم ونتاج عقولهم في ما خلفوه من الاداب والعلوم وما بلغت اليه لغتهم من التهذيب والارتقاء حتى قاربت الكمال من حيث ضبط التعبير . ويمتازون ايضاً باقتدارهم على الحديث وكل ما يتعلق بالاداب العمومية بين الجماعات . وتمتاز فرنسا بكثرة من ظهر فيها من رجال الادب والشعر الفلسفي . وكثر فيها المؤلفون في الكيمياء والفلك والرياضيات . على ان التربية الفرنساوية على اجمالها اقل تأثيراً في ترقية اخلاق الامة من التربية الانكليزية . لكن الفلاح الفرنساوي كثير الصبر على العمل كثير الاقتصاد . وبعكس ذلك اغنياء المدن فانهم من اكثر الناس بذخاً واسرافاً

فالفلاحون الفرنساويون واقرانهم من رجال التجارة والصناعة استطاعوا باقتصادهم وحكمتهم ان يجعلوا فرنسا من اغني ممالك الارض . وهم من اقدر الامم على مقاومة الرزايا . اضف الى ذلك روحهم العسكرية وحب الفتح فلا تستغرب ما كان لهم من المواقف الهامة في أهم حوادث التاريخ الحديث وما ترتب على ذلك من تقدم الجنس البشري

٢ — الاسبان

ان اسبانيا من اكثر البلاد تعرضاً لاختلاط الامم . فقد جاءها الاورافريقيون قديماً من شمالي افريقيا في اثناء العصور الحجرية . ثم جاء الايبريون من شمالي افريقيا ايضاً وسميت البلاد بهم « ايبريا » وهاجر جماعات منهم في العصر الحجري الحديث شمالاً الى غاليا وبريطانيا واسكندينافيا . وقبل انقضاء ذلك العصر جاء « القلت » من غاليا فقطعوا جبال البيرينة وحالفوا الاسبان . ثم اتحدوا معهم وعرفوا بالقاتيين الايبريين . ثم جاء الفينيقيون واقرباؤهم القرطاجيون فبنوا قرطاجنة وقادس ومدناً اخرى على الشواطئ . واستخرجوا الفضة والنحاس من المناجم في الجنوب . وتمكن القرطاجيون من مد سلطانهم على قسم كبير من قلب تلك البلاد . ثم جاء الرومان فاستولوا عليها وسموها اسبانيا

واندمج الايبريون في الرومانيين كما اندمج الغاليون قبلهم . وصاروا جزءاً منهم لغة وادباً الا « الباسك » فانهم لا يزالون على لغتهم وآدابهم القديمة حتى الان في غربي جبال البيرينة . ولما سقطت الدولة الرومانية الغربية وفد على اسبانيا طوائف من

رابرة الشمال فاكتسحوها ومنهم الويسيقوط او قوط الغرب فانشأوا فيها دولة واسعة تغلبت فيها اللغة اللاتينية . والفاندال اقاموا مدة في بقعة عرفت باسمهم «واندالوسيا» (الاندلس) ونزحوا منها الى شمالي افريقيا . ثم جاءها العرب والبربر من افريقيا بعد الاسلام واعانهم اليهود في فتحها بالقرن الثامن للميلاد وانشأوا دولة الاندلس العربية التي انقضت في القرن الخامس عشر للميلاد



ش ١٣١ : فلاح اسباني وفلاحة

فبعد هذه الاختلاطات لا غرابة في ما نراه من الاختلاف في اهل اسبانيا من حيث الظواهر البدنية اوالقوى العقلية . وانما الغرابة ان يجمع هذه الامم اسم واحد (الاسبان) وفيهم القشتاليون طوال القامة والاندلسيون خفاف الاحلام والكتاليون النشيطون والجلالقة المتوسطون بين البورتغاليين والفرنساويين . ولهم مع ذلك صفات مشتركة تدل على وحدتهم الاسبانية

يغلب في الاسباني القصر لكنه قوي العضل خفيف الحركة سريع العدو صبور على التعب . وقد اشتهر بهذه الخصال . واما من حيث قواه الادبية فانه قليل الاهتمام بالامور الاعتيادية والملذات البيتية لكنه ذو عزم وبسالة وثبات يدافع عن غرضه بكل قواه الى آخر نسمة من حياته . ظل الاسبان سبعة قرون يحاربون العرب لاسترجاع بلادهم لا يكلّون ولا يملون . وفعلوا نحو ذلك في محاربة الاروكان بجنوبي اميركا حاربوهم

نحو ٢٠٠ سنة . وناهيك بحربهم الاستقلالية ضد نابوليون فقد شهد العالم كله انهم كانوا في اقصى ما يمكن من التعلق بالوطنية . نعم ان الاسباني يحب المفاخرة بالاجداد لكن مفاخرته مبنية غالباً على اساس صحيح . وفيه مناقب متناقضة فقد جمع بين المباهاة والدعة والغطرسة والرقة . اذا جلس الاسبان للاحاديث التافهة اطالوا الكلام وتفاصحوا اما في الامور الجدية فيكتفون بالكلام القايل . وهذا التناقض في مناقبهم يظهر مظهر الضعف فيهم لمن لا يعرفهم وهم انفسهم يسمونها الخصال الاسبانية . وقد درس العلماء هذه المتناقضات في اخلاقهم وآدابهم للتطبيق بينها . والاسبان يعتقدون بالقضاء والقدر كانهم ورثوا ذلك الاعتقاد من حكامهم المسلمين

وقد انتابهم بعد تغلبهم على المسلمين امران هامان : الاول انهم اخرجوا المسلمين واليهود من بلادهم فخسروا بذلك عاملين كبيرين (العقل والمال) . والثاني انهم اشتغلوا باستعمار العالم الجديد فكان ذلك بلية عليهم لضياع اهل النشاط والهمة في سبيله . وكانت اسبانيا يومئذ قليلة السكان يضرُّها مهاجرة عدد كبير من اهلها . على ان الاموال التي ارسلوها الى بلادهم من اميركا زادت على ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ جنيه في قرنين كاملين . لكنها اضرت اكثر مما افادت لانها صرفت القوم الى الرخاء فتقاعدوا عن العمل فآل ذلك الى تسرُّب الضعف بسرعة لم يسمع بمثلها فصاروا الى ما تصير اليه الامم في دور الانحطاط من الاهتمام بالقشور دون اللباب . واصبح همهم نيل الالقاب فتكاثرت عندهم مثل تكاثرها عند العثمانيين في اواخر القرن الماضي . وتكاثر الشرفاء فيها الى ما يفوق الحد مما لامثيل له في مملكة اخرى من ممالك اوربا

٣ — البورتغال

وكان للبورتغاليين عصرٌ ذهبيٌّ ايضاً . ولهم فضلان لا ينازعهم فيهما منازع : (١) اكتشاف راس الرجاء الصالح (٢) الدوران حول الكرة الارضية يوم كانوا سلاطين الاوقيانوس الهندي . وامتدت املاكهم في جنوبي اميركا من الاتلانتيكي الى جبال كورديلارا . لكنهم تألموا من احتلال الاسبان بلادهم في القرن السابع عشر احتلالاً وقتياً . ولم يذهب أثر التنافر من نفوس الامتين الى اليوم . والبورتغاليون مثل الاسبان مزيج من امم شتى منها العرب والبربر والجليقيون واليهود حتى الزنوج . ولكن هذا الاختلاط لم يتولد عنه جمال او تناسب . فالجمال فيهم قليل ولعلهم اقرب شكلاً الى جيرانهم القشتاليين . ملامحهم غير متناسبة . انوفهم مرتفعة بالتواء شفاههم

غليظة قليلاً وهم قصار القامة . والنساء اقرب الى الجمال لاسيما في الشمال . والبرتغالية اقلُّ جمالاً من الاسبانية لكنها لامعة العينين سوداء الشعر فصيحة اللسان

والبورتغاليون الفلاحون مشهورون باكرام الضيف وملاطفة الغريب . واتهموا في اثناء اكتساحهم العالم الجديد بالقساوة والوحشية وهم ينكرون ذلك . ويتقامرون لكنهم لايتخاصمون . يحبون تصارع الثيران لكنهم يجعلون في اطراف القرون فليناً حتى يقل أذاها



ش ١٣٢ : فاسكو دي غاما الرحالة البورتغالي مكتشف راس الرجاء

وهم اذكياء وان لم تكن قواهم العاقلة من الدرجة السامية . نبغ منهم بعض الخطباء وقليل من المؤرخين . ولهم شاعر وصفي عظيم هو كاموين صاحب اللوسياد . ولم ينبغ فيهم مصور ولا حفار ولم يشتغلوا بالفلسفة الا اذا عددنا سبينوزا منهم وهو يهودي

٤ — الايطاليان الحديثون

كانت ايطاليا مقسومة قديماً الى اربعة اقسام كبرى :

(١) وادي البو (Pô) وما يحيط به من الاودية . بعض سكانه جاؤا في الاصل من شمالي افريقيا ويسمون الليجوريان وبعضهم من السلاف جاؤا من السهول الاوراسية واسمهم « الوند » والبعض الآخر قلت (ب) من غاليا ويظهر ان هولاء كانوا متغلبين

(٢) هترووريا : وما جاورها واهلها الاتروسكان لا يعرف اصلهم



ش ١٣٣ : فلاحة ايطالية

٣ اومبريا وسابينوم ولاتيوم وكمبانيا وسمنيوم مواطن الشعب الايطالي الاصلي ولا سيما الاومبريان واللاتين والاوسكان

٤ ابوليا ولوكانيا وبروتيوم اي المقاطعات الجنوبية ومعها صقلية . كان يسكنها اليابجان والمسابيان وبعض الليجوريان والاوسكان وغيرهم من السكان الاصليين . واكثرهم من جالية شمالي افريقيا . وقد اختلطوا جميعاً باليونان المقيمين هناك قديماً ولذلك عرفت ايطاليا الجنوبية باسم « بلاد الاغريق العظمى » Magna Graeci ،

ومن تلك الطوائف ما لا يعرف اصله تماماً كاليابيجان والمسابيان والاتروسكان . اما الباقون فاكثرهم آريون من القلت والايطاليان والسلاف واليونان . غير الاقوام الذين نزحوا اليها في الاجيال الوسطى من القوط والفندال واللومبارد والنورمان والالبان واليونان بعد سقوط القسطنطينية وكلهم من الاريين . فضلاً عمن خالطهم من العرب والبربر واليهود في اثناء الفتح الاسلامي . لكنهم على الاجمال آريون ولغتهم اللاتينية او بعض فروعها

ومع اختلاف هذه العناصر تجمعها صفات مشتركة يمتاز بها الايطاليان عن اخوانهم الاسبان وغيرهم من امم جنوبي اوربا . لكنهم لا يخلون من المتناقضات . ففي الشمال

العيون زرقاء أو سنجابية والشعر كستنائي او ابيض . والقامة طويلة . ولعل سبب ذلك تغلب الجنس التيوتوني هناك بعد سقوط المملكة الغربية . اما في اواسط ايطاليا وجنوبها فهم سود العيون والشعر صفر الالوان وقد تكون زيتونية . متوسطو القامة او قصارها وفي بلاد الالب الرؤوس مستديرة ثم تستطيل كلما تقدمنا نحو الجنوب الى البحر المتوسط



ش ١٣٤ : رفائيل المصور الايطالي

والغالب عليهم الاداب الرومانية لم يغيرها ما توالى من نزوح برابرة الشمال اليها لان هؤلاء اندمجوا باهلها الاصليين ولم يبق من اثارهم الا بعض الملامح البدنية واسماء بعض البلاد (مثل لومبارديا) . وكانت اللهجات الشائعة في ايطاليا كثيرة تفرعت من اللاتينية واختصت كل مقاطعة بفرع . ومنها تولدت اللغة الايطالية الحديثة على اسلوب من النحت والتحريف جرى مثله في توليد الفروع اللاتينية الاخرى في رومانيا وفرنسا واسبانيا والبورتغال

الصحة العمومية في ايطاليا ضعيفة . وسفح جبل الالب المواجه للومبارديا افسد تلك البلاد هواء لقلة نور الشمس في اودية ذلك الجبل العظيم فيكثر فيه داء الكواتر

(تضخم الغدة الدرقية) واصبح اهل تلك البقعة اقرب الى البله لان معظم النساء في وادي اوستا مصابات بالكواتر ويظن السبب في ذلك مرور المياه على صخور مغنيسية . ومقاطعة كمبانيا تكثر فيها الملاريا . واهل البلاد التي تتخللها الترع تكثر فيها الامراض العفنة . وطعام الفلاحين قليل الغذاء لا يساعدهم على مقاومة هذه العوارض المضعفة ولذلك فاكثرهم يموت بمرض يقال له في اصطلاحهم (بلاغرو) Pellagro وهو داء جلدي لا يعرف الا في البقاع التي يصطنعون فيها من دقيق الذرة ثريداً يسمونه بولنتا هو اهم اطعمتهم . وفي مقاطعة كريمونا ربع السكان مصابون بهـذا الداء . والصحة اردأ من ذلك في البقاع التي يزرعونها ارزاً في ميلان وبولسينا . لان النساء يضطررن هناك للوقوف ساعات في المياه العفنة اللزجة . وكثيراً ما يلتقطن العلق (الدود) الذي يسرح على سوقهن من تلك المياه

ومع ذلك فان وادي البو من اكثر بقاع اوربا سكاناً . ليس فيه ذراع من الارض لم يزرعه سكانها اللومبارديون . ومعظمهم اهل فلاحة ولهم عناية بترتيب حقولهم وهي اشبه بالحدائق منها بالحقول . وتكثر الضربات الزراعية عندهم فيقاومونها بنشاطهم وهمتهم وفي جملتها الطيور الوافدة بكثرة كالسمان والدجاج . وخصوصاً البلابل وغيرها من مفسدات الزرع . وان كانت بنفسها جميلة مغردة فانهم يطاردونها او يصطادونها بالشباك يهلكون منها ملايين في كل عام . فارقى الايطاليان يقيمون في الولايات الوسطى

ويستدل من بقـايا الاتروسكان الصناعية كالاقداح ونحوها بما عليهـا من الرسوم انهم كانوا غريبي الخلقة ضخام الاجسام عراض الاكتاف مقوسي الانوف منخفضي الجبين سمر الالوان طوال الرؤوس جعدي الشعر كثيري النهم .لكنهم كانوا اصحاب ذوق راق في الجمال . وخلائفهم التوسكان اليوم ولا سيما اهل فلورنسا قد ورثوا منهم تلك السليقة الفنية دون صفاتهم الاخرى فانهم ذوو استعداد للفنون مع سرعة الخاطر وسمو الادراك . اما اهـل السهول فانهم ارقى اهل ايطاليا



ش ١٣٥ : دانتي الشاعر الايطالي

خلقاً يعيشون ويدعون سواهم يعيش اخلاقهم دمثة وفيهم بسالة لكنهم يضطربون من رؤية الميت — وهي خلة توارثوها عن اسلافهم الذين كانوا يعتقدون ان روح الميت لا تزال ترف فوق جثته حتى توارى في اللحد

وكان لفلورنسا سبق في اوائل هذا التمدن وكانت مركزاً تنبعث منه الحياة العقلية كما كانت اثينا في زمن بريكليس وسقراط . او بغداد في صدر الدولة العباسية . فاشتغل اهلها في ترقية العلوم والصنائع والاقتصاد السياسي وغيرها من اسباب المدنية بهمة يندر مثلها . ويكفي لأثبات ذلك ان نذكر من مشاهيرها ميشال انجلو وماكيافيلي وغليليو ودانتي ومساكيو وجيوتو وغيرهم كثيرون

وفي جنوبي ايطاليا بقايا من اليونان في بعضهم جمال يوناني في اكمل اشكاله . ولا يزال عندهم كثير من عادات اسلافهم الدينية الوثنية . فهم يرقصون امام الكنيسة كما كان اسلافهم يرقصون امام الهياكل ويتقدم الجنائز نائحات من النساء يجمعن دموعهن في قوارير كما كان يفعل اليونان القدماء . وفي جوار تارنتور يقدم الاطفال شعورهم لارواح اسلافهم . وقس على ذلك كثيراً من الاداب والعادات اليونانية القديمة . فالمرأة لا يزالون يعدونها احط من الرجل وفي بعض البلاد يحتجب النساء في الحرم لا يخرجن الى المراسح او غيرها الا نادراً واذا خرجن خرج في خدمتهن الخدم حفاة الاقدام . على ان النابوليين مع قصر قاماتهم فانهم من اجمل امم اوربا وكذلك الكلابريون واهل جبال موليزو فانهم متناسبو الاعضاء . عيونهم كبيرة سوداء وفي وجوههم سماحة وذكاء

وقد مرّ على الايطاليان اجيال مظلمة . وتعمد ملوكهم البوربون بقاءهم في غياهب الجهالة — قال احدهم فرديناد الثاني صريحاً « انه لا يريد لشعبه ان يفكر » فآل ذلك طبعاً الى انتشار الجهل في الأمة حتى قام غريبالدي فقلب نظام حكومتها في اواخر القرن الماضي فاخذت في التقدم من ذلك الحين . وكانت قبله قد استغرقت في الجهالة والمفاسد وانشئت فيها جمعيات السلب والفتك كجمعية الكربوناري والكامورا والمافيا . وايطاليا مركز المذهب الكاثوليكي ولكل بلد قديس يتشفع اليه اهله او يستخيرونه او يصلون باسمه . وكانوا من اشد الناس اضطهادا للانجيليين وقد قتلوا منهم كثيرين ولولا حكومتهم الدستورية وانتظام شؤونهم بعد الانقلاب لما كفوا عن ذلك

ان كورسيكا تابعة لفرنسا الان لكنها بالحقيقة ايطالية الموقع واهلها مشهورون ببسالتهم وتفانيهم في الدفاع عن اوطانهم . وقد يتفانون ويتهالكون في مطامع صغيرة

ومنافسات على امور ليست ذات بال . وهم ديموقراطيون في مباديهم السياسية . فلما انتشبت الحرب بين فرنسا وجنوا في القرن الثامن عشر جاهر اهلها كافة انهم متساوون في كل شيء ولذلك قال روسو عنها « ان هذه الجزيرة ستدهش العالم » وكان قوله نبوة صادقة لظهور نابوليون بونابرت من ابنائها

ثالثاً — الهيلنيون او اليونان

Hellènes

يقيمون في جنوبي جزيرة البلقان ويظهر انهم نزحوا من وطنهم الآري بعد الايطاليان القدماء فاحتكوا بالتمدن الميكاني الذي كان مركزه في جزيرة كريد . وقد اكتشفه العلماء مؤخراً وقرروا انه يوناني الاصل ارتقى على ايدي البلاسجة النازحين



ش ١٣٦ : فلاحة يونانية

الى هناك من شمالي افريقيا ومعهم كثير من عوامل المدنيتين المصرية والفينيقية . وهم اقدم من نزل بلاد اليونان وقد سماهم هيرودوتس برابرة . لكنهم عند غيره من القدماء امة راقية وسماهم هوميروس « المقدسين »

ونزل اليونان قبل التاريخ في جزائر اليونان واسيا الصغرى وانقسموا الى ثلاث فرق : (١) الايوليون في تساليا واركاديا وبويوتيا (٢) الدوريون في فركايا وارغوس

ولاكونيا (٣) اليونان في اسيا الصغرى واتيكا . ويعتقد اليونان القدماء ان هذه الامم تسلسلت من ثلاثة رجال : ايولوس ودورس ويون وان هؤلاء من نسل ديوكاليون ابن هيلين ومنها اسمهم (الهيلينيون)

اما لفظ اغريق (Greek) فهو اسم قبيلة منهم عرفها الرومان اولاً واحتكوا بها فاطلقوا اسمها على اليونان كافة . كما نسمي نحن اهل اوربا واميركا «افرنج» وهو في الاصل اسم امة (الفرانك) او الفرنساويين وقد عرفها العرب اولاً



ش ١٣٧ : فلاح اسوجي وامرأته

وكان للغة اليونان اربع لهجات او لغات : الايولية والدورية واليونية والاتية لكنها اجتمعت تحت سيطرة المملكة الرومانية الشرقية الى لغة واحدة هي اللغة اليونانية المعروفة . ولآداب اليونان ولغتهم وفلسفتهم فصل مطول في كتابنا التاريخ التمدن الاسلامي (ج ٣)

رابعاً — التيوتون

Teutons

هم من جالية الاوراسيين . ويؤخذ من بعض النصوص التاريخية انهم جعلوا طريقهم من جهة الشمال في نهر فيستولا حتى نزلوا شمالي المانيا . وقد اكد الباحثون

ان موطن الجرمان الاصلي يقع في القسم الجنوبي من اسوج والدنمارك وفي مكلنبورج وبومرانيا منذ العصر الحجري الحديث . وامتدوا شرقاً وجنوباً في العصر البرونزي في طريقين تجارتين لا تزال آثارهم باقية الى الآن . فملأوا نصف اوربا و منهم



ش ١٣٨ : فلاح نروجي

الكمبريون والتيوتون والهرودي والهيرولي القدماء . بدأت هذه المهاجرات قبيل تاريخ الميلاد هاجر البعض جنوباً والبعض الاخر غرباً وهاجر آخرون شرقاً جنوبيًّا . وربما كان بين هؤلاء اهل ثراقية وفريجيا وهما على ما يظن البعض من اصل تيوتوني . وكذلك قبيلة البستارنة التي لها صور على تمثال آدم كايسي في دوبرويا باسافل داسيا عليهم البسة كالسراويل ولحاهم اطرافها محددة — ذلك اقدم ماوصل الينا من صور الشعب التيوتوني . ثم ظهرت رسومهم بعد مئة سنة على عمود تراجان وقوس ماركس اوريليوس . ثم جاء قوط موشو (الصرب والبلغار) وفيهم طبائع التيوتون الاصليين بدناً وعقلاً كما ترى في الامبراطور مكسيمينوس الذي ولد في ثراقة من اب قوطي وقد قالوا في وصفه انه طويل القامة كثيراً قوي العضل جميل الخلقة خفيف الشعر ابيض البشرة معتدل المزاج نشيط . وقبل ان يندمج هؤلاء التيوتون في الشعب البلغاري والسلافي اعتنقوا النصرانية في القرن الرابع للميلاد وترجمت بعض التوراة



ش ١٤٠ : سياسي الماني (بسمارك)



ش ١٣٩ : فلاح الماني

الى لسانهم . ولا يزال نسخة من الترجمة باقية في اوبساليا (اسوج) وهي اقدم ما وصل اليه الباحثون من اداب اللغة التيوتونية وهاك اهم الامم التيوتونية اوالجرمانية:

١ — برابرة الشمال

تغلب المغول قديماً في شرقي اوربا كما تقدم . فلما سقطت المملكة الرومانية الغربية اخذ الفندال والبورغنديون والفرانك والقوط الشرقيون والغربيون وغيرهم من برابرة الشمال يزحون غرباً حتى استقروا في معظم غربي اوربا وكلهم اتخذوا آداب الرومانيين ولغتهم واكتسبوا من الصبغة اللاتينية اكثر مما اكتسبه الاوغروفينيون والمغول التتر من الصبغة السلافية الشرقية . اذ لا يزال في روسيا كثيرون من الفينيين او الاتراك على حالهم . اما في جنوبي اوربا وغربيها فلم يبق أثر للشعوب او اللغات الجرمانية (التيوتون) غير اسماء بعض البلاد مثل فرنسا وبورغنديا ولومبارديا واندلوسيا

٢ — الانجلوسكسون او الانكليز

اما في جزائر بريطانيا فالحال على عكس ذلك لان الآداب الرومانية لم تتمكن من نفوس اهلها فاصطبغوا بصبغة التيوتون لغة وسياسة واجتماعاً على ايدي الانجلوسكسون والجوت والفريزيين في القرن الخامس للميلاد . وذهب الرومان ولم يبق من آثارهم الا اسماء

بعض البلاد منها شستر ودونكستر وونشستر . وما بقي فكله انكليزي مثل اسكس وسسكس ونحوها

فاللغة الانكليزية فرع من اللغة التيوتونية الجرمانية . وانما دخلها الفاظ لاتينية وفرنساوية ممن اختلط باهلها من الامم الاخرى في الاعصر المتوالية . ويظهر ذلك من التأمل بخصائص تلك اللغة . ويتكلم الانكليزية الان نحو ١٤٠٠٠٠٠٠٠ نفس وتختلف لغة اميركا منها عن لغة انكلترا بتعابير لا يعتد بها لانها طفيفة



ش ١٤١ : امرأة هولندية



ش ١٤٢ : نساء الدنيمارك

والانكليز او الشعب الانكليزي اكثر الامم الحية نفوذاً في هذا العصر بالسياسة والاجتماع . وهم اوسع الدول سلطاناً في الارض على المتمدنين وغير المتمدنين . وقولنا « الشعب الانكليزي » يشمل متكلمي اللغة الانكليزية في اميركا وغيرها . واهل الولايات المتحدة يفخرون بانهم من اصل انجلوسكسوني . وعند ذلك فالعنصر الانكليزي سائد في اميركا الشمالية وشمالي المكسيك وجزائر الهند الغربية وبعض اميركا الجنوبية . وفي جنوبي افريقيا من راس الرجاء الصالح (الكاب) الى بحيرة تنجنيقة . وفي شمالي افريقيا من مصر الى خط الاستواء ومعظم السودان الاوسط والغربي وشاطىء الذهب وشاطىء العبيد . وكل اوستراليا تقريباً ومعظم بولينيزيا وميلانيزيا وفيلبين . وجنوبي



ش ١٤٣ : اصناف الشعب الانكليزي

اسيا من حدود سيام الى حدود فارس وكل البحار الكبرى . ويقدر ذلك كله بنحو ربع الكرة الارضية سكانه نحو ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس غير الاماكن التي تغلب عليها النفوذ الانكليزي بصفة غير رسمية في افريقيا وبلاد العرب وشرقي اسيا وغيرها حيث صبحت اشارة القنصل الانكليزي او الاميركي نافذة بلا امر او هي كالامر . وهذا النفوذ آخذ في الاتساع

طبائعهم

اكتسب الانكليز هذه العظمة والسيادة في القرنين الاخيرين بما فطروا عليه من حب الحرية والاستقلال مع رباطة الجأش (او برودة الدم كما يسمونها) وعدم المبالاة بالاخطار وبالتعويل على الحقائق دون الاوهام . يتكلمون قليلا ويفعلون كثيراً . مع ميلهم الى العمل وانشاء المشروعات الكبرى . والرغبة في الاسفار والضرب في الارض للاستعمار . فالغلام الفرنساوي كثير التعلق بوالديه لا يفارقهما حتى يطلب للجندية او امر آخر لا بد منه . اما الانكليزي فلا يبلغ اشده حتى يكون سيد نفسه فاذا لم يرتبط بعمل او مهنة سافر في طلب الرزق

ويظهر الانكليزي لاول وهلة ضعيف التصور بطيء الفهم وهو حكم ظاهري لا يعول عليه ولا يصدق على الامة التي خلقت الشعر الحديث على يد شكسبير امام الشعراء المحدثين . غير من نبغ فيها من العلماء والفلاسفة من فرابر باكن وفرنسيس باكن الى هربرت سبنسر . وفي الميكانيكيات والطبيعيات والكيمياء وسائر العلوم الطبيعية من جلبرت مكتشف مغنطيسية الارض الى نيوتن اكبر علماء الطبيعة فداروين صاحب مذهب النشوء وبريستلي مكتشف الاكسجين . ووطس صاحب الالة البخارية ودافي مكتشف مبادىء الكهربائية الكيماوية . ودالتن صاحب الراي الجوهري وفاراداي الكهربائي ومكسويل الرياضي ولايل الجيولوجي وهارفي وستيفنسن وكلفن واديسن وغيرهم



ش ١٤٤ : السكوتش يرقصون

وفي عامة الشعب الانكليزي خشونة وسذاجة ظاهرتان لكنهما مشفوعتان بانقياد اولئك العامة الى اراء الخاصة فاصبحت تلك السذاجة فضيلة . لان العامة اذا اجتمعوا حول رجل عاقل وعملوا برايه عجلوا ثمار عمله . ولعل ذلك من اهم اسباب نجاح الشعب الانكليزي في السياسة والاجتماع

٣ — السكوتش او الاسكوتلانديون

الاسكوتلاندي اكبر هامة واطول قامة من الانكليزي ولا سيما في الجنوب الغربي واخشن عظاماً واقوى عضلاً واصبر على التعب واثبت عزماً . وهذه المناقب قديمة في

هذا العنصر كما يؤخذ من تاريخ الاسكوتلانديين القدماء فانهم معدودون من ارقى عناصر اوربا الغربية . وقد امتازوا على الخصوص بالشعر والرومان والفلسفة ومنهم « كانت » وهو نصف اسكوتلاندي . والعلم مدين لهذه الامة باختراع اللوغرثمات في الرياضيات . والطب مدين لهم باكتشاف اول المخدرات ولا سيما الكلوروفورم

خامساً وسادساً — السلاف والليثوان

Slavs & Lithuanians

قال هيرودوتس « اذا قطعت (الدون) غرباً صار الاسكثيون وراءك ودخلت بلاد السرماتيين » والراجح عند علماء الانسان ان الاسكثيين من المغول واما السرماتيون فانهم آريون اجداد امم السلاف الحالية . فاذا صح ذلك كانت مواطن السلاف الاصليين في جنوب السهول الاوراسية بين الدون والجبال الكرباتية . وقد هاجروا في العصر الحجري او بعيده باسماء تشبه اسماء قبائلهم اليوم منهم ١ الفينيتي وهم الوند ٢ السلاف ٣ الكرواتيون ٤ السرب وغيرهم غرباً الى اعالي الادرياتيك (البندقية) وامتدوا



ش ١٤٥ : عامة البلغار

من تحت في نهر فيستولا الى شواطىء البلطيك . وما زال نزوح قبائل السلاف متصلاً الى الاجيال الوسطى . وجاء منهم امم كثيرة من ذلك الحين في اواسط اوربا الى بوميرانيا ووراء الالب (Elbe) الى سوابيا . على ان اكثر هذه الامم امتزجت بالتيوتون واصطبغت بصبغتهم الا بعض البولاب (من سلاف الالب) لا يزال منهم

بقية باسم الوند في بروسيا ولوساتيا . والى الشرق من هؤلاء امم السلوفاك لا يزالون في بوهيميا ومورافيا كما فعل البولنديون في بزن وفيستولا وغيرهم في غيرهما

والكرباتيون امة سلافية ومعنى اللفظ « اهل المرتفعات » تفرع منهم امة السرب هاجرت جنوباً الى الدانوب . وفي القرنين السابع والثامن تغلبوا على شبه جزيرة البلقان واليونان وحولوا معظمها الى الصبغة السلافية . لكن سوء معاملة الدولة البيزنتية اجبرت البلغار والالبان وغيرهم من السلاف الجنوبيين على الانسحاب نحو الشمال حيث اقاموا وتوطنوا وهم السرب والدلماتيون واهل الجبل الاسود والبوسنه وكرواتا وسلوفا . وقد يسمون انفسهم الامم السبع يزعمون تسلسلهم من خمسة اخوة واختين يعدونهم اجدادهم الاولين



ش ١٤٦ : رجل وامرأة من البوسنه

والالبان ويعرفون بالارناوط معروفون بشدة البطش والاستعداد الطبيعي بدناً وعقلاً . لكنهم لم يثبت لهم دولة مستقلة وانما ظلوا عرضة للفاتحين والطامعين . والالباني طويل القامة ممتلىء البدن له هيبة تستلفت الانتباه وفيه ميل الى الاعجاب بنفسه (ش ١٤٧)

ومعنى السلاف في لسانهم « الفخر » او « الكلام » لكنها في اللغات الاوربية معناها الرقيق لان الاوربيين كانوا يسترقون السلافيين في الاجيال الوسطى ويبيعونهم بيع الرقيق ومنها لفظ « صقلبي » في العربية

ومن اقارب السلاف امة الليثوان او الليتوليثوان يقيمون الان في الولايات



ش ١٤٧ : علي باشا تبه دلنلي الالباني

الشرقية الشمالية من روسيا وكانوا قبلاً يقيمون في بروسيا وبين البحر البلطيق والبحر الاسود . لغتهم اقدم من السلافية واقرب الى اليونانية والسنسكريتية وهي بالحقيقة اقدم اللغات الارية واقربها الى الاصل الاري

الروسيون

هم امة من السلاف شديدة البطش واللفظ « روس » تحريف « روتس » في الروسية اي اهل الشمال . اشارة الى روريك واتباعه النورسيين الذين تغلبوا هناك في القرن التاسع للميلاد . نزل الروسيون اولاً بين نوفغرود في الشمال و « كيف » في الجنوب وقد نجوا من اكتساح المغول الاتراك والفينيين الذين والوا اكتساحهم سهول اسيا نحو ١٥٠٠ سنة . فلما استقر الروسيون في ذلك المكان اخذوا يوسعون سلطانهم فاتسعت مملكتهم سعة لا يفوقها الا سعة المملكة الانكليزية

فالروسيون الان تمتد سلطتهم من البحر البلطيك الى الاوقيانوس المحيط وقد اندمج فيهم امم شتى من المغول في شرقي اوربا واستقروا في قوقاسيا وسبيريا وفي وادي الامور (عامور) . وعددهم يزيد على مئة مليون ومساحة بلادهم نحو ٩٠٠٠٠٠٠ ميل مربع وقد خاف بعض رجال السياسة الخطر السلافي كما خاف آخرون الخطر الاصفر لكن هذا الخوف خف كثيراً بعد حرب الروس واليابان منذ بضع سنين

والروسيون يتلون الانكليز بعددهم بين الامم المتمدنة وان كان اكثرهم من اهل



ش ١٤٨ : لباس نساء الروس

الفلاحة ـ والفلاح في لسانهم (موجيك) ـ فيحسن درس طبائعه لان عليها يتوقف خوف الاجيال القادمة او اطمئنانها . وقد درس ذلك الدكتور هورد كنارد درساً دقيقاً يؤخذ منه « ان الفلاح الروي الذي يكتسي بجلد الضان أصل لونه اسمر مائل الى الصفرة واصبح الان ماهوجوني (محمر) اللون صقيلاً متجعداً كأن الزمان أثقله بكوارثه . يتمنطق حول خصره بحبل وينتعل برجليه الضخمتين نعالاً كبيرة كالقوارب تشد الى قدميه بالامراس . على راسه قبعة او قاووق من جلد الضان هرمي الشكل يبرز الشعر عند حافته بشكل ضفائر خشنة لحيته صفراء وعيناه باهتتان لا معنى فيهما والانف قصير مضغوط يبرز راسه مستعرضاً

« تلك هي صفات اربعة اخماس القوم الذين يحكمهم القيصر . ولا يرجى تغيرهم لانهم مقيمون في اقليم لا يتغير . لا يسمعون كلاماً جديداً ولا يرون مناظر جديدة ولا يستطيعون ملاحظة ولا نقداً . ميالون الى السذاجة لا يفكرون الا فيما يعرض لهم ويقف في سبيلهم . لكنهم يعملون الاعمال الشاقة ويصبرون عليها وهم لا يعرفون لماذا اوالى اين . لا يسألون ولا يسألون لا يعلمون ولا يريدون ان يعلموا . لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً رؤوسهم منخفضة يحلمون كانهم نيام . وهناك قرى وبلاد كثيرة ليس في واحدة منها من يعرف القراءة او الكتابة »

وقال « ان الفلاح الروسي كسول ضعيف الآداب لا يهمه الا اكتساب مال يكفيه للتمتع بالاكل والشرب والنوم الطويل . فهو اذا لم يكن مشتغلاً بيديه لا يعرف

ماذا يعمل اذ ليس في فكره مايشغله في وقت الراحة فيطلب الرقاد وما اسرع رقاده »

على ان بعض اولئك الفلاحين هاجروا الى سيبريا واشتغلوا بالفلاحة فاحيوا بعض ارضها كما يفعل اهلهم في روسيا. وقد ذكر الرحالة البرنس بورغز الذي سافر



ش ١٤٩ : طولستوي وعائلته

على الاوتوموبيل من باكين الى باريس سنة ١٩٠٧ ان فلاحي سيبريا كرماء يحسنون وفادة النازلين

تلك خصائص الشعب الروسي على فطرته السلافيــة لكن فيهم طبقة راقية في روسيا اوربا نبغ فيهم جماعة من الساسة والقواد والادباء والشعراء والفلاسفة اشهرهم واقربهم عهداً منا طولستوي الفيلسوف (ش ١٤٩)

الآريون الآسيويون

في فارس والهند

قلنا ان الآريين نزحوا من سهولهم الاوراسية غرباً الى اوربا وعمروها ونشروا لسانهم فيها. لكن بعضهم نزح جنوباً الى ايران والهند وعمروهما ونشروا لسانهم فيهما

ايضاً . فمن غربي ايران (ارمينيا وكردستان) الى وادي الكنج فاسام كل اللغات الشائعة بين الامم الراقية في تلك البقاع فروع من احدى اللغتين الايرانية او الهندية وكلاهما من امهات اللغات الآرية

فاللغات الايرانية سائدة في غربي اسيا الوسطى . وليس هناك لغة غير آرية الا لغة في شرقي بلوشستان تعرف بلغة « البراهوي » تشبه لغة الباسك الباقية في غربي اوربا الى الان من غير اللغات الآرية

واللغات الهندية منتشرة في شرقي اسيا لوسطى وحدها الا بقايا من اللغات المغولية او الدرويدية الكولارية من لغات الهنود الاصليين بين جبال حملايا وجبال فنديا

الارمن

مقامهم على الحدود بين اسيا الصغرى وايران . نزلوا هناك من عهد لم يدركه التاريخ وهم الان على الحدود بين تركيا وروسيا . واعداؤهم الاكراد بعضهم في تركيا



ش ١٥٠ : نساء ارمنيات يحيكن السجاد

والبعض الاخر في ايران . وسبب العداوة بينهما ديني لان الارمن مسيحيون والاكراد مسلمون . لكن كليهما من اصل آري فالاكراد يتكلمون لغة ايرانية قريبة من اللغة الفارسية . والارمن يتكلمون لغة آرية لم يقر العلماء على موضعها من العائلة الآرية .

وللارمن طبائع خاصة في مظاهرهم البدنية يمتازون بها عن سواهم . فهم سمر الالوان بارزو الملامح قصار الرؤوس . كبار الانوف مع انحناء يشبه انحناء الانف الاسرائيلي

وهذه الصفات قديمة فيهم تتصل باقدم التواريخ . فان على آثار سمال الحثية في زنجرلي صوراً منحوتة كثيرة الشبه بالشكل الارمني بحيث لا يخامر الناظر ريب في انهم اسلافهم

والارمن يشبهون اليهود ايضاً بالاقتدار على التجارة وكانوا ارباب تجارة الاستانة وصيرفتها لعهد غير بعيد حتى كادت تكون كلها في ايديهم وحدهم . فجرَّ ذلك الى الحسد وآل الى ما اصابهم في اواخر عهد عبد الحميد من المذابح والاضطهاد . وصبر الارمن على ظلم المستبدين دهراً لم يخطر لهم التخلص منهم الا ما ذكروا من بعض مساعيهم في ابان الاستبداد يطلبون الانحياز الى روسيا او غيرها . فلما اعلن الدستور بالامس كانوا من اكبر انصاره ولا يزالون يفاخرون بعثمانيتهم

وهم يسمون بلسانهم « هايك » اوهيكان كان عددهم نحو ٨٠٠٠٠٠٠ فاصبحوا سنة ١٩٠٠ نحو ٢٣٠٠٠٠٠ نفس متفرقون في الارض على هذه الصورة

عدد	
٨٥٠٠٠٠	في قوقاسيا وروسيا اوربا
١٠٠٠٠٠٠	في ارمينيا العثمانية واسيا الصغرى
١٥٠٠٠٠	« « الفارسية
٢٥٠٠٠٠	في تركيا اوربا والبلقان
٦٠٠٠٠	في اماكن اخرى
٢٣١٠٠٠٠	

ولعل الانقلاب العثماني غير شيئاً من مواضعهم

والمرأة الارمنية كثيرة العناية بمنزلها وتدبير شؤونه بنفسها وخدمة زوجها وبذل ما في وسعها في سبيل راحته . وهي في بلادها محتجبة اي ملازمة منزلها لكنها تقابل زائريها مكشوفة الوجه

الاكراد والنساطرة

والاكراد امة قديمة سميت في التاريخ القديم « كردوخي » مرَّ زينوفون ببلادهم في عشرة الاف من رجاله وهو ذاهب الى البحر الاسود . ولا يزالون الى اليوم يقسمون الى قبائل . وكلهم مسلمون سنيون يجمعهم لسانهم الايراني فيتكاتفون على اذى جيرانهم الارمن . والاكراد اهل بادية يتفاخرون بالحرية والاستقلال . واكثرهم يحبون الحرب والغزو حتى نساءهم فانهن كثيراً ما يركبن الافراس ويذهبن

للغزو . وقد اشتهرت عندهم عدة نساء بالفروسية والبطش منهن قارا فاطمة (ش ١٥١) وقد زادهم فساد الحكومة السابقة اضطراباً في علائقهم السياسية . ويظهر سوء تصرفهم على الخصوص في معاملة النساطرة المقيمين عند منابع الزاب وبحيرة اورمية .



ش ١٥١ : قارا فاطمة احدى نساء الاكراد على فرسها وحولها رجالها

والنساطرة المشار اليهم بقية تلك الطائفة التي كانت تعرف بهذا الاسم في صدر الاسلام وكانوا يقيمون ما بين الفرات في اسيا الوسطى وحدود الصين وجنوبي الهند . ويسمون انفسهم الكلدان بحجة انهم بقية امة الكلدان القديمة في ما بين النهرين . ولا يزال المقيمون في الموصل على دجلة يتكلمون لغة من بقايا الاشورية او هي اللغة التي عاد بها اليهود من بابل بعد اسرهم وكان المسيح يتكلمها

ومع اشتغال الاكراد بعاداتهم البدوية فانهم يتعاطون بعض الصنائع البسيطة يربون الماعز الذي يسمى « انقرة » وله شعر طويل ينسج به السجاد المشهور بالوانه . ويصنعون المنسوجات الخشنة والحريرية والقطنية وبعض الاواني الخزفية والجلدية والاسلحة

ويشبه الاكراد ويقرب منهم « اللوريون » واليهم تنسب لورستان من بلاد فارس . وقد تحقق الباحثون بناء على درس الموسيو ريتش ان البختياريين والزندية والالك وغيرهم من قبائل اللور اكراد يتكلمون اللغة الكردية ويشبهون الاكراد بسائر طرق معائشهم ونظام قبائلهم . الا ان اللوريين اظهروا في الايام الاخيرة ميلاً الى التحضر والرضوخ للحكومة الفارسية

وفي جبال بلخ بعض الاكراد على الحدود بين روسيا وفارس نزحوا الى هناك في القرن الثامن عشر لحماية تلك الحدود ضد التركمان



ش ١٥٢ : نساطرة في اذربيجان

وحيثما سرت في غربي ايرانيا (ايران) تجد اقواماً يشتغلون بالفلاحة هم السكان الاصليون يشبهون الاورافريقيين في اوربا ويدعون « طايك » (اوطاجيك) ويعرفون باللغة الفارسية باسم فارسيوان اي انهم يتكلمون اللغة الفارسية ومنهم الدقاهين اصحاب المزارع او الفلاحين . وكلهم من اصل ايراني يتكلمون لغة ايرانية . ويقسمون الى قبائل وبطون وافخاذ

وهكذا الحال في افغانستان فان النظام القبيلي لا يزال سائداً فيها واهلها سنيون خلافاً للفرس لانهم شيعة ولكنهم يشبهونهم بملابسهم وازيائهم

البوفندا

هي امة ايرانية تقيم في داخلية جبال سليمان في الجنوب الشرقي من افغانستان مستقلة من قديم الزمان تشتغل بالزراعة وتربية الماشية والتجارة ابناؤها اهل مهارة وثبات



ش ١٥٣ : حبيب الله خان امير افغانستان

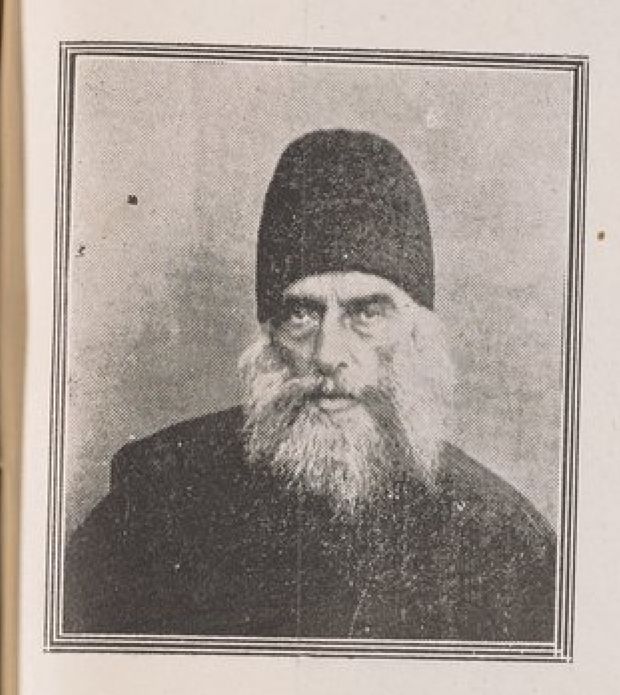
يقاسون امر العذاب في سبيل ذلك العمل — يقيمون صيفاً في السهول قرب غزنة ويؤدون ضرائب كبيرة الى امير افغانستان عن المرعى والاطمئنان . تحمي عائلاتهم هناك قوة عسكرية فيتركون اهلهم في حمايتها ويضربون في الارض للاتجار الى سمرقند وبخارا وهرات وغيرها . وفي الخريف يسافرون جنوباً الى بنجاب (الهند) في مضيق كمول يحاربون اعداءهم القدماء « الوازرة » طول الطريق . ويعسكرون في سهول دراجة ومن هناك يتفرقون الى ملتان ولاهور حتى بنارس . يبيعون الحرير الخشن والانسجة والسروج والخيول والزعفران والاثمار المجففة وغيرها . وفي ابريل يجتمعون للرجوع ويقطعون المضيق الى قندهار وغزنة . وهم اكثر الاسيويين اقداماً وثباتاً تحت امثال هذه المشاق

الايرانيون والهنود

نزل الآريون القدماء بلاد ايران وتغلبوا على سكانها الاصليين ونشروا فيهم لغتهم وآدابهم وحافظوا على جنسيتهم واخلاقهم القوية . فنبغ منهم طائفة من عظماء الملوك والقواد والشعراء والفلاسفة مثل قورش وداريوس ورستم وحافظ وسعدي والخيام لا يقلون شيئاً عن اخوانهم الاوربيين من اليونان او الرومان او التيوتون او غيرهم



ش ١٥٤ :غلام فارسي (شاه العجم)



ش ١٥٥ : شيخ فارسي (وصي الشاه)

ونزلوا ايضاً بلاد الهند وتوطنوها وخلفوا فيها آداباً آرية مختلفة . منها الشعر التاريخي والوصفي والتمثيل والفلسفة الدينية . لكنهم اندمجوا في سكان الهند الاصليين من الكولاريين والدرويديين . واخذت مواهبهم الآرية في الضعف وهم نازلون من بامير مهدهم الاصلي الى وادي الكنج . والآثار الآرية في اخلاق الامم الهندية لا تزال اكثر وضوحاً كلما قربت من ذلك المهد . ولم يبق من العنصر الاري النقي الا قليل . وديانة الهنود (البرهمية) كثيرة الشبه في اصلها بديانات الاريين الاوربيين لكن خالطها كثير من اعتقادات الهنود الاصليين . فكثر فيها الشياطين واختلفت عن ديانة اخوانهم اليونانيين والرومانيين اختلافاً كثيراً . على ان الملامح القوقاسية لا تزال ظاهرة في كثير من امم الهند : ولا سيما في الكشميريين والجات والسيخ والراجبوت والدارد والسيابوش وغيرهم على حدودها الغربية الشمالية . وفي اقصى الجنوب ايضاً بالسنحاليين

والفيدا بسيلان . وخصوصاً التودا فان الملامح القوقاسية واضحة فيهم جيداً . على انهم يتكلمون اللغة الدرويدية من لغات الهند الاصلية . ولكنهم قوقاسيون بملامحهم وتناسب اعضائهم وشعورهم مثل العينو في شمال اليابان

الدرويدية سكان الهند الاصليون

قلنا ان التودا في جنوبي الهند يمتازون عن سائر اهل الجنوب بملامحهم القوقاسية ويعرف أولئك الهنود الاصليون بالدرويدية لانهم يتكلمون لغات مختلطة ترجع الى اللغة الدرويدية الاصلية . وهم يفتخرون باتصال نسبهم بالامم الدرويدية التي تمدنت قديماً في « الدكن » كالتلوق والتاميل والملياليم وغيرها . مع انهم يختلفون عنهم بكل شيء الا اللغة وبعض الطقوس الدينية . وهم في احط طبقات المدنية يقيمون في الجبال بلا علم ولا ادب بالمعنى المراد بهما اليوم . وتغلب فيهم طبائع الزنوج كأنهم كانوا زنوجاً واندمجوا بالدرويدية الفاتحين

ليس لهم نسب مشترك يرجعون اليه فليس هم درويديين اصليين ولا فرعيين ولكنهم اشباه الدرويدية . ومنهم الكوتا والايرولة والبداقة والكورمبا جيران التودا في جبال النلجيري . ومنهم البانيان والبولاية والايزوفان والبرايا والكانيان وغيرهم في ميسور وكوتشين والترافنكور في اقصى الجنوب . ونكتفي بوصف كنيان الكوتشين مثالاً لاخلاقهم واطوارهم . فقد درس احوالهم مؤخراً الموسيو كريشنا ايار فقال : « هم يعدون احط في طبقات الانسانية من البراهمة فاذا التقوا ببرهمي وجب عليهم ان يبتعدوا عنه ٢٤ قدماً على الاقل . ولهم خرافة متوارثة يعللون بها سبب تعلقهم باقوال المنجمين والسحرة — قالوا ان الاله سوبرامانيا بن سيوا اخذ في تلقي النجامة مع صديق له فسمعوا صوت ضب بجانبهما يدعو بالشر على ام السوبرامانيا فعزّم الصديق تعزيمة ابعدت ذلك الشر . وكانت تلك الوالدة في غيبوبة فاستيقظت وسألت ولدها عن الشخص الذي كانت تنظر اليه فاجابها انه كانيان اي منجم وصاروا منجمين من ذلك الحين » ومن تقاليدهم الخرافية انهم ورثوا صناعة المظلات من المهمم السونرمانيا وهو اعطاهم اياها مع سلع اخرى . وقس على ذلك سائر تقاليدهم

وكانت النجامة محصورة في البراهمة فاصبحت الان شائعة في هؤلاء الكانيان ولهم منزلة سامية لدى طلاب النجامة وكشف الغيب . يحترمهم اهل القرى ويستشيرونهم في اكثر احوال حياتهم ويطلبون منهم تفسير ما يشكل عليهم فيعالجون مرضاهم ويسمون اولادهم ويختارون ازواجهم ويكشفون اسرارهم . حتى الزرع لا يقدمون

عليه الابعد مشورتهم فيجيبونهم بعد فتح الكتاب المقدس عندهم «شاسترا» ويتفاءلون او يتطيرون مما يقع عليه نظرهم فيه من الآيات ومدلولاتها كما يفعل بعضنا في فتح التوراة على نية شخص يسميه ليري ما يتفق له من الاقوال عند فتح الكتاب

وهم لا يفتقرون في معاطاة النجامة الا الى جراب فيه اصداف (ودع) وروزنامة . فاذا استشرت احدهم قعد على حصير ووجههُ نحو الشمس واخذ يتلو بعض الايات ثم يفتح جرابه ويصب ما فيه على الارض ثم يأخذ في تحريك الاصداف بيمناه وهو يعزم او يصلي لالهه سوبرامانيا ولاستاذه اومعبوده الخاص يلتمس مساعدتهما . ثم يأخذ حفنة من الودع وقد رسم شكلاً بين يديه بالطباشير مؤلفاً من ١٢ قسماً يضع بعض الاصداف صفاً الى اليمين يمثل به « قاناباتي » حالّ المشكلات ويعنون به الشمس وسارسواتي الهة الكلام . ثم يرتب الاصداف في تلك البيوت يشرح النتيجة



ش ١٥٦ : جورج ملك التونقان في بولينيزيا

وللتطير شأن عظيم عند الكانيان في كل احوالهم فهم يتفاءلون او يتشاءمون من كل ما يقع عليه بصرهم من الناس او الحيوانات على اختلاف اجناسها . واما ديانتهم ففيها معبودات كثيرة اهمها سيوا ووشنو الاها الهنود فضلاً عن الهتهم الارضية سوبرامانيا اله النجامة وسستا اله الثروة وساكتي والسيارات السبعة وغير ذلك . واذا اصابهم وباء استغاثوا بمرياما شيطان الجدري وبدرا كالي الملجأ في كل الامراض .

ويتقدم الكاهن في هذه الاحوال فيتلو على الحضور كيف يتخلصون من الوباء . وهم يقدسون البقر والافاعي والافيال ولاتزال عندهم بقية من عبادة الشجر وخصوصاً التين

القوقاسيون البولنيزيون



ش ١٥٧ : منتاوي

هم امم قوقاسية متفرقة في بولينيزيا (جنوب اسيا) منها امة « العينو » في شمال اليابان ش ٦٥ يقيمون بين المغول لكنهم قوقاسيو الاصل كما يظهر من ملامحهم . ووجودهم هناك بعد ان قطعوا اسبيريا ومنغوليا ومنشوريا وكوريا يؤيد ما تقدم عن الطرق التي وصل بها الاورافريقيون الى البحر المحيط في العصر الحجري القديم

وهناك طريق جنوبي تدل عليه بقايا الابنية الحجرية الخاصة باهل افريقيا الشمالية . يبدا من شمالي افريقيا وسوريا فجبال خاسي الى الهند الصينية فملايزيا . وعلى هذا الخط ولا سيما في الشرق الاقصى تجد اناساً ملامحهم اوربية كالكخيان في شمالي بورما والكمبوج في الهند الصينية واهل جزائر منتاوي وراء شواطىء سومطرا الجنوبية الغربية . وهؤلاء المتناويون يمتازون عمن يحيط بهم من الامم الملقية بظواهرهم البدنية ولغتهم وعاداتهم وسائر احوالهم مما يدل على السفر الطويل الذي كابده الاورافريقيون الجنوبيون في نتقالهم الى ملايزيا ثم واصلوا هجرتهم الى بولينيزيا فالتقوا هناك بجالية كوريا واليابان



ش ١٥٨ : ساموي


ش ١٥٩ : امرأة هواوية على فرسها


ش ١٦٠ : امرأة من تاهيتي

وتألف من اختلاطهم الامم التي سميناها بولينية ومواطنها من الجزائر شرقي خط يمتد من زيلاندا الجديدة فيمر في فيجي اوشرقيها الى هاواي (ارخبيل ساندويج). ويدخل في ذلك امة الماوري في زيلاندو التونقان والتاهيتان والساموان والماركويسا والهوايان وكلهم متشابهون بطبائعهم البدنية والعقلية وبعاداتهم واخلاقهم وادابهم وخرافاتهم واحاديثهم ومعتقداتهم بحيث لا يبقى شك انهم شعب واحد وقد اجمع العلماء على انهم فرع من الجنس القوقاسي . قال الدكتور جلمار «ان البولينيين لا يختلفون عن الاوربيين في ملامحهم وجمالهم» وقال اللورد كمبل عن التونقان «انهم بملامحهم وطباعهم والوانهم وشعورهم وسائر اطوارهم ارقى من الاوربيين» (ش ١٥٦)

ويصح ذلك على خصائصهم العقلية كما يصح على ظواهرهم البدنية ويؤيد ذلك تصورهم الشعري في كيفية خلق العالم كان تلك التصورات رافقت سياحتهم من مستقرهم القديم الى اسيا فملايزيا فمقامهم الآن في بولينيزيا . تبدا تقاليدهم الميثولوجية

غالباً مظلمة لا حدَّ لها . وفي كل احاديثهم عن الخليقة تجد ذكر السماء والارض والكون ثم يسمونها باسماء الاشخاص كما تراه في اناشيد الفيدا عند الآريين . وهم ينتقلون من جزيرة الى جزيرة في عرض المحيط . ويظهر في كثير من اقوالهم ذكر الاله الاعظم وحديث الخليقة وغير ذلك مما يؤيد اصلهم القوقاسي

ديانة اهل تاهيتي وسوسايتي وغيرهما

عند اهل هذه الجزائر الهة شتى بعضها للحرب وبعضها للسلم ومنها اوساط بين الالهة والناس واخرى للتطبيب واخرى للاستعاذه . وكان عندهم لكل ناحية او بلدة اوجزيرة اله . وربما جعلوا ايضاً لكل مهنة او صناعة الهاً فعندهم للرقص اله وللصيد آخر وللغناء اخر ولرمي النبال اخر وللزوابع اله وللعاصفة اله . ولعل اصناف الالهة نفدت من اذهانهم فاتخذوا الهة من الاسماك والطيور . وقد الهوا اعاظمهم وعبدوا اسلافهم وكهانهم ورسموا لهم الرسوم واصطنعوا التماثيل ينصبونها في غرف يسمونها « ماريس » يقيمونها على عمد كالسقيفة وقد يستخدمون هذه الغرف للدفن ايضا



ش ١٦١ : لبس اقرباء الميت في تاهيتي

ويعتقدون ان الالهة تراقب حركاتهم فاذا خالفوا الكهنة في شيء انتقمت منهم اشد انتقام فكل شر يصيبهم يحسبونه اتيا منها

وسكان تاهيتي يعتقدون ان للالهة خدمة من الارواح اشبه شيء بالشرطة يطوفون الجو فكلما عثروا بروح سائبة قبضوا عليها وجاؤا بها الى الالهة فتأكلها وقد لا تأكلها فتبقى حية وتتمتع بالنعيم وتتحول تدريجاً الى آلهة . والسماء عندهم قائمة بالقرب من جبل عال ولكنهم لا يعينون سكان تلك السماء ولا الاعمال التي يأتونها فيها . والكهانة فيهم وراثية وللكهنة نفوذ عظيم حتى لقد يكون رئيس الكهنة ملكاً . ورئيس الهتهم يسمى « اورو » وكانوا يقدمون له الذبائح البشرية فيذبحون الناس استرضاء له قبل سفرهم الى الحرب ثم يحرقون الجثث

ومن غريب عاداتهم البسة خصوصية يلبسها ادنى الناس قرابة من الميت فيغطي وجهه ورأسه بملابس في غاية الغرابة ويحمل بيده عصا طويلة مسطحة من الاعلى (ش ١٦١)

وبين اعتقادات البولينيين ما يدل على اصل الاعتقاد بالسانح والبارح . وذلك ان الساموان يعبدون الهاً للحرب يظهر بشكل خفاش كبير او ثعلب طيار اذا تقدمهم في الحرب تأكد فوزهم واذا تحول او دار فشلوا . فلعل هذا هو اصل الاعتقاد في حركة الطائر للخير او الشر

وعند الماوريين في زيلاندا الجديدة كاهن او ساحر يسمونه توهونكا يشبه الشامان السيبيري واقوى نفوذاً منه . وقد يجتمع في الشخص الواحد رتبة الكهانة والامارة فيسمونه حينئذ « اريكي » وهو اعظم رجل في القبيلة وله سلطة ثيوقراطية لا استئناف لحكمه . وهو « تابو » اي حرم وكل ما يقدم له من طعام او غيره يصير تابو لا يستطيع احد مسه الا بعد ان يبدا بذلك هو والا فان لامسه يموت وذكروا عن اناس ماتوا لمجرد لمسهم غليوناً سقط من رئيس محرم او اكلوا طعاماً طبخ له

ش ١٦٢ : امرأة ملورية جميلة

فالتوهونكا مثل الشامان السيبيري او الطبيب الافريقي يستشير الالهة او يستخيرها في المهمات والجواب ينقل كما كانت تنقل اقوال دلفي عند اليونان وكما كان العرب يستخيرون هبل في الكعبة قبل الاسلام

الميكرونيون : ميكرونيزيا تمتد من جزائر بيلو شرقاً الى جزائر جيلبرت يسكنها لفيف من البولينيين والبابوان والملقيين وهم اقرب الى البولينيين من سواهم لانهم اكثر شبهاً بهم في عاداتهم واعتقاداتهم وآدابهم

(تم الكتاب)

فهارس الكتاب

١ – فهرس الفصول

٢ – فهرس ابجدى لاسماء الامم والمواضيع

(تم)

مؤلفات جرجي زيدان

صاحب الهلال ومؤلف هذا الكتاب

البريد ص	الثمن ص	١ — مؤلفاته التاريخية
٤	٤٠	تاريخ مصر الحديث مزين بالرسوم جزآن (طبعة ثانية)
٥	٧٥	« التمدن الاسلامي ٥ اجزاء مزين بالرسوم (وقد ترجم الى اللغة الانكليزية والتركية والفارسية والهندية والفرنساوية ونشر فيها كلها)
٢	٢٠	« العرب قبل الاسلام جزء اول
٢	٢٠	« الماسونية العام
٥	٤٠	تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر مزين بالرسوم جزآن مجلدان (طبعة ثانية)

البريد ص	الثمن ص	٢ — مؤلفاته العلمية واللغوية وغيرها
	٨٠	الهلال — مجلة علمية تاريخية ادبية تصدر مرة في الشهر مزينة بالرسوم قيمة اشتراكها بالسنة للقطر المصري والسودان
	١٠٠	وقيمة اشتراكها في السنة للخارج
٥	٦٠	سنو الهلال من السنة الاولى الى الخامسة عشرة ثمن السنة
٥	٨٠	ومن السنة السادسة عشرة الى الاخيرة « «
١	١٠	الفلسفة اللغوية (طبعة ثانية) (وقد ترجمت الى اللغة التركية)
٢٠	٥	تاريخ اللغة العربية
٣	٢٠	تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الاول والثاني. ثمن الجزء
٢٠	٤	انساب العرب القدماء
٢	١٥	علم الفراسة الحديث مزين بالرسوم
١	١٠	عجائب الخلق مجلد بقماش
٣	٢٠	طبقات الامم مزين بالرسوم

تابع مؤلفات جرجي زيدان

البريد ص	الثمن ص	
		٣ — سلسلة روايات تاريخ الاسلام
٣	٢٠	١ فتاة غسان جزآن طبعة ثالثة
٢		(وترجمت الى الهندية والفارسية والانكليزية ولغة التاميل)
٢	١٠	٢ ارمانوسة المصرية طبعة ثالثة (ترجمت الى الفارسية والهندية)
٢	١٠	٣ عذراء قريش طبعة ثالثة
		(ترجمت الى الانكليزية والتركية الاذربايجانية)
١ ٢٠	١٠	٤ ١٧ رمضان طبعة ثانية (ترجمت الى الفارسية)
١ ٢٠	١٠	٥ غادة كربلاء « « (ترجمت الى الفارسية)
١ ٢٠	١٠	٦ الحجاج بن يوسف « « (ترجمت الى الفارسية)
١ ٢٠	١٠	٧ فتح الاندلس « « (ترجمت الى الفارسية والهندية)
١ ٢٠	١٠	٨ شارل وعبد الرحمن « «
١ ٢٠	١٠	٩ ابو مسلم الخراساني « « (ترجمت الى الفارسية والتركية والهندية)
١ ٢٠	١٠	١٠ العباسة اخت الرشيد طبعة ثانية (ترجمت الى الفرنساوية)
١ ٢٠	١٠	١١ الامين والمأمون
١ ٢٠	١٠	١٢ عروس فرغانة
١ ٢٠	١٠	١٣ احمد بن طولون
١ ٢٠	١٠	١٤ عبد الرحمن الناصر
١ ٢٠	١٠	١٥ الانقلاب العثماني
٢	١٠	١٦ فتاة القيروان
		٤ — رواياته الاخرى
٢	١٠	اسير المتمهدي تاريخية غرامية طبعة ثالثة (وترجمت الى الروسية ولغة التاميل)
١ ٢٠	٨	استبداد المماليك « ادبية « ثالثة
١ ٢٠	٨	المملوك الشارد « غرامية « ثالثة
١ ٢٠	٦	جهاد المحبين ادبية غرامية « ثانية

